AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00990 1392

PJ
75
A2
19



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

AMERICAN UNIVERSITY

AMERICAN UNIVERSITY

99-67011
Art Room
16

PJ
7541
A2
1946

عباس محمود العقاد

على المحك

نظرات وآراء في الشعر والشعراء

دار العلم للملايين

كانون الأول ١٩٤٦

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

٨١١,٩

للمؤلف

•

وجوه وحكايات
زوبعة الدهور
الرؤوس
زوابع (شعر)

•

مجدّدون ومجترون (تحت الطبع)
فارس آغا (في الاعداد)

51542

جرى حديث بين الشيطان وايفـــان ، في رواية « الاخوة كرامازوف » للقصصي العظيم دوستوفسكي ،فقال الشيطان لايفان:

« يجب أن تشكّ وتجحد ، فبـدون الشكّ والجحود لا نقد . وبدون النقد كيف ننقح ونهذب ؟ اذا توارى النقـد لم يبق إلا (أوصانا) وهذا لا يكفي . يجب ان نضع التقريظ والنقـــد في كفّتي الميزان . ومع ذلك فما أنا الذي اخترعت النقد ، ولست أنا تيس الخطيئة . يجب ان انتقد لان النقد أصل الحياة . »

(الرؤوس ص ٢٧٨)

أنقدُ ام حسد؟

الويل للناقد في امة لم يألف ادباؤها إلا قرابين المدح ونذور الثناء ، يطرحها المؤمنون على اقدام تلك الالهة ثم حسبهم الرضا والشفاعة ...

والذي لفّه ضباب الندّ والبخور بازار حجبه عن الابصار حتى تنكّرت سحنته وأصبح شبحاً مقدساً ، يؤذيه النقد ويذيبه التحليل. وكيف لا ، اما صار عند نفسه كتابوت العهد ، من لمسه صعق .. ؟

ومن لم يبرح هياكل التقريظ الموصدة النوافذ يضره القعود بالمروحة . ومن لم يتعود النظر الى شمس الحقيقة يتململ اذا فجأه نورها ، ويرمد اذا ثار في وجهه الرهج ، فماذا نفعل لاصحابنا ليألفوا تقلبات الانواء واكفهرار الاجواء ؟

ان عاصفة امريء القيس انزلتِ العُصمَ من «القَنان» واقتلعت نخل تَيماء ، وهدمت الاطم الا المشيد بجندل ... وهكذا النقد فبصره يرتدّ كليلا دون جبل السموأل . ولكن ادباءنا المعروفين كذلك « المدلل » القائل فيه شاعره المأفون :

خطرات النسيم تجرح خديـــه ولمس الحرير يُدمي بنانه

فلله آدم كم ولد اسباطه من أشكال ومن الوان ؟ ! ولله شاعرنا العربي كيف هام في محبوب اذا لمسه تضرج بدمه ولوّنه به . أو ليس هذا الحبيب ، كما صوره لنا شاعره — والشعراء في كل واد يهيمون — كتلك الديدان التي تنفزر ان لمستها ؟

لقد تجاوز ادباء العرب تخوم البشرية ، فصاروا طوباويين ، فلم لا تحفّ رؤوسهم بهالات من نور كصُوَر القديسين ؟ ان اهـــلة الكهرباء سهلٌ اصطناعُها ، ولكن كيف نحتـال لمجرى كهربائي يتصل بهم فلا يفارقهم في الحل والترحال ؟

اذا كتب احـــدهم مقالا لم يرق لك فالويل لك اذا جهرت بعقيدتك ، فديوان تفتيشهم يؤدبك . واذا اسمعوك قصيـــدة ولم تكبّر — كما أشار مولاي محمد علي منذ سنوات — عند كل بيت ، فانت حسود . واذا لم تصفق لكل شطر فانت لئيم خبيث . اما اذا نقدت فانت كافر بالعباقرة ، تتهاون بنوابغ الامة . . .

يجب ان تقول في الشعراء الكبار — وما اكثرهم عندنا ، أتمّ الله نعمة الشهرة عليهم — ما قاله بيار لويس في فكتور هيغو :

« عندما تقرأ فكتور هيغو يجب ان تقول : هذا سام ، هـذا فريد ، هذا عجيب ، واذا كنتُ لم افهم فانا حمار . يجب أن نقول في فكتور هيغو مقال النصارى في يسوع : هذا انسان ، هذا اله . » واخيراً ثلث لويس الاقانيم وقال : « الاب والابن وفيكتور هيغو . . »

مثل هذا القول يرضي شعراءنا ، مفاخر العرب وسادة العجم ، بيضات الزمان ، ومفارد الأوان . اما كتابنـا ، فعليك ، لكي

ترضي كبارهم ، ان تقول فيهم ما قاله فيكتور هيغو في رنان : « ان الله خلقه برسوم خاص ».

هكذا قل ان كنت تؤثر رضاهم على سخطهم . واذا التقيت باحدهم على اثر قصيدة أو فصل اذاعته احدى الصحف أو المجلات فمضّ شفتيك كالعنز ، واستلهم بديهتك والويل لك إن تخُنْك البلاغة ! هات اضخم الالقاب والنعوت ، ولا عذر لك اذا قلت لم اقرأها . عليك أن تقرأها ، وإلا فأنت جاهل لا تتذوق الادب الرفيع . ثم هب انك لم تقرأها فلا تكسر خاطره وقل فيها ما يتوقع أن يقال ، أو ماتعوّد أن يسمع ، وترحم بينك وبين نفسك على الحريوي القائل :

والصدق ان القاك تحت العطبِ لا خير فيه ، فاعتصم بالكذبِ

اما اذا تلهجمت ولم تقرظ فأنت حمار يا صاحبي ... كما قال بيار لويس عن قاريء فيكتور هيغو .

الحسد ترس تناقلته أيدي ادباء العرب منذ عرفوا النقد ، فكم اتقى به المتنبي صدمات منتقديه ، سواء امتحاملين كانوا أم منصفين .

اما قال المتنبي منذ الف سنة :

أزِلْ حسدَ الحساد عني بكبتهم فانت الذي صيّرتهم لي حُسّدا

ثم قال ابو فراس : مشيت اليها فوق اعناق حُسّدي ... وكذلك قال شوقي أمس ، وكذا يقال اليوم ، فقل معي اذن : اعوذ بالله من الحسد ، فالحسود لا يسود ...

لقد عفّت هذه الدعوى معالم الحقيقة ، فاغامت سماء الاذهان وتنكرت المحجة ، وكاد يتجمجم كل ناقد مخافةَ هذا الظن ، ولكن

الاخلاص للفن يدرأ الشبهات . وكم نتمنى على الله ان يكون فينا من يحسد لنرفع رؤوسنا بين امم الارض ...

فحتّامَ تلوك السنتنا هذه الكلمة ، وإلامَ يقبع وراءها ادباؤنا كالصائد في داموسه ، وفيهم من لم تخطر له ببال يوم كان ينقد ولا يُنتقد ؟

لقد قال طه حسين يوم نقد شوقي « ان شوقي شبع مدحاً ولم يشبع نقداً » ثم اشبعه ... فما باله يتبرم ويضيق صدره بالنقاد ؟ أآمين مفروضة على قرائه وليس لهم أن يفكروا أو يمحّصوا ؟وبعد فما دعاه لذكر الحسد في معرض كلامه عن بارتو وبوانكاره؟الفتوى عند سلامه موسى صاحب كتاب « العقل الباطن » .

تطالع مقال الأديب اليوم ، وخصوصاً المأجور منهم ، فتأسف على دقائق هدرتها . فاذا قرأت مثلا مقالة طه «التأديب» أي درس الادب ، تقرأ صفحتين من جريدة الاخاء الوطني العراقية ولا تظفر إلا بغمزات ولمزات . ما هكذا كان يكتب طه . لقد كنا نظفر بشيء متى قرأناه . فهو إما اكتفى وشبع شهرة فطرح « منجله » واستراح ، واستهزأ بقرائه كما قال عنه حسين هيكل ، وإما انه يكتب لاجل الجعال ، كما يشتمّ من الكلام المنقول عنه في المقال عينه . ورحمات الله على الفن ! ما دخلت السياسة شيئاً الا افسدته . صدق الكلام المأثور ...

لقد قرأنا لبعض شعراء العرب في مصر ، والعراق ، وسورية ، والمهجر ، قصائد طوّبتها الصحف ونعتت شعراءها بالكبار . ومعظم هذه القصائد لا يتعدّى مبتذل القول ويدور على كل لسان .

شعر « مناسبات » : تهنئة ورثاء ومديح ، وبكاء على المجد الضائع ، والثروة المفقودة . ويضحكنا شعر بعضهم الذي لم يفق تعبيره كلام العامة ، فكأنه اخبار محلية ، في جريدة . فهل الشعر ما استقام وزنه ورصفت قوافيه كمداميك البنّائين ... ؟ لقد بتنا اذا عرفنا « المناسبة » عرفنا ما سيقال فيها ، ومتى عرفنا الشخص عرفنا القافية ، كما سمعنا في لوكندة قاصوف بعرس صلاح المنذر قصيدة على الحاء ... لقد أتعب شاعرية شعرائنا اسم تلك العروس اللطيفة (ليندا) فما ذكره منهم الا امراء الكلام ...

وبعد ، أفليس ما ننعاه على المتقدمين هو هو الذي ننظمه اليوم ، ونسميه شعراً ؟ ويا ليت لنا بلاغة اولئك ! فاكثر كلامنا حركات سيمائية تسحر عيون الناس ، بل هذيان محموم يضحكه ذكره متى فارقه العارض ...

اما آن ان يتعدى النظم هذه المناسبات ، ويتجاوز شعرنا « يا ليل » المغني و« يا عين » المطرب ؟

فما تقول في قصيدة يُمدح بها او يُرثى ملكٌ ، او يهنّأ عريس ، او تنظم لحفلة ، فلا تفهم منها الا انها تصلح لكل ملك ، ولكل حفلة ، ولكل من سيتأهّل منذ نوح حتى المسيح الدجال ...

اليست قصيدة كهذه ، في نظرك كما هي في نظري ، مثل « شروال » اهالي قرية ... الذي كان يلبسه كل من يتغرّب عن القرية – وأبعد غربة كانت الى جبيل – حتى صار شعار الضيعة ... اليست كتلك الخلعة التي كان يُلبسها المشايخُ ، في ذلك الزمان ، كلّ عريس مشمول بالرضا ، ثم تعود الى « الدار » لتعاد ، بعدئذ ،

الى كل عريس ؟

الشعر الحقيقي هو ما لا تستطيع ان تفصله عن صاحبه ، ولو حللته في مختبر باستور . وما يخرجه ويذيعه الاديب على الملأ يصبح ملك الجمهور يحق لكل مفكر ان يقول كلمته فيه ولا حسد ولا حقد ولا غيرة هناك ... فان أصاب الناقد أفاد . وان اخطأ هزيء به الناس ، فلماذا كل هذه الضوضاء ؟ وهل يكترث النقاد – في الغرب – لغير الشعر البارع والنثر الممتع ؟ هناك ينماز الاديب بكثرة منتقديه ، فترك النقد عندهم منقصة وسبّة . وهذا شوقي ماذا تنقّصه النقد ؟ لقد استحثه فاحتث ، وجلّى على شيخوخته .

أنظلّ في القرن العشرين كما كنا في القرن السابع ؟ قال الاخطل : « جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر » فجرّ هذا الرأي الادبي الى هجاء كان جنايةً على الادب والاخلاق.

وكذا حدث في القاهرة. فقد حمل ابو شادي حملة شعواء على العقاد فسبّه هذا بما يندى له جبين الادب . وكذا حدث بين شبلي وبشاره في حفلة تأبين المرحوم وديع عقل وان كان تلميحاً لا تصريحاً .

وارى اليوم طلائع مثل هذه في حديث بشارة مع صاحب العروبة ، الحوماني ، ثم في ردّ ابي شبكة على بشارة ، كما اذكر حملة نقدية كادت تكون خصبة لو لم تنته بالحيد عن خطط النقد ، وتعقد الهدنة على ضفاف البردوني ، فلو لم يهتم منها بشارة ما أخرج قصيدته الرائعة « عمر ونعم » وما قال له بدوي الجبل كما نشر في « برقه »: « ما هذا يا رجل ؟ المتنبي من خُدامك الخ ... »

وأذكر - وما اكثر ما اذكر - حملة لغوية ، منذ سبع وعشرين سنة ، على الملاط اوقد نارها بشارة ، وكان من فرسانها ابراهيم منذر ويوسف مراد الخوري ومن لا أسميهم ... وكانت الساحة جريدة « لبنان » للاسود ، فاتهمهم الملاّط بالحسد ، ثم سكنت الزوبعة بعد ان قالوا ما قالوه .

والان امامي مجلة العروبة (عدد ١٤) ، قرأت فيه مقالة لمدافع عن بشارة أسمى نفسه « قزم ... » ختمها ببيتين من نظم بشارة في ابي شبكة ، وهما :

أبـــا شبيكة ، والايام مهزلة
ماذا ، أحقاً حذقت الشعر ام لعبا ؟
لو كنت في الوحش لا ارضاك لي ظفراً
او كنت في الطير لا ارضاك لي ذنبا !

حقاً انها لبدعة جديدة في الردّ على النقاد بهذا العصر ... فما هذا يا ابا عبدالله ؟ .. لقد كدت اصيح بملء فمي : « اكذب نفسي عنك في كل ما ارى .... » لولا خشيتي وخوفي قانون « اقـــلاق الراحة » ... بيد انني أثبت الى نفسي وقلت : لعـل الاخ بشارة يريد ان يقول الشعر في كل الاغراض كسميّه الاخطل ، فـــلا حول ولا ...

*

هكذا سار ويسير النقـــد عندنا ... تختم المأساة بأكل اللحوم ونبش القبور ! فمن لنا بزياد جديد وبتراء جديدة الحدود . أما هواة النقد فنقول لهم ما قاله امس المندوب السامي للصحفيين :

« انتقدوا الاعمال لا الاشخاص » ، وتزيد : « كونوا منصفين » .

فهل من نقاد مخلصين للفن لا يحابون كاتباً ولا يمالئون شاعراً ، فلا يكيلون الثناء لشهير ، ولا يتعامون عن جيد جاء من نكرة ؟ ليت الصحف والمجلات تقلع عن هذه الالقاب التي تغرّ الادباء وتخدع القراء ... وليتها تذكر اسماءهم كما يذكر في اوروبا اسم فاليري و كبلنغ وتاغور وولز وشو وجيد ومن اليهم من كبار كتاب العالم ، ثم لا يُعرض لمحصولهم الادبي الا في مختبرات التحليل . فلتتركنّ الصحف هذه الطلاسم التي ترقي بها قرّاءها ، وتنفج الادباء حتى يصبحوا كالقطن المنفوش .

حقاً ان محصولنا الادبي في تأخّر مستمر ، ونحن على ابواب مجاعة روحية . فادباؤنا اكتفوا بشهرة جوفاء تذهب بذهابهم كصدى ينقطع بانقطاع الصوت . انهم كتلك الزهرة « شبّ الليل » التي تعيش في الظل ليلة واحدة . فالى النور ايها الاخوان ، الى الادب الخالد ، ولا يغرّنكم ما يقال اليوم ، فالغد حكم جبار لا يعرف رحمة ولا محاباة .

وبعد فاقول ، والاسف ملء الفؤاد ، اننا اذا قرأنا شيئاً قيّماً فهو عيال على كتاب الغرب وشعرائه ، ان لم يكن نصاً فمعنى . فعلى رفوفي كتب اعظمتها جدّ الاعظام حتى كتبتُ الى احد مؤلفيها ، وانا لا اعرفه ، أثني على جهوده وعمق تفكيره .. وكم كانت خيبتي مُرةً بعد سنتين ، إذ عرفت أن معظم الكتاب « مأخوذ » ...

والبلية انك اذا ارشدت الناس الى هذا الاخذ الشريف ، وقلت كلمة في احد هؤلاء « الطوباويين » تغامزوا جميعاً عليك

وقالوا : « حسد ! » وهكذا ينجو المتلبسون بالجريمة ...

وجماع الكلام ان الناقد النزيه كالصيقل الماهر يبدو جوهر السيف تحت انامله شيئاً فشيئاً ، او كالمرشد الامين يجذبك الى متحف مليء بعرائس الفنون ، ويدلك عليها واحدةً واحدة ويشرح لك معاني جمالها . وما كان النقد قط ، منذ كان ، الا معواناً على رقي الفنون . وفنان لا يسمع غير التقريظ لا يبدع ، والماء ان لم تصفّقه الرياح ركد وأسن .

١١ - ١٩٣٤

إمارة الشعر

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها امير المؤمنين ومنبرُ

لعنة الله على هذه الامارة الجوفاء ، إمارة الشعر ، فهي سخافة بلقاء اسقطتنا من عيون المغاربة . واشد الناس رقاعةً وعتاهية شاعر يحلم بها ، وشرّ الثلاثة اديب يدعو اليها ، ويحمل الناس عليها حملاً . فهل كانت إمارة شوقي — وهو شاعر جيله — غير مهزلة سجّلها الدهر ، وابى ان يكتمها علينا التاريخ الذي لايمحى مايسجل ؟

وانكى البلايا ان تكون « الردّة » في مدرسة طه حسين . اما انكر شيخ هذه الطريقة على الناس مبايعتهم امس ؟ فكيف يمهّد ، اليوم ، لها ويوطّئها ليتقمّصها فلان ؟.. أنسيَ ، هداه الله ، ونفعنا بعلمه ، كيف سخر من مهرجان شوقي ، وكيف شهّر من مؤمّريه رجلاً يؤثره أي حافظ ابراهيم ؟ وان أنس لا أنس انه لم يسلم من لسانه وألسنة انصاره أحد حتى النظّارة .

أخارجيّ الادب المتبوع يجترح اليوم ما عدّه أمس جريرة لا تغتفر ؟! لقد كان أحرج من النظام في حظر العفو ، فما عدا مما بدا حتى حشر الناس حول العقاد فايقظ فتنة نائمة واعادها جذعة ؟!

الا ليت الطفولية تعود ! فكم لهونا بمثل هذه الأضحوكة يوم كنا غلمانا تغلي صدورنا توقاناً الى الرجولية . فمن لا يذكر مثلي تلك الاعراس الصبيانية ... فعريسنا كان صبياً شارباه من صوف، والعروس صبية ذوائبها من الياف لا حرج علينا بنوعها ان اجتمع فيها الطول ، فما اجملها اعراساً حافلة بكل طريف : دفوف من تنك ، وخيول من قصب،والشراب ماء مصبوغ لا اذكر بماذا ...

فهلا تتذكر معي تلك السخرية وتقول : « انها وامارة الشعر صنوان . تلك شهوة غلمان وهذه امنية شيوخ قلائد العقيان ، وكهول شكسبير وشبنهور وهوفمان..» ولقد صدق اغوسطينوس حين قال : « الرجال اطفال كبار . » ورحم الله نيتشه القائل : « طلبت رجالا عظاماً فلم أجد الا قروداً تقلد حركاتهم ... »

*

منذ سنوات اربع عرفت استاذاً أجنبياً «جامعياً» ودكتوراً من السوربون أيضاً ، تفرد للادب ومارسه تعليما ونقداً ، فتذاكرنا مرة ادب المغاربة واتجاهاته الحديثة ، ومناحيه الأشبة ، وموجاته الصاخبة ، قبل الحرب وبعدها ، فانجرّ الحديث الى ادب المشارقة عامة ، فادب العرب خاصة ، وتلوى البحث كما طابت له الريح فتناولنا حتى اللغة العامية والفصحى ، فاذا صاحبي على دين كليمان هيار يرى رأيه ، وملء عينه مرونة اللغة العربية وكفاءتها ، كما وصفها لنا المتمشرق ماسينيون ، ولو شكا حسين هيكل عجزها عن تأدية مراده ... ودعا سلامه موسى في « يومه وغده » الى نبذها وأشار علينا ، اصلحه الله ، بالالتحاق باوروبا حيث نفنى في ذلك

الحضم العجاج ، منتظرين « كالبهائي » ان نؤهّل يوما الى « الانعدام » في ذات تلك الوحدانية ...

فمن يقرأ محاضرة ماسينيون ولا يقول مع الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينـــا وما لزماننـا عيب سوانا...؟

واطّرد الحديث فقال صاحبي : « عندكم امير شعراء . »

قلت : « نعم يا سيدي ، فنحن العرب نحب التأمّر ، ولو على أهل البيت ... »

قال : « وهل لاميركم هذا عرش وتاج وصولجان كاحشورش استير ؟ »

قلت : « نعم ، ويصلب هامان ... له كل ما لملوك المهازل من أزياء وطراز . أما لهذا من أثر في بلادكم ؟ »

أجاب : « لا فنحن الى الجمهورية اميل منا الى الملكية . »

فقلت : « أما والله انك لجادّ . دع المزاح . اتظن ان كبار ادبائنا يشايعون هذه البدعة ؟ »

قال : « أظن نعم . »

قلت : « لا يا صديقي العزيز ، الم تقرأ مـــا كتب طه حسين عنها ؟ فطه حسين اديب مجدد ، ضخم أمره ، وله تشيع انصـــار الجديد . فهو شيخ أزهري « شرقاً » وسربوني « غرباً » ، وشمالا وقبلةً يعلم الله ماذا . فهذا الامام ولفّهُ يسفّهون حتى من يتحدث بالامارة ، وان خبرت انه جاء على ذكرها فللهزء والسخر . »

فقاطعني وقال : « لا تدافع يا صاحبي ، حقا يا صديقي انكم معشر الشرقيين ، مطبوعون على التبجيل والتعظيم . » وابتسم .

فقلت : « مالك ؟ »

قال الستم تقولون عندما تذكرون الله: « سبحانه وتعالى ، جل جلاله » بينا نحن لانقول الا : Le Bon Dieu واذا ذكرتم شعراءكم وكتابكم نسجتم حول اسمائهم عناكب القاب ونعوت حتى يختنقوا فيها كالذبابة التي تجذبها الرتيلاء ؟ ان الالقاب عندكم تكال ولا تزان .

قلت : « أما تعظيمنا لله فما إخاله عيباً . اما الشعراء فهم ابناء الآلهة ، اليس كذلك ...؟ »

فلنعدّ عن هذا ، انني لم افرغ بعد من حديث « الامارة » ، فاسمح لي ان ادرأ هذه الشبهة ، فانتم كالحجاج وكثيرا ما تأخذون بالشبهات .

ألم يأتك نبأ العقاد ، وهو من مدرسة المجددين ، على طريقة غوت وشلي وشكسبير وهوفمان ؟...

فما سمع بمهرجان الامارة حتى هدر كالجمل الاورق ، وطفق يكتب فصولا « الشعر في مصر » يدحض بها تلك الضلالة ، هاك نتفاً منها ، قال لا فض فوه :

« ونظرت الى العصور الحديثة بعد الاسلام ، فلم اعثر بشاعر واحد انبتته مصر يذكر بين اعاظم الشعراء وتذكر له رسالة من رسالات الحياة . فكل شعرائها عرب او مقلدون للعرب ، وكل هؤلاء وهؤلاء عالة على الادب ونفاية ضئيلة اولى بها ان تبيد وتهمل . »

فطابت نفس صديقي واهتز لما قلت وغمغم .

فقلت : اسمع ايضاً :

« فشاعت بيننا مقاييس الادب الافرنسي الدارجة ، وهي الطلاوة السطحية والباقة العابثة . ومشينا معه في عيوبه ومحاسنه ، وهي شبيهة بعيوننا ومحاسننا ، فلم نفطن الى فارق بين الصحيح والزيف ، وبين الصدق والتمويه ، ولم نخرج مما نحن فيه الى مذهب غيره » .

وتفرست بوجه صاحبي ، فاذا بلونه قد اكفهر وابتسامته اصفرت وقال : « انت ماكر خبيث . »

قلت : « لا . صبراً ! » وسقت الكلام :

« وخفيت علينا مقاييس الجد والاستقامة والبساطة التي امتاز بها الشعر الانكليزي والالماني » .

وحباً بالاختصار قلت له : « ويقول عن شاعركم العظيم هيغو انه مجلجل مزوّق خلاّب . فهل من يقول هذا يؤمن بامارة شعر ، و ... »

فقطع علي حديثي وقال : « اينظم شعراً صاحبك هذا ؟ »

قلت : « نعم . »

قال : « وكيف اسلوبه وديباجته ؟ »

قلت : « لا يطبع على غرار هيغو . »

قال : « لا شك . اظن انه نيء التعبير . »

قلت : « لم اقرأ له بعد ما يصح السكوت عليه فأحكم . اليك الان ما يقوله عن « امير الشعراء » وامارته في معرض نقده « خطاب العرش » الذي القاه الامير في مهرجان « المبايعة » على وفود

الشرق قال ، اي العقاد :

« وقد يكون اميراً كامير الشعراء ، لا حس فيه ولا عبقرية ، ولا اشعار له ولا الحان » ثم « فان كان امارة كذّابة في هذه الدنيا فهي امارة هذا الذي لا يكفيه ان يعد شاعراً حتى يعد امير شعراء ، وحتى يقال انه عنوان لأسمى مـــا تسمو اليه النفس المصرية من الشعور والحياة » .

فقاطعني هنا قائلا : « ايطمع هذا ان يكون امير شعراء ؟ »

قلت : « لا لا لا ، اسمع ايضاً » :

« انمـــا هم جميعاً – أي شعراؤنا – سواسية في تشبيه الورد بالخدود ، والبلابل بالقيان ، والازهـــار بالاعطار » ثم يقول : « فكل شعرائنا طويل قصير ، بدين هزيل ، ابيض اسود ، احول أعمش ... وكل ما يشهدونه من روعة الحياة لا يتعدى ذلك الذي يشهده كل ذي عينين حيوانيتين ، كلبيتين او بقريتين او فيليتين الى آخر ما في الحديقة من ذوات العينين . فلو نظمت الكلاب والقطط يوماً باللغة العربية لعلمت منها انها هي أيضاً تفهم كما يفهم شعراؤنا ان الورد احمر الخ . وربما زادت على شعرائنا بفهم ما لا يفهمونه وهو تحية الحب الخ » .

فصاح صاحبي : « هوبّ لا ، إنـــه يغالي جداً ، هذا سباب وشتائم ، ما هذا نقداً » .

وكان معي صديق يسيغ الادب ويلذ له حديثه فقـــال لي : « فضحتنا يا شيخ ، بحياة أبيك ، كفّ عنـــا شرّك ، أإلى هذا الحد ينتهي تجريسك بنا ؟ »

فأجبت : « لا تحتدّ يا أخي! كل هذا في كتاب العقاد« ساعات بين الكتب » .

فقال صاحبنا الاستاذ الافرنسي : « ولكنها ساعات سوبداء ، اظن انه كان يحلم بالامارة والتقنفش ساعة كتب هذا ! »

وافترقنا على ان نلتقي ، ولكن البحر ابتلع صاحبي الاستاذ ففجع به الادب والعبقرية .

*

وكان مساء وكان صباح عام ثان ، على لغة سفر التكوين ، وطوى الموت امير الشعراء ، فخوى العرش الأسنى ، فقلت في نفسي : « لقد أراح القضاء طه والعقاد من خزعبلةٍ خالط ألمها اللحم والدم » . ولشدّ ما تعجبت حين فجأتني الصحف بشاول بين الانبياء .

لقد آمن طه بما جحده امس ، والتفت صوب العراق ، وشوقي لم يُدفن بعد ، وقال : إن امارة الشعر ستكون في العراق بعد شوقي ، كأنها الخلافة البطرسية ، فلا بد منها للكنيسة الكاثوليكية ...

يا سبحان الله ، إن التحوّل والتطور اظهر في الآراء والاميال منه في كل ما هو كائن ، وإلا فكيف يعترف طه بامارة زائفة تهزّأ بها امس ؟ وهبه اقرّها وارادها فلِمَ أشاح وجهه عن خليل مطران وهو احد الثلاثة المفروضين ... ؟ ألم يثن عليه طه ؟ ألم يقدمه حين ذكره في مقالاته « حافظ وشوقي » ؟

ودارت الافلاك دورتها والعقاد كالسماك الاعزل ، لا يفتأ يذكر يوسف ، لا يشارك ولا يساهم ادباء الجيل في شيء حتى كان

يوم ٢٧ ابريل فاذا بحفلة تقام للعقاد بمسرح الازبكية من اجل «نشيد» نظمه ، فينتصب طه حسين فيها خطيباً ، ويتكلم عن « العقـــاد الشاعر » وتكلم وتكلم وتكلم (على لغته) حتى نودي بالعقاد امير شعراء، فحلّ اليوم ، في شرع طه والعقاد ، ما لم يجز البارحة . انما لنكد طالعهما ويمن طالع الادب والتاريخ لم يكن في الحفلة شاعر ، فكانت الحفلة مفلسة « ادبياً » غير مكثور عليها « وطنيـــاً » . فكانت امارته كولاية ابن المعتز ، فلم يُحص بين الخلفاء ...

اما الشعراء فأدركوا بدهائهم — وهم ابناء الالهام — تلك الحيلة المدبرة ، فلم يقعوا في فخّ معاوية الذي اوحى الى (مسكين) ان ينصبه ، فراح ، واأسفاه ، تعب النقادة الحاذق سدى كصيحـــة النسر في الجو ، وارفضّت الحفلة عن لاشيء ، اللهم الا عن شنشنة نعرفها من اخزم ...

وهكذا فشل العقاد وطه كما فشل الهراوي من قبل بدعوته الى « الموسم » فقامت عليه قيامة الكتـــاب والشعراء في « السياسة » يتهمونه بمراودة امارة الشعر عن نفسها ، كما راودها ويراودهـا في كل قطر غواة ، وهواة ، هم اشبه بضفدعة لافونتين ، فانشقّوا وما صاروا جواميس ...

وأتت نوبة العقاد وطه بعد شهرين ، فثار عليهما الشباب الشعراء وشقوا عصا الطاعة . انقلابات ومفاجئات تذكرني بما يحـــدث في المكسيك والبرازيل واميركا الوسطى حول انتخابات الرؤساء ...

واذا كنت لم تملّ حديثي بعد فاسمع احدثك كيف ردّ الشعراء على حفلة العقاد . التأموا بمسرح الهمبرا ، — اظنها الحمراء تنكرت

علينا ككلمة Alcool فعرّبها احد الفطاحل (الالكحول) — واقاموا حفلة كبرى لزكي مبارك افتتحها خليل مطران (لا اقول شاعر الاقطار ، فلكل قطر من فيض الله الف شاعر ، وانا لست من مذهب من فاته اللحم ...) افتتحها خليل بنثر وشعر ، وقال فيها شعراً : ناجي « وراء الغمام » وابو شادي «الينبوع» والهراوي « الموسم » والزجال رمزي نظيم ، وغاب عنها صاحب الملاح التائه ، وغنّى عبد الوهاب ، وهذا هو الوفاء . فهو يرعى عهد « اميره » في مثواه . أولم يقل عبدالوهاب عن نفسه : « انه قصيدة من قصائد شوقي »؟ اذن كيف لا يكون مطرب حفلة تقام رداً على طه والعقاد ؟

وبعد ، أفلم تر مثلي ان الناس احتفلوا ليكرموا كاتباً — أنا ارى رأي المازني في شاعرية زكي وقد عاهدت نفسي ألاّ احابي — فتجمعت فئة من رؤوس الشعراء لتقول فيه شيئاً ؟ واحتفي بشاعر نظم « نشيداً » لم يترنم به احد ، بل بكاتب اقام الدنيا واقعدها ليحطم شاعر الجيل ، فما حضر الحفلة شاعر ...؟ ألا رحم الله الصاحب ابن عباد ، فهو والعقاد عندي سواء ، كما سوف ترى .

روى سلامه موسى صاحب المجلة الجديدة عن طه حسين في معرض الكلام عن الذين « يسمون انفسهم ادباء الشباب » انه قال له : « حب الشهرة عدو الفن » .

لقد وقعت على موضوع عتيد . انما اسأل الان الدكتور طه حسين ، على عجل : هل يطيق مولانا ، ايده الله ، ان يطبق لنا ما نصح به ادباء الشباب ، على طه حسين ؟ اقول هذا ولا إخال مطلبي

يعجز من عنده مقياس ديكارت .

حاشية - لقد بعلت بأمري - على لغة المنفلوطي الذي فرض درسه مجلس معارفنا الاعلى ، وقد كنت بينهم ولا فخر ، واهمل جبران - وتلفّت كثيرا لعلي ارى المازني إما هنا واما هناك فما وقفت له على اثر فقلت في نفسي : لئن تخلف عن شهود حفلة تنصيب الامير ليسمعننا مقالا اشبه بخاط لي زيد قباء . . ولكنني تعبت الليل كله ولم اصطد شيئاً كما قال بطرس لمعلمه .

*

قل معي اذن يا اخي ، قاتل الله امارة الشعر ، البشعة امس ، الحلوة اليوم في عيني العقاد ! ان هذه الامارة فتنة عمياء كمنايا زهير فهي في ادبنا بيت الداء وطلابها متخمون حتى الافواه ، يمضغون ما يتجشّأون ويجترّون ، وعلى هذا الضعف في المعدة والامعاء يحاولون ان يكونوا امراء . ولما أتى نبأ امارة العقاد خليل مطران ظلّ يردّد حتى آخر الليل بيته في علي يوسف :

بنات الدهر عوجي لا تهابي خلا الوادي من الاسد الغضاب

هلا ، هلا ، يا خليل ، ففي كل واد اسد واشبال لولا تقليم اظافرها . فالمستأثرون بالشهرة الناهون عن طلابها يحوّلون الانظار عن الأجم ، فعطفاً على الذرية ففيها بقاء النوع ، وتعهدوا الشباب كالبستاني الذي يشد الفسيلة الجذعة الى جذع الشجرة الشائخة .

بحياتك قل لطه عني ان يلاطف ادباء الشباب - قد تكون كلمة يلاطف لا تعجبه ككلمة « تلاشى » - ويجري معهم على ما عوده اياه حفني ناصف . اما قال طه عن حفني : « كنا نستعينه على ان نكون خيراً منه . وكان يعيننا على ذلك راضياً به ... » فما

بقي من جملة الاستاذ لا يعنيني ، ولا اقول لا يعجبني ، كما يقول هو ، فانا حسبي الرضا .

وقصارى الكلام : إن كنا نروم خلق ادب عربي غزير المتاع ، عظيم الخطر ، يتعدى ما يشهده ذووه من روعة الحياة ذلك الذي يشهده كل ذي عينين حيوانيتين كلبيتين او بقريتين الخ .. فلا نزدر نتاج الشباب ، ولنمدّ اليه مبضع النطاسي لا مدية الجزار .

اما اذا اردنا أدبا ، ان نظمت فيه الكلاب والقطط باللغة العربية ، علمت انها هي ايضاً تفهم كما يفهم شعراؤنا ان الورد احمر الخ ... فاجعل « صاحبك » امير الشعراء وخاتمة الادباء .

وان راى سموه ان كلمتي هذه لاذعة قارصة جارحة ، فانني احيله على زميله العتيق ، الصاحب بن عباد القائل : هذه بضاعتنا ردت الينا . والسلام على من ادى الامانة ورد التحية .

٨ — ١٩٣٤

الشعراء

لولا الشاعر لماتت الالهة ، فالشعراء خالدون ومخلدون .

لا نعني بالشاعر كل علاك وقوّاقة ، فمن مقلع واحـــد يصنع المثالون شخوصهم ، فمنها ما يرفع ليصير إلهاً في المحراب ، ومنها ما يبطح ليجعل اسكفّة للباب .

ولا نعني بالشاعر ذلك الصاف الكلمات ، الغوّاص على « درر » الالفاظ ، فمن يعجز عن التفكير والابداع يعتصم بالفصاحة الجوفاء ، ومن لا يحسن رمي الطير في مهابّها يقبع في الداموس ، ومن يفته ابداع الجديد يكثر من اجترار القـــديم ، فحتامَ ننبش القبور لنلبس الاكفان عربية واعجمية ، والامَ يهيم شعراؤنا المناكيد في كل واد ؟ ..

فمنهم من ينكت الطلول والدمن ويستوحي دارة جلجل حيث توقّح امرؤ القيس وقعد على ثياب العذارى ، فأخرجهن من مستحمّهن على حد قول ايوب : عرياناً خرجت من بطن امي ...

ومنهم من يفتش عن نفسه بين حكم ابن أبي سلمى الجافة كرمال الصحراء ، وزهديات ابي العتاهية الملمومـة من هنا وهناك كخبز الشحاذين ، أو كالرداء المعدّ يصلح لجلّ الناس ولا يليق بواحد .

ومنهم من ينشدها في طويلات الاخطل التغلبي فيقفو أثره حتى يغرق في موطىء رجله ، وتهبّ هوج الرياح فتزدرده الصحراء .

ومنهم من يتعنتر فيعرض سيفاً ورمحاً ، ويناجي عبلةً وهميةً كغول تأبط شراً .

ومنهم من يتبع النابغة الى دار مية ، ويلحقه مع من لحقه في يوم صيده المشهور، فيختفي عنه زياد ويتركه مع واشق وضمران..

ومنهم من يهدج حول بيت الفرزدق كالقنافذ فيراه موسعاً لكبره في المقعد ... فيدعه ويتبع جريراً فيظمأ في فيفائه ، ويتوه في يهمائه التي تكذب فيها العين والاذن .

ومنهم من يشوقه ابن ابي ربيعة فيتضمّخ ويقف مثله في الدروب حتى اذا أدرك أن مطلبه عسير قعد حسيراً ، والعين بصيرة واليد قصيرة .

ومنهم من يتغلغل في ماخور ابي نواس ، ويأوي الى خمارته ، فيضرب معه بسهم ظفر ، كما قال البديع ، فيحلو انشاده لانه صادف نفسه .

ومنهم من يغزو ابا تمام ويشنّ الغارة على البحتري ، ويقف بباب المتنبي فيصدف عنه شيخ الشعراء هازئاً متمتما : اراه غباري ثم قال له الحقِ ..

ومنهم من يقصد البهاء فيرى في الفسطاط رجلا مخنّثاً حتى الميعان ، فيتفيأ في ظلال واحته ، مستروحاً نسيمها البليل ، ثم يأسفّ ولا يقع .

ان معظم شعرنا العربي لا تزال في أنفه الخزامة ، وفي حنجرته

هدير الفحول، وفي رجله خلاخيلُ . تخشخش، لقد صور الجاهليون والعباسيون انفسهم ومحيطهم في شعرهم ، اما نحن فنصورهم هم في شعرنا ، كما كان يفعل مصوّرونا منذ نصف قرن اذ يصورون مار جرجس ومار شليطا ومن اليهم — كأننا صبية مدارس ينسخون المثل ليأخذوا العلامة ...

اما كان اولى بالبحتري ان يسأل ابا تمام متى يأكل حين سأله متى ينظم ؟ أتسأل الطير متى تغرد ، ام الرياح متى تهب ، ام النار متى تتقد ؟؟ ان الشاعر يقول متى جاش صدره . عفواً ، لا يفعل ، هذا الا شاعر وجد نفسه . اما من يفتش عنها بين طلول الجاهليين وخمّارات العباسيين وقصور الغربيين فينظم كل ساعة ...

يسألون لماذا أخرج المهلهل وعمرو بن كلثوم شعراً رقيقاً جياشاً وهما قبل الفرزدق الخشن الذي ينحت من صخر كما قيل فيه. فقل لهم ان الفرزدق قال قافية لا يعدلها شعر عربي هلهلةً ورقةَ نسجٍ وهي: « هذا الذي تعرف البطحاء وطأته » . وكذلك فعل دعبل الشاعر في قصيدته : « مدارس آيات خلت من تلاوة ... » التي احتذى مثالها حافظ ابراهيم في رثاء الامام محمد عبده فكانت خير ما قاله .

ويسألون لماذا يخشن الشاعر الواحد الجاهلي ويرق ؟ أليس هذا دليل النحل ، كما يزعم نقاد اليوم ؟ فقل لهم : لا ، فالشاعر المطبوع يلبس لكل حالة لبوسها ، يخشن ويرق في قصيدة واحـــدة . فما الشعر الا عود أوتاره ألفاظـه ، يصفّها الشاعر ويصلحها لتخرج اللحن الذي يود .

أمـــا الشاعر المتلمس بين خرائب المتقدمين وقبور المتأخرين

فاكسعه وقل له : ارجع الى بيتك وفتش عن نفسك : في حنايا ضلوعك ، وثنايا لحافك ، وبين جدران مخدعك ، وان لم تجدها هناك اولاً فلن تلتقي بها أبداً .

لا تفتش عليها في شكسبير وشلر وغوت وهيغو وموسه وبودلير فهؤلاء قد عتقوا وان ابدعوا ولم يروا ما ترى من العجائب . قل له : انظر يا اعمى القلب فكلّ ما حولك يدعوك ، فلماذا تزج نفسك في الاعماق كالحلد ؟ طالع كتاب الطبيعة فكل كلمة منه جبل ، الا انها لا تضطرك الى نظارتين ! اسمع يا أطرش ، ان احاديث الدنيا كلها في بيتك ، تسمع روزفلت ان سعل ، والميكادو ان تنحنح ... أنظر يا أعمى ! فالسينما تريك غرائبَ الكون متحركةً ناطقة ...

كان ابو تمام فطناً فأخرج معاني جديدة فلماذا لا تأتي انت بمثلها ؟ انك عيّ ما دمت تسأل : ما ترك الاول للآخر ؟ الجواب عندي : ترك له الراديو والراديوم والسينماء والطائرات والغازات التي تخنقك ...

نحاول التجديد فنتقمّص ثياباً بطلت في بلادها . ثم نتباله ونقول : انظروا اننا جدد . لقد أسأنا من جهتين : التقليد ولبس ثيابٍ أخلاق .

قال العجّاج : « كان الكميت والطرمّاح يسألانني عن الغريب فأخبرهما به ، ثم أراه في شعرهما ، وقد وضعاه في غير مواضعه لانهما قرويّان ، يصفان ما لم يريا ، وانا بدويّ أصف ما ارى فأضعه في مواضعه . » فهلا نتعلم من هذا البدوي ؟

كثيرون منا يفتشون عن انفسهم في الفاظ هاموا بها ، وكثيراً ما يسوقون المعنى لاجلها ، ثم يطلبون منا ان نتذوقها كما تذوقوها هم ، ونستحليها كما استحلوها ، كأمٍّ بلهاء تستغرب كيف يغبى عليك جمال ابنها البشع .

ان مخيلة الشاعر المبـــدع راديو يلتقط حديث عوالم الاثير ، وقريحته راديوم يشع نوراً خالداً ، فعبثاً يحاول قرع باب الفن ان لم يكن في عونه قلب متقد وعين ثاقبـــة ، وان فعل فهو كالنادبة تُبَكّي ولا تبكي ، او كأبي الطيّب عنـــدما استزادوه ، في اللاذقية ، رثاء ونفي شماتة ..

ما الشعر الا حلم يقظة ، فالذي ليس له عين ترى ، وقلب يحس ، واذن تسترق ، وعقل يحلم ، والذي لا يصغي ليسمع صراخ نفسه ، وعويل قلبه فهيهات ان يرتقي قمة الفن . فكم من اناء طريف حطم وسحق بعدما قال سيلي بريدوم قصيدته « الاناء المشعوث »... وكم بين النساء مثل شولمية سليمان السمراء ، ناطورة الكروم ... وما اكثر اصحاب الزهريات والربيعيات بيد انهم لم يتحـــدوا باقانيم الطبيعة كالشاعر المتشائم ابن الرومي . حقاً ان في الكلام عقـداً ورقى ، وليس بضخامة تآليفه يُقوّم الشاعر . فقد تخلده اسطر ولا يخلد بالف قصيدة كلها ثرثرة وهذيان محموم . فشهرة صمت خير من وأوأة دهر ، وقد قال شكسبير : اشعر اني اقل وحدة حين اكون وحدي .

ان الفن قيد الارواح والدهور ، فلولا الذي تركه الجدود من فن خلفهم ما عرفنا انهم مروا من هنا في طريقهم الى الابد . والشعر

والتصوير توأمان مدادهما الفاظ واصباغ . تترك الشمس عند المغيب مشاهد والواناً فتانة ، والفنان الجبار يلتقط تلك المشاهد ويقيدها ، اما المشهد فيتلاشى ثم يتجدد ، واما القصيدة والصورة فتخلدهما العبقرية الفنية .

دخل احدهم معمل مصور فأعجبته صورة حمار فساوم المصور عليها فأغلى ثمنها ، فقال له الرجل : أتشتري بهذا المبلغ عشرة حمير ، فأجابه المصور : الحمير كثيرة ورخيصة ...

اجل ان الفن الرفيع عزيز ندر فلعل لهذا العصر من وده نصيباً فنضمّ الى متحفنا الفني طرفاً جديدة . أما اكثر ما نقرأ ونسمع من الشعر فالنثر الحي خير منه .

قالت الشاعرة الافرنسية مدام دي نواي :

« متى انحدرت الشهوة المتقدة الى اعماق القلب يَتّلد المقطع الجميل ، ويسري الدم في العروق وتسير الكلمات مشتبكة متساندة هاتفة كأنها ذوات افواه متفجرة كالينبوع المتدفق .. »

فهلا نتعلم منها ولا نفجر قوافينا كما فجرها بشارة (العربي القحاح) نبعة نبعة ، رغم انف بشار ، ولا نقول قصيدة كالتي أنشدها العقاد بعد انقلاب ارقص الناس « بادنى الثغر او اقصى الصعيد » .

يرحم الله شوقياً وحافظاً فكانا اذا انشدا اطربا . إن لهما من مقلدات الشعر ما نذكرهما به في مثل ساعة الوفديين وقد انقشعت عن مصر العزيزة ظلمات الارهاب والارهاق .

كم وددت ان ارى طه حسين ساعة كان يلقي « اميره المفن »

قصيدته في الانقلاب الخطير لاقول له : « دائماً الفرح عنـــدكم يا دكتور . ولكن حدثاً كهذا يجعل عالي مصر سافلها ويعيدك الى منصب لا تصلح الا له . لا يلذ لنا، نحن العرب ، حَدَثٌ بلا شاعر، ففتش في قابل عن غير صاحبك هذا . »

وبعد فلله درّ ظرفاء مصر الذين ردوا على امارة العقاد الشعرية فأمّروا (البرنسا) على الشعراء في حفلة احيوها لهذه الغاية .

٢ – ١٩٣٥

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

عبّاس محمود العقاد

احسنتم الصبر والعقبى لمن صـــبروا
نادى البشيرُ ، فقولوا اليوم ، وائتمروا

هكذا ينفجر العقاد بعد ان اسكت دهراً ، وهكذا يخاطب امةً محمومة شاعرٌ أحصى عليه المستبدون أنفاسه ، فلزم بيته خوفاً من عيونهم . ما زاد في صدر براعة استهلاله على الكلمة الحائرة في افواه الناس : من صبر ظفر . عفواً ، بلى انه قالها بلغة حلزونية عودناها شيوخ ادباء مصر في نثرهم الفني ...

اما العجز فهو أدنى الى اللغة العاميـــة منه الى الفصحى ، فما رأيك يا أخي بـ « قولوا اليوم ؟ » اليست اخت احكوا اليوم ؟ وما قولك في « ائتمروا » بعد « قولوا اليوم » ؟ اما هما بيضتا دجاجة واحدة ؟ اتقول ان العقاد عندما جعل « ائتمروا » قافية فكّر في امرين : في مؤتمر الوفديين ، وفي الآية : « ان الملأ يأتمرون بقتلك » ولكنه هذه المرة اتكل على ذكائنا ولم يحشِ كما فعل في « وحي اربعينه » ص ١٥٨ عندما قال :

وارى السنّور والجرو الى نمر فيها ، على غير الوصيد

ثم شرح قائلا : « الوصيد العتبة ، وفي البيت إشارة الى الآية :

وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد » .

ما كنا لنعنى بقصيدة كهذه هي برمّتها من الشعر المقيت الغث ، لو لم تكن للعقاد . والعقاد مجاهد وطني ، مكين المبدأ ، صلب العقيدة حتى التحجّر ، لا يتزعزع يقينه ولا تني همته ، قد ضحى براحته وصحته على مذبح وطنيته الصادقة . فلله العقاد مجاهداً صامداً للاضطهاد والمضطهدين ! وان لم يحسن التعبير عن عاطفته شعراً ، فهو لا يعجز عن ادائها نثراً ، ولكنه يحاول أن يقول الشعر ، وما اراه يفلح ولو عمّر كلبيد .

وقبل نبش ما في قصيدته من خبايا ، ان كان هنالك شيء من ذلك ، لا بد من الجهر برأي أعتقد صدقه ، وهو أن العقاد أسفّ في الشعر « القومي الاجتماعي » منه في غيره من أغراض الشعر . وآية ذلك مطلع قصيدة قالها في ذكرى الاستقلال السوري ، سنة ١٩٣٠ (وحي الاربعين ص ١٤٦) .

ربع الشآم أعامر ام خالِ اليوم عيدك عيد الاستقلال

وهكذا دواليك ...

ما لنا ولهذا ، أو دع ذا كما يقول زهير في استطراده ، وعد بنا الى قصيدة هذا العام . فبعدما يذكر الشاعر كيف انقضت السنون المرّة ببيتين مبتذلين لفظاً ومعنى ككل القصيدة ، ثم كيف احلولت أخيراً ، يطلع علينا بهذا البيت الحماسي :

سيهدم الطود من يبغيه معتدياً وليس يُهدم من اركانكم حجر

لست محامي الاعشى لاستعدي التاريخ على العقاد الذي مسخ هذا البيت ، ولكنني استغرب هذه العجلة التي حملت الناظم على

استعمال حرف التنفيس ... فهـــل هناك من يحاول هدم المقطم في الغد كما حفرت ترعة السويس؟ ثم ما رأي طه « بيبغيه » وكيف يرى « معتدياً » أأعجبتاه يا ترى ؟ ألم يعرض العقاد قصيدته هذه على من دعا الشعراء لبيعته يوم « النشيد » ولم يفلح ؟ ام نهاه طه عن انشادها ونشرها فما انتهى ؟ الله اعلم .

وببيت وسط وطّأ العقاد لهذا البيت الجيّد ، وهو واحد ابيه ، فقال :

الدهر في غيرها هدّام أبنيـة والدهر في شاطئيها حارس حذر

اما قول شاعرنا في البيت الذي يليه : كنانة الله كم اوفت على خطر الخ ... فكنانة الله تعبير شائخ بائخ ، واشهد انـني فتشت القصيدة كلها فلم اقع على تعبير جديد ، ومعنى يصح السكوت عليه — كما قال النحاة في تحديد الكلام ، بلى وقعت على الفاظ عجراء محصرمة وتوطئات للقوافي كما كان يفعل أبو تمام في صنعته ، ولكن حبيباً يضع اللفظ موضعه ، ويسهّل طريقه ، أما العقاد فيعقّدها .. يتماز الشاعر بخلق التعابير والمعاني وهذا محروم منه العقاد ، سبحان المعطي ..! ثم يقول :

وكم توالت على ابوابهـا امم ومصر باقية والشمس والقمر

في هذا البيت اهتزازة شعرية الا انها بليدة ، فاين تذهب مصر وغير مصر ؟؟ هل اخذ الفاتحون والغزاة جبال لبنان ونهر العاصي؟! قد يكونون أخذوا من مصر مسلاتها وآثارها ، رحم الله القائل :

أمن سرق الخليفة وهو حي يعفّ عن الملوك مكفنينا

ثم لا يلبث صاحبنا ان يطلع علينا باين واين واين مقلداً بائيـة

ابي تمام، ولكن بلا روعة ولا قشعريرة ، فذكرني بالندّاب اللبناني العاميّ القائل : « وين نيرك وين صندك ، وين جرابك للبدار .. »

وأتانا في مطاوي هذه الابيات بالزبانية الفتاكة الشزر ، الفاظ يابسة كالمومياء لم تصور لنا شيئاً حتى استغربت كيف يكون شاعر بلا مخيلة .

ومضى يسبّ ويشتم فتكردست الفاظ دارت على لسان قلمه ، ووسعها بحر البسيط ، والبسيط بحر يتسع لتتالي الالفاظ فأجاد وابدع في شتمه لا في نظمه حتى أسمعنا :

قالو انتخاب ، فقلنا ، اي نعم صدقوا .

هو انتخاب لمن خانوا ومن غـــدروا

حقاً ان زهيراً لم يوفق في حوليّاته الى مثل هذه « الاي نعم »، بل لم يوفق إلى مثلها إلا ابو فراس بقوله :

الشعر ديوان العرب ايضاً وعنوان الادب

فايضاً ابي فراس ، وإي نعم العقاد يتجاذبان ملاءة الحسن..

ثم اخذ يعدد اشياء جمة هي بالاخبار المحلية اشبه منهـا بالشعر الى ان قال :

لا تدخلوها اذا جئتم بساحتهـا الا اذا غسلت الفا .. وتعتذر

حقاً انها لتورية لطيفة ...وخصوصاً هذا العطف مبنى ومعنى ... نحن في غنى عن شرح هذه الفكرة السامية ... هـــذه الصورة الشعرية الرائعـــة النظيفة ... فالعقاد ، والحمد لله من رواد شعرنا الحديث .

ويمضي الشاعر على سننه ، كما جـاء في وحي المتنبي ، ويسير لا

زيغ ولا غرر حتى يسمعنا :

يا فتية النيل هذا النيل مستمع ومصر ناظرة والشرق منتظر

اجل ، ونحن يا مولانا ، رعاياك الشرقيين انتظرنا ان نسمع شعراً ممن سلم عليه المجاهد مكرم عبيد بالامارة ، فاذا بك تسمعنا منظومة كلها من عريان الكلام ، كالفية ابن مالك وارجوزة اليازجي ، يقول خيراً منها متمرن موهوب لا فنان مثلك يدين بالفن والجمال .

وان آسف لا آسف الا على تصافح صحافيين جليلين — لا اذكرهما احتراماً — من اجل منظومة كهذه لا تستحق الاذاعة والنشر بل الطمر ...

وبينا كنا نقرأ للعقاد وغيره من ادباء مصر نعيبهم على الشعراء المحدثين والمعاصرين تعمدهم الجناس والطباق وما اليهما من الصناعات اللفظية اذا بهذا الفاضل يطلع علينا بقصيدة كلها من هذه البضاعة .

ما قولكم دام فضلكم وفضله بما يأتي : ربحتم انتم العقبى وهم خسروا ...

وفي التجارب من حق ومن عبر فما لهم ما رعوا حقاً ولا اعتبروا

على الصراحة ان ودت وان نفرت ويستوي بعد من ودوا ومن نفروا

هيهات تحجب عينيها براحتها لو اتقوا نظرة منها لما ستروا

وثروة من ثراها الخ ..

وظل هكذا يقول شعراً حتى اتانا بهذا البيت الذي يتكلم شيطانه بالهندية :

ووفروا من قواها كل ما وفرت من الضمائر في الجلى وما نفر

يظهر ان صاحبنا نسي عند شكسبير وملتون وشلي وغوت

فصاحة المركب ، او انه شاقه ان يقول كالفرزدق :

هما نفثا في فيّ من فمويهما على النابح العاوي اشد رجام

واخيراً جرّب العقاد ان يقول حكمة كالمرحوم شوقي ، وكلاهما مؤمر علينا ، كما قالت نعم عمر ، فاسمعنا ، لا فض فوه ، ولا عاش من يشنوه :

وعلموا علمها من ينفعون به سيان في العلم ذو مال ومقتدر

كيف ترى ايها القارىء الكريم هذه الحكمة ، اقال مثلها شاعر عربي بعد ؟!

وبعد فالعقاد من عشاق الفن ، ولكنه يحسن التحدث عنه نثرا لا شعراً ، فاسمع رعاك الله :

ويسروا من صناعات الاكف لها ومن فنون بها الارواح تزدهر

ما هذا يا استاذ ! هبنا رضينا بازدهار الأرواح أيرضى مؤمرك طه بصناعات الاكف ؟ اضاقت بك الالفاظ الى هذا الحد ؟ كنت استغنيت عن ذكر الفن والصناعة الذي ابعدك عن فن النظم هذا البعد ، عفوا نسيت حكمة ثانية ، فاسمعوا :

امانة تلك في اعناقكم عظمت وبالامانة فليعظم من اقتدروا

الشعر يا اميرنا يجب ان ينزه ، في مثل هذه المواقف ، عن مثل هذه التعابير . . . أأنت تحمل سلاماً لغائب حتى تتكلم كعجائز لبنان : امانة في رقبتك سلم على فلان . . .

واليكم بيتا ابدع فيه من حيث الفاظه المنتقاة !

وفي اسمه «المصطفى» معنى زعامته معنى من الخير والتخيير مختصر

الا ترون كيف ان العقاد كرر في عجز البيت حروفاً تنافرت

ومر بها ، ثم لم يحس شيئاً ... انني اتوسل اليه ان يراجع هذا البيت علّه يهتدي الى ما رمزت اليه فيصلح العطار ما افسد الدهر . هذا اذا شاء ان يضم هذه القصيدة الى ديوانه الجديد .

ويلي هذا البيت قوله :

كفى بذلك عنوانا على وطن يدين بالثقة الكبرى ... ويفتكر

فهذه « الكبرى » تعبير ابتدعه ابو تمام فيما ابدع فقال :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال الا على جسر من التعب

فاخذه شوقي رحمه الله بالحرف الواحد ، وقال بيت ابي تمام في شطر هو : اعدت الراحة الكبرى لمن تعبا . وللقارىء الحكم .

اما العقاد فقد لاءم بين الكبرى والثقة فوفّق ، وقد انطوت قافيته « ويفتكر » على معنى كبير وان نبتْ لفظاً .

واراد العقاد ان يرد العجز على الصدر مختتما ، كما كان يفعل البديعيون فما خلص له ذلك وكانت الصنعة في قوله : « واسبشروا ومروا بالحق وائتمروا »

وقصارى الكلام : اعجبني من القصيدة بيت واحد (فقط لاغير) عليه مسحة الشعر ، وفيه رائحة الخيال الذي هو ملاك الشعر ، واذا اردت تلخيص رأيي في هذه القصيدة قلت :

اراد العقاد ان يحكي شعراً فحكى ، والاعمال بالنيات .

احمد الصافي النجفي

١

في ثاني نيسان لا في اوله حمل اليّ صاحب البريد كتاباً على غلافه اسم احمد الصافي النجفي ، فراعني ان يكون « التيار » لانني كنت قرأت في السياسة الاسبوعية ان الشاعر قال لواحد — نسيت اسمه — إن تياره سيجرف الشعراء اجمعين ...

وقفت عند هذا الكتاب وقفة النابغة في دارمية بالعلياء فالسند، فعنوانه مكتوب بالقلم الكوفي المشجّر فكان كقرص مشبّك . ولولا ان هناك عنواناً في قلب هذا ، لما قرأته وبرد قلبي . شكرت ربي لانه الامواج ، فالامواج قد تماشيها اما التيار فمن يجاريه ؟ ! ..

ثم حالت شؤون هزل اشغالها جدّ دون مطالعة الديوان حتى ذكرت ان للصافي مقاماً بين المعاصرين لا يبعد ان يظنه هو كمقام المتنبي بارض نخلة ... وظللت اروح واجيء حتى خفت ان يموت العام ولا اقول كلمتي فيه ، ولا سيما ان الكتب تتكاثر على الرفّ فأخذته . لم أطوِ اول صفحة منه حتى عرض لي عارض وكانت التجربة . قلت لنفسي كأني احدّث شخصاً غريباً عني : بأي وجه تقابل عبارة الصافي الكيسة وثناءه العاطر عليك؟ قاتل الله النقد ، انه

يسوّد الوجه . تذكرت التقائي بالصافي قبالة السراي الصغير في بيروت وتعرفي به ، وما أغدق من عبارات اعجاب ، فما كدت أمسك القلم حتى افلتّه . لا افكر بما اقول في الديوان حتى يتراءى لي شبح الصافي اللذيذ فأتمثل نظراته التائهة البريئة ، فوقفت كالغريب في مفرق الطرق ، حائراً .

وبقيت هكذا زمناً حتى قالت لي نفسي : ما تراه يكون لو ضحيت باخلاصك للفن والشاعر ؟ ثم ما قيمة هذه العاطفة السامية .. وهي سكوت ونوم ؟ أتباع بفلس لو نادوا عليها في أسواق الادب ؟ ولماذا اهدي اليك الشاعر ديوانه ؟ اليس لتقول كلمة فيه ؟

فتنبهت اذ ذاك لعهد قطعته ، يوم كتبت الكلمة الاولى ، فقهرت عاطفتي والقيت قاربي في « امواجه » ، فعسى الا اغضب الصافي كما أغضبت سواه من رفاق واصدقاء وخلطاء صبا وشباب .

*

حقاً ان ديوان الصافي امواج فيها من كل شيء . وما أشبهه بليل امريء القيس ...

الصافي بائس حقاً ، وشعره بلا المبالغة ، ينم عن بؤسه . ولكن البؤس ، وحده ، لا يعمل الفنان . اما البائس فيعمل شعراً ان كان ذا قريحة كالصافي ، وبين الشعر والفن مسافة لا يجوزها الا من يؤمنون ، ولا يشكّون كالصافي . ان في الشعر فناً يثقّف بُنيّات القرائح ويهذبها .

ومشى القلم رويداً رويداً فأخذت انسى انني عرفت الصافي ، ثم بعدت الشقة بيني وبينه فنسيت كل شيء ، الا ان للصافي ديواناً

اهداه اليّ ، وقد خرج هذا الاثر من يده وصار ملكاً للادب العربي ، فعلينا ان نصدق صاحبه القولَ ، كما نصدق النصيحة سواء ، ليعالج شعره العتيد فيستقيم له الفن والشاعرية ، ولا يحيا شاعراً بلا فن .

وسألت نفسي : أتعرفين يا هـذه ، بماذا يجرف الصافي الشعراء اجمعين ؟ فعيّت جواباً . فرحت أتساءل : أبالمواضيع ؟ انها وحدها لا تعمل شاعراً ، فقد يكتب ناثر أروع منها وارقص . ابا لنظم ؟ فهو يعترف انه لا يصنع شعره بل يرسله كما خلقتني يا رب . فهو في الفن على دين الشاعر القائل :

ان المليحـة من كانت محاسنها من صنعة الله لا من صنعة البشر

هب الصافي (لامرتين) اما عاب عليـه نقاد الفرنجة استسلامه لفطرته ؟ وهل يظن الصافي ان الاغراض وحدها تجعل الرجل شاعراً خطيراً ؟ قد تجعله فيلسوفاً اما شاعراً فلا .

فشاعرنا المعري نظّام في اكثر لزومياته وان أغرق في حبكها وتقييدها بالقيود والاغلال . اما شاعريته الفذة ففي نثر « رسالته » . ما أشبّه منظوم فلسفـــة « لزومياته » ، من بغض انسان وحب حيوان الا بالفية ابن مالك . ولولا ما فيهـــا من شعور يكاد يتقد لبرئت منها الشاعرية . والشك ! هل يعمل الشك شاعراً ؟ فكم من أناس شكوا حتى قتلوا ، كابن القدوس مثـلا ، ولم يرفعوا الى سرر الشعراء الكبار لانهم شكوا وقتلوا ليس غير ...

بيد ان هنالك موضعاً آخر لشاعرية المعري هو في شخصيتـه . والصافي من هذه الناحية ، شاعر أيضاً لو انه تأنى كالشعراء وهذب شعره كما هـذبوا شعرهم . فحب الحيوان لا يعمل شاعراً ، اذا لم

يتكلم الشاعر والحيوان معاً بلغة الشعر ، اذا لم يجسد الشاعر معانيه الطريفة بالفاظ تأتلف حتى تكاد ترنّ وتطن . فالشعر موسيقى قبل كل شيء آخر ، والا فالنثر خـــير منه وابقى . ولو كان ملاك الشاعرية الكبرى عطفاً على الحيوانات لكانت جمعيـة الرفق اعظم شاعرة عالمية . ان ما كان بدعـة في زمن فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة صار اليوم مبتذلا ، والشعر لا يحيا الا بالطرافة .

وبعد فليس للناقد ان يعارض الشاعر في اغراضه ، بل ان ينظر فيها . وقد فعلنا فرأينا ان العناصر التي تتألف منها شخصية الصافي في أمواجه ليست جديدة ، فهو لم يكتشف اقليما جـــديداً ولكنه توسّع وتبسط في وصف اقاليم عرفناهـــا فأتانا بشعر هلهل النسج ولكنه صادق . الصافي شاعر ولكنه لم يحـذق فن الشعر بعد ، فما أحوجه الى ديباجة متينة مشرقة كالتي للرصافي - لو قلّت رواسمها (الكليشيهات) - اما اذا كان يطمح الى شاعرية كالتي للزهاوي فليسترح ، لقد وصل . إلا ان هذه الشاعرية العتاهيّة - نسبة الى ابي العتاهية - لا يعمر منها طويلاً إلا القليل مثل قوله :

يا للشبـاب المرح التصابي روائح الجنـــة في الشباب

وهذا قليل بل ندر في شعره الكثير . أما ما كتبه ابو العتاهية على كسر الجرار للفتيان والغلمان فقد هلك ، كما تهلك الاعشاب اذا اشتد القيظ ، فلا يبقى الا الزرع يرتقب الحـاصدين ليفضّض مناجلهم .

ان اكثر الذين حدثونا عن الصافي ودلونا على شاعريته لم ينظروا الى فنه بل عبروا لنا عن تأثرهم باغراضه . فخلعوا على الشاعر جبباً

فضفاضة لا يشبهها شيء غير أعطيات ملوكنا، في ذلك الزمان، اجريت على الشعراء الوفاً وكرّات ، واعطوهم من الجمل اذنه .

قال رنه دوميك الناقد الفرنسي بمعرض كلامه عن جيل لامتر الناقد الآخر : «كل حكم فني ليس له مقاييس مستقلة عن شخصيتنا تبطل قيمته متى انسلخ عنا وانفصل ، فلا يكون الا وصفاً للذة شخصية قد لا يشاركنا بها احد . وقد نرى نحن رأياً آخر اذا قرأنا ذلك الاثر الادبي مرة أخرى، وذلك لاننا نحن نتغير . فمقياس الفن يجب ان يكون غير التأثر والعاطفة . أما اذا كان النقد هو ما نتأثر به نحن لا غير ، فتلك هي الفوضى في الادب » .

*

ينبئنا الصافي انه لا يُعنى بشعره ، فهل هذا يعفيه ؟ فللشعر لغة غير لغة النثر لا بد من امتثال طريقتها لمن يقوله . وان نسأل شعراءنا شيئاً فهو الخلق والابداع ، ليس في الاغراض وفي المعاني فقط بل في التعابير التي تتغذى من حياتنا الحاضرة ، فنحس بها كما فعل شعراء العرب في كل طور . ان التعابير الشائخة الهرمة كالاغصان المكرفحة ، والقضب في اعمال البستاني كمخافة الله في حكمة الاقدمين ، ولهذا نطلب من هواة التجديد في ادبنا المعاصر، تعابير حية لصور ومعانٍ حية .

ولم لا يكون للشعر لغة خاصة ما زال للسهرات أثواب ، وللمراقص لبوس ؟ فهل من يلومنا اذا اوعزنا الى اخينا الصافي بان لا يدخل ديوان العرب ببذلته هذه ..؟ فاي عذر لحسناء ، ونحن لم نستعجلها ، حتى تدخل علينا منبوشة الشعر ، دسماء الثياب ، تفوح

من اردانها رائحة المطبخ ؟!

فالادب لا يثبت إلا إذا استقام له اسلوب وتعبير رائعان بعيدان عن التقليد والابتذال ، تستقر بهما العاطفة الانسانية بجانب العقل الرشيد . اذا كان الالماس يثمّن ويسدّس ويخرط ليغوي ويغري ، ثم ينحت ويصقل حتى يكوكب فكيف بالشعر ؟ هب المعنى الماساً ، فمن رأى رجلاً تحلى بالماسة فصرّها في طرف منديله ؟ انه يجعل لها ظرفاً من الذهب الابريز ويغالي في زركشته . ثم من رأى زهرة بلا كمّ ؟ هب المعنى عبيراً فهو لا يطيب لنا محبوساً في قارورة كما نشتاقه ابتسامة في فم الزهرة .

فلا يتوهمن احد اننا ندعو الى جمال التعبير على حد قول الناظم:

وما مثله الا كفاقع حمّصٍ خليّ من المعنى ولكن يفرقع

فما هذا غرضنا ، اننا لا نبتغي الا معنى طريفاً في قالب ظريف تتحد فيه كل الفنون الجميلة ، فالموسيقى والتصوير والمثالة والعمارة كلها من اعمال الشاعر ، وان ظن انه لا يتكلف شيئاً منها . يا له حملاً ثقيلاً يلقيه الفن على ظهره ، فكم يجب ان يكون قوياً !

اجل يجب ان نحسّ الموسيقى والتصوير والمثالة والعمارة في قصائد الشعراء ، والا فهي كلمات مرصوفة لم ينفخ فيها الفن من روحه . الاثر الادبي تصوير قوامه الشعور وتوافُقُ الالحان وموسيقاها ، والشاعر بنّاء استاذ يهتم بالتآلف الفني بين بنياته حجراً حجراً ومدماكاً مدماكاً ، ثم البناء بجملته . ومثّال حاذق ترقص الحياة تحت ضربات ازميله وتشرئب كلما رفع مطرقته .

ان مهمة الكتاب وخصوصاً الشعراء شاقة جداً ، ولهذا لم أتعجب

حين قرأت في مجلة « الطليعة » كلمة كاتب افرنسي هذا ملخصها : نحن الكتاب اقل الفنانين عملاً ، فالمصور والمثال يصرفان نهارهما في معملها ، اما الكاتب فلا يجلس الى مكتبه الا هنيهة ، بعد ان يحوم حوله ساعات ولا يقع .

تلك حقيقة لا تجحد ، فالكتاب كسالى والشعراء عجالى . نتوهم ، كلّما سودنا ورقة ، اننا نسطر وحياً بلا جبريل ، ونخضع لمشيئتنا الالهية والانسانية ، الف سطنائيل ... ولا يجرؤنا على هذا الا قلة النقد : بالمعنيين .

وعندي ان ادبنا هذا لا يهتدي الصراط المستقيم ما لم نقم عليه وصاية نقد صارمة ، فنحن اليها في الادب احوج . السياسة عَرَض اما الادب فجوهر ، والاديب الحق المخلص لبشريته يخلق امة ، إن لم يكن الان فغداً . ومن يعترف بكفاءة وجدارة امة ليس لها أدب صحيح ؟ ألم نر الامم تشهر الحروب اليوم باسم العلم والثقافة بدلا من الدين ؟

نحن في حاجة الى اقلام لا تراعي في المنام خليلا ، واول واجباتها تقدير الموهوبين كالصافي مثلاً ، ليبدعوا مبنى ومعنى . وهناك واجب آخر أقدس وهو الدفاع عن الادب ضد الدجالين المغرورين ، فأيّ سوق بلا مراقب ؟ ان سوق الخضرة له شيخ ...

وقبل ان نكون فنانين وكتابا يجب ان نكون رجالا — كما قال برونتيير — اما الرجل والشاعر فوجدناهما في صاحب الامواج ، فعسى ان يقذف تياره الى شط العرب درر الشعر الخالد ، ونرى فيه الشاعر والفنان معاً . الشاعر الفنان من يقطع المسلك الوعر

ويشتق طريقه في الغابة العذراء ، اما من يسلك السكك ويماشي القافلة فلا رأي لي فيه ، فليسمِّ نفسه ما شاء .

« لا يكفي ان نقول شعراً – والكلام لـ « فاغيـــه » عن لامرتين – يندر الحصول عليه من عمل السجية والقريحة ، بل يجب أن نقول شعراً من عمل الفنان » لا من وحي الجن كما اعتقـــد المرحومون اجدادنا وغيرهم من شعراء الشعوب . وبكلمة اوضح يجب ان تقترن القريحة بالفن لتلد الشاعر . ويمكن الصافي ان يكون شيئاً من هذا ولا يكلفه الا أن يعرج عـــلى منسج دمشقي ويقف متأملاً ...

لا بأس على الشاعر أن يكون كجواد امريء القيس حين يقيّد اوابد موضوعه ، أما اذا بلغ العملُ التهذيبَ فليستعن بالصبر والاناة ، بل فليكن أبلد ستة الشاعر جميعاً ...

أما جمال الشعر فجمال داخلي ، جمال نفسي ، يشع من الالفاظ كالخمرة في كأس بلورية ، فتتحد الالفاظ بالمعاني اتحاداً كلياً فتصير كخمرة الصاحب بن عباد وانائها . ومن هذا الجمال الذي لا تحيط بوصفه الكم والكيف يأتيه السناء الفائق كالذي يلوح في « المحيا » الساحر « بارقاً » لو رآه الاخطل الصغير لما أرسل دمعه فقط ... وليقل الريحاني ما شاء .

٢

قلنا في الفصل السابق ان الصافي توسّع في اغراض قديمة – ومن شاء فليسمِّ هذا تجديداً – فضعف تعبيره وتشوّش عليه التركيب . وقد ادرك هذا قبلنا احد النقاد الافرنسيين – اظنه برونتيير – فقال : « ان التجديد يتعب الفنان ويعجزه » . فكما ان المثّال لا يستطيع ان يصيّر الصخرة من الروائع بضربة واحدة كذلك لا يقدر الشاعر ان يبدع في اسلوب ما لم يتأن كثيراً . الى هذا أعزو ضعف التركيب في شعر الصافي . فالاسلوب القصصي الذي يتعمده تعوزه تعابير جديدة وأنماط حديثة ، وقوالب طريفة ، يصوغها من معدن الكلمة ، فهو لا يحتاج فقط الى كلمات يبحث عنها الشاعر ويضعها حيث استرخى شعره فيشتد ، بل يحتاج ايضاً الى الفاظ سائرة لا يغني عنها غيرها ، ولا يتمّ المعنى الا بها . واللفظ السهل لا يشتدّ ولا تأتلف الحانه الا اذا كان قائله كالبحتري او كالاعشى حين قال بلسان السموأل :

فشك غير طويل ، ثم قال له اقتل أسيرك اني مانع جاري

فهل رأيت لفظة غريبة او شديدة ، فمن اين جاء الشعرَ هذا الاسر ؟ هذا هو سر الأدب الرفيع . ومن هذا المنفذ تتسرّب الركاكة الى شعر الصافي كما يلج المكروب جسما غير منيع . ويفضح

هذا العيب فيه تقارب اغراضه وتماثلها ، فيبدو لـــك من بعيد كالعنزة البلقاء ، ففي تنوع الاغراض سترة الشعراء .

اقرأ قصيدة الصافي « الليل والنجوم » التي مهّد لها الزهاوي فقال لنا : « انه اكتشف نجما جديداً » .. ففي هـذه القصيدة ترى ديباجة رصينة بل عبارات الفتها وتعوّدتها ، فمن اين هذا ؟ إنه أتى من تقليد الصافي للمتقدمين في المعاني والصور ، فتوفّر على تعبيرهم ، واتاك « برواسمهم » التي يجترّها كل شاعر فقال لك : بحر الغسق ، ونبل الحدق ، ورث الحبل وخلق ، ونهر المجرة انبثق ، وفحمة الليل ، وقرن الشمس ، وعمود الفجر ، وقدح الزند ، والفرقدان صاحبان ، والافق درع ، وأحمر قان ، وابيض يقق ... وهلم جرا من هذه البضاعة التي كبّلت وتكبّل الفكر العربي .

ليس يضير الصافي قولنا إن اغراضه غير جـــديدة ، فامثاله كثيرون ، وحسبه هذا التوسع لولا الذي فيه من رخاوة . فالفكرة لا تنمو في الزاوية التي ولدت فيها ، بل تتجاوز حدود القرية وتخوم البلدان وتهاجر كالناس ، ولكن بـلا جواز ... فدولة الادب لا قناصل فيها ولا سفراء للتأشير ، وكل فكرة « مرغوب فيها » لاتبعد ولا تنفى بل تتطور وتتكيف وتثري من هجرتها . وهكذا تتلاقح الادمغة الخصبة وتتوالد ، كما رأينا بين الفرد دافيني وسعيد عقل في بنت يفتاح ... فلا يخش الصافي ان يصير جـــدّاً بلا احفاد ، كما قال ، فالافكار تتناسل وتحيا وتبقى ، واخلدها اصلحها .

واذا قلنا : ان هذا تأثر بذاك ، فلا نعني ان هـــذا الزواج المبارك يعقب ، دائماً ، بنين صالحين من ابناء السلامة ... فالمعري

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

ودانتي واغوسطينوس ، ومن لف لفهم تأثروا برؤيا يوحنا حين حدثونا عن نعيمهم وجحيمهم . اما اولئك النخاسون الذين يسرقون اولاد الناس بشحمهم ولحمهم ويدمون آذانهم — لا عفا الله عن آذانهم الطويلة — فما هم الا قرصان بحر وصعاليك ليل .

اما الصافي فلا يقفو اثر أحد ، وليس في شفقته على الحيوان تقليد للمعري ، كما ان تبرمه بنا نحن البشر ليس كتبرم ذاك . وإن تمادى فرأى الحيوان خيراً منا فقد قال شاعر قبله :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب مذ عوى
وصوّت انسان فكدت اطير

تلك ساعات سوداء ، أوحت الى الصافي ما قال ، وما اكثر سويداء المريض . اقرأ له من قصيدته « البرغوث العاشق » :

وإن أصلْ ربوتها أصلٌ في محرابها
الثمها من فرعها لمنتهى كعابها

لتعرف ان عنده ما عند البشر ، اولئك القرود الذين انحطوا فصاروا ناساً ، كما قال فيهم :

فالقرد يعمل ما توحيه فطرته والمرء يعمل ضد العقل والسنن

وهل يعمل الانسان يا أخي بغير فطرته ؟ وهل السنن غير لجام لها ، فمتى صار الرسن شريعة . . . اقرأ قصيدة البرغوث تر حباً ساذجاً وغزلا فطرياً ، لتعلم ان اخانا الصافي غضبان علينا وحدنا نحن الجنس الخشن ، الثقيل الدم ، وتدرك ايضاً ان شاعرنا تاعس الجد فيختم « برغوثيته » بقوله :

وان تصدني كفها أمتْ فدا شبابها

حلو هذا الوفاء... سلمت ياأخي، وعدت بخير من رحلتك المضنية.
لقد صدق العرب : السفر قطعة من العذاب .

والصافي ثائر على كل شيء ، وراض عن كل شيء ، واظنه يفتش عما يثور عليه تفتيشاً ، وفق الله سعيه ، ولهذا يصعب علينا الآن تحديد اتجاهه في أمواجه ، أو نقول من يشبه ، فهو لا يشبه إلا احمد الصافي النجفي ، بل لا يشبه ذاته في قصيدة واخرى . إني لعلى يقين أن الصافي يحلل لنا نفسه في مواضيع عديدة ، ولكننا لم نظفر بعد بصورة واضحة الدلالة بالوانها وخطوطها ، فلا أدري اذا كانت نفسه معقدة بهذا المقدار فلم يوفق الى تحليلها . فبدلا من أن يرينا الصافي نفسه أرانا مباذله ، وما عنده من آلة فجاءت وجوه بعض صوره مقرفة ... خبّرنا عن عواطفه خبراً ، ولم يتغن بها كالشعراء ، فكالمقرر عندي انه لم يجد نفسه بعد ، فهو في لبكة عوّاد يصلح أوتار عوده المشوشة ، أو كالسديم الذي يدور على ذاته ليتم نوره ، فعسى أن نرى كوكباً ساطعاً وشهاباً ثاقباً .

والصافي في أمواجه كطفل يبكي، فما نحن ندري ولا هو يدري ما يريد . فبينا نراه يحنق على فارة وينصب لها مصيدة اذا به يطلقها ، والعفو عند القدرة جميل... ثم يزعجه ديك فيتمنى له الذبح ويشتهي أن يكون له ابن آوى لولا السياج المحيط به ، اسمعها شعراً :

فلو أسطيع كنت له ابن آوى ولكن قد أحاط به سياج

العهد بالشعراء يحبّون الموسيقى والجمال ، والديك موسيقار جميل فاتنة ألوانه ، وشتان ما بين فارة وديك ، ولكن الصافي

مولع بالنقائض . اما ما يبدو لي ، الآن ، من اتجاهه فهو ميله الى الوصف ، وخصوصاً ما يخالف منه العرف ، فيستخرج حكما وعبراً كشعراء العرب الذين توهموا ، أمس واليوم ، ان الحكمة خـــالة الشاعر ، ومن لم يقل الحكمة فهو عندهم كمن لم يزر حلب عنداخينا بشارة في متنبئيته ... وهذا ما اقصى شعراء كثيرين عن الفن .

وبعد ، فليثر الصافي على كل ما تواضع على احترامه البشر الا ديباجة الشعر والفاظه والقواعد النحوية،فان ازدراها ازدرى فنه . لم ارَ له ضريباً في هذا النحو الا فرنسيس مراش الحلبي ، كلاهما حاول التجديد وكلاهما لم يؤدّ اداء حسناً، والفرق بينهما ان الصافي لا ينقصه الا الجلد ، اما مراش ففعل ما اطاقه .

اية ضرورة قضت على الصافي ان يقول :

اذا (هِجنَ) الديوكُ (وصِحن) حينا

فـــذا طولَ الظلام له هيـــاجُ

ثم قوله :

وكم (ضعن) مني في خيالي لذائـــذ

فلم تبق لي منهـــا ولا لذة الذكرى

ما لنا وللبحتري ، ولكن أنرضى بها غلطاً ، كأني به يريد أن يتابع عمر بن أبي ربيعة حيث قال :

(رأين) الغواني المشيب لاح بعارضي

فأعرضن عـــني بالخدود النواضر

وكن اذا ابصرنـــني او رأينـــني

سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

فلو قلنا لعمر مغفورة لك خطاياك لاجل هذه الصورة الجميلة ، أنقول ذلك للصافي وهو لم يخبرنا الا ان الديك يلج في صياحه ... فما احسب الصافي قد ارتكب هذه الاخطاء الا عمدا ، لانه يحب الاخطاء كما سترى ، أو أن غرفته تذكره دائماً بلغة « اكلوني البراغيث »! كفى لغتنا هذا التميّع والتمطط في قواعدها والفاظها. ثم ما أجبره على القول : « فلو باية حيوان تبدلني »؟ وعلى القول :

احشاهما باليـــات كما (بلت) احشائي

ما لنا ولهذه الاخطاء الان ، أفلا أظفر بتعبير جديد في ديوان قرأته من الدفة الى الدفة ؟ فبماذا تفوق امرؤ القيس وعمر حـــتى قالوا بهما : اول من قيد الاوابد ، واول من حيّر الدمع وماء الشباب ؟ الخ ...

ان في الصافي حسناً ولكنه في شعوره لا في شعره ، حسنُ جميـــلة غير مهندمة ، ضاعت معاني جمالها في ثنايا ثوبها المجعد . قلما نلمس في ديوان الصافي اثراً للشباب بل للرجولية ، وقد قلت الوانه حتى الندورة . اما رجولته فتتجلى حتى في أشد حالات بؤسه ، فما هو ذلك البائس الرخو بل بائس صلد كالرخام تحت مطرقة النحات وازميله . امـــا العزمة العربية في شعره فهي كالبرق الذي وصفه امرؤ القيس ، كلمع اليدين في حبي مكلل . والخلاصة ان في الصافي نخوة الفرس العربي الاصيل مهما هزل ودق . اما حنينه الى الطبيعة وغضبه على المدن فينبع من نشأته الاولى الـــتي طلقها فصار يرى نفسه كمنفيّ ، ولهذا جاء شعره وثيق الاتصال بحياته .

ترى في ديوان الصافي أشباه صور ، فهي لا تستوقفك ولا

تستهويك لان صاحبها لم يحذق ابراز خطوطها ذوات المعاني ولم يجد تلوينها ، وهو لو فعل لأرانا جمالا . يحاول الصافي اجادة الختام كأبي نواس وان لم يحسن جمع نفسه في زوره كأسد المتنبي ، ليقفز ختامه قفزاً ويجز جزاً . اسمع ما يقول عن التاجر الشامي الذي خال الصافيَ أميراً بدوياً ، وهو مار بدكانه :

ثم القى شباك بشرٍ ولطفٍ فوق وجهي يرجو بها أن يصيدا
هبّ لما مررتُ بالقرب منه قائلًا : ما تريد؟ قلت : «نقودا»

وبوجه عام ينقص شعر الصافي كثير من الدم ، فهو بحاجة الى كمية وافرة من زيت السمك . اما هو فيرى الشاعرية كلها في مخالفة الناس ، ولهذا يكتفي بوصف الاشياء دون تشخيصها ،فتبقى كما هي ، أي أشياء . واذكر انني قرأت له شعراً قال فيه انه يريد ان يقول شعراً منطق الطير لفظه ، فيا حبذا ، وعسى أن يكون أعذب الطيور ترتيلًا ، ومن يؤت هذا فقد أوتي شيئاً كثيراً ...

نحا الصافي في ذكر قبحه نحو عنترة ، ولكن الشاعر الجاهلي كان أبرع جداً فاستغل سواده حتى لم يبق غذاء في ذلك السواد الا امتصه ، فأخرج الصور الرائعة مبنى ومعنى . وابيات عنترة مشهورة . واذكر شاعراً آخر ، أسود ايضاً ، هو محمد امام العبد المصري ، قد أخرج صورة رائعة لسواده حين قال يعتذر عن عزوبته :

أنا ليل وكل حسناء شمس فاجتماعي بها من المستحيل

وقد حلل أيضاً عنترة نفسية جواده — ولم يتعلم علم فرويد — كسلامه موسى الذي طلع علينا مؤخراً بسادية المتنبي — فاجاد بقوله:

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا اليّ بعبرة وتحمحم

كما حلل الصافي نفسية بعض القطط والكلاب والفار، ففي قوله: « فضحونا حتى أمام الكلاب ! » ختام رائع وسخر لاذع ذكّراني بقصيدة لأسعد رستم الشاعر الظريف ختمها بما معناه : إن هز أذناب الكلاب أصدق من هز أيدي البشر .

وأرى الصافي يبالغ جداً في وصف « غرفة شاعر » وغيرها . يرشدني الى هذا الحكم تغنّيه بقبحه . أنا لم أر فيه جمالا ولكني ما رأيت قبحاً كالذي يصف ، فلا قبح ولا دمامة ولا عاهة – خلقة كاملة ، نعمة زائدة – كما يقول المثل. هذا اذا لم أكن مبتلى بخداع النظر يوم لقيته ، او جعلت وجهي مقياساً للجمال الرائع ...

ذكرتني قصيدته « غرفة شاعر » بقصيدة ابن الاعمى في ذم دار سكنها ، والشاعران بالغا جداً . لو كان في غرفة الصافي قيراط مما وصف لأكلته تلك الحشرات ، فالمومياء لا تسلم من تلك الفئران والجرذان . واذا كان الشاعر ينام حقاً في « اوضة » كالتي وصف فقد ظلمناه في تلمسنا الفن عنده وتطلبه منه . اليك ما يقوله في مفرشه وغطائه :

صارا ثمينين لما صارا من القدماء
احشاهما باليات كما (بلت) احشائي
حتى كأنيَ شلو أنام في اشلاء

وما زالا من جيل نوح فاعجب كيف اجتاز بهما الحدود ... ! وأشك أن في دمشق بلدية ...

١٢ – ١٩٣٥

٣

ان شعر الصافي يشتدّ في القصائد القصيرة الوزن ، وتقل فيه : قد ، والكلّ ، وكلّ ، والغير ، وذا ، والبعض ، ووجود ، وما اليها ، من الالفاظ التي يحشو بها شعره ليستقيم الوزن . قابل اذا شئت ، قصيدة « البرغوث » « وسراجي » ، و « الوحدة » ، و « البدر في الهالة » ، و « الى العميد » ، بغيرها من قصائد الصافي الطويلة الوزن .

ويشتدّ شعر الصافي أكثر في المواضيع العتيقة ، قلباً وقالباً ، كالليل ، والنجوم ، وقد اشرنا اليها ، والهواجس الثائرة ، وبين الفرس والعرب ، ووصف الشاي ، فيكاد يسلم من حوشي الكلام ، وتلك الطفيليات . والصافي لا يتحاشى تسكين المتحرك — قاتل الله من جوّزه للشعراء — فيسكّن الحيوان ، والخشن ، والنهم ، فيزحف شعره سلحفاة ، والشعر يجمل أن يكون فراشة . فاذا صحّ ان للمحيط تأثيراً بالشاعر ، وهذا لا شك فيه ، فخطيئة الصافي في رقبة تلك الغرفة . فالذي يأوي الى مثلها لا يبالي بتكردس الفاظه وتدربكها ...

ورب قائل قال : قد فرغ الصافي مما تستجهد فيه ، اما قال في مقدمة أمواجه :

واسكن كوخاً ما به أيّ زخرف ولكنه كوخ اقامته لي يدي

قلنا اذا كانت البلديات تهدم مثل هـذه الاكواخ وتحرقها ، وتسهر على هندسة الشوارع وتخطيطها، فأحرِ بنا ، نحن ، أن نفعل مثل هذا للمدينة الخالدة .. وكيف نرضى للصافي بكوخ وهو يقدر على تشييد قصر لو تجلد ؟ فلو لم يكن الصافي شاعراً سليقياً لما أعرنا ديوانه هـذا الاهتمام . فالنفس نفس شاعر ، اما التعبير فكذئب البحتري ما فيه إلا العظم والروح والجلد . ومن يكفل لنا ان الصافي لم يقل هـذا إتضاعاً كدي موسه ؟ فالشعراء كالنساك في السنتهم تواضع عميق .

أما بؤس الصافي فنلمسه في قصيدته « ما اسم هذا اليوم » لا في « غرفة شاعر » ، ولا « في الوحدة »، ولا في « الحنين الى الطبيعة» حيث يقول :

طبيعة الكون في خلقي لقد غلطت فلو بأية (حيوان) تبـدّلني

هل جئت دهري هذا في أواخره أم انني في وجودي سابق زمني

اما أنا فاظن الامرين : الزمان آخر والصافي سابق. اما الحقيقة فعند صبي المعري الحبيث .. ثم ما لي ولهـذا الجهد فحديث الشاعر من باب تجاهل العـارف ، وتلك شكوى الشعراء من « أهَيْل » زمانهم فلا حول ولا قوة ...

ويتيم الصافي يذكرني « بأمّ يتيم » الرصافي ذات الديباجـة البحترية . اما كيف انشقّت الارض وبلعت شاعرية الرصافي فهذا ما يحيرني ...

تملّص الرصافي من قـال ، وقالت وتقول ، ويقول ، وتعثّر

الصافي بيقول وتقول ، وكأنه شعر بثقلها فاراد ان يتخلص منهما فجاءنا بتدعو ودعاه ، فكانت أثقل وأشنع كما ترى :

فيقول اين ابي (فتدعو) غائب فيقول غاب اما له من مرجع
ولربما وجد الحنان من امرىء (فدعاه) انت ابي وكنت مضيّعي

اما صرخة الصافي في ختـــام « يتيمه » فموجعة حقاً ، لانها منبعثة من كبد مقروحة ذاقت مرارة اليتم :

ليت الصغار جميعهم لم يعرفوا آباءهم وربوا معـــاً في موضع
كيلا يصيب اليتم بعضاً منهم فيعيش عيشة بائس متسكع

وما اوقع الصافي في تلك الورطة الا تبسطه في الغث والسمين ، وتفصيله كل حركة كأنه يصف حفلة لجريدة : اقرأ « اليتيم » « وانا والدجاج » و« الشاعر والفار » و« الشاعر والقط » ، فترى ان الكلام لم يَنْقَدْ له في القصص الا في « بين شاعر وصاحب فندق » التي اجاد الريحاني حلها في « قلب العراق » فأخرجها فكهة رشيقة ككل ما يكتبه الريحاني في هذه الاغراض :

فبينا تراه يقول ويبدع :

ان رمت في الدهر ان تحيا فكن خشناً
فمنخـــل الدهر لا يبقي سوى الخشن
يعدو الزمان فمن لم يعـــد مستبقاً
امامـــه سحقته ارجـل الزمن

اذا به يسف ويرك شعره حين يقول :

ما ارى المجلس الا حاكياً صوته عن مجلس منعكسُ
ضم آلات بسلك ربطت فاذا حرك يومـــاً ينبسُ

الا ترى كيف اخبرك ان المجلس كالحاكي ، ثم شرع يفصل لك كأنه يشرح للتلامذة درس فيزياء...؟فهو لا يوجز ولا يرمز،ولا يثق بفهم الناس . رآهم لم يقدروه قدره فساء ظنه حتى بفهمهم شعره ، فشرح لهم حتى أملّهم ، والملدوغ يخاف جرة الحبل ...

وفي « خيبة الشعب » يخاطبنا الصافي بلغة « المبجانا والعتابا » فيقول :

تالله ما اعظمها من خيبة نحن زرعنا الزرع والغير حصد

اما الزجّال اللبناني فقد قال ابلغ من هذا الشعر :

يا شجرة البالدار ناطورك اسد

وتكسروا الاغصان من كثر الحسد

نحنا زرعنا الزرع واجا الغير حصد

يا حسرتي عبّوا القمح بعدالنا

أسمعت الشعر الباكي المؤلم ؟ هذا شاعر يبكي ويبكينا معه لانه صادق ، فاين « تالله ما اعظمها من خيبة » التي عصر الصافي يافوخه حتى اخرجها ، من قول الزاجل : « يا حسرتي عبوا القمح بعدالنا » ؟... أرأيت يا اخي الفصيح ، روعة الشعر العامي ؟ فهذا الهتاف يا حسرتي ، وهذه الصورة الباكية : عبّوا القمح بعدالنا ، أي حصدوا زرعه ونقلوا الحنطة في عدله ، فتأمل .

وما قولك يا سيدي الشاعر الكبير ، بالصورة الاولى: « شجرة في الدار ، وناطور اسد ، واغصان تتكسر من كثرة الحسد » ؟ لا تنس ان الحسد يشغل بال القروي جداً حتى على عنزته وبقرته و..

ومتى عرفت ان هذا القوال لا يعني بالشجرة غير حبيبته التي

انتزعت منه ، فلا شك ، انك ستشايعني وتزعم زعمي ان هـذين البيتين من الشعر الحي ، فكل لفظة تبوح بمعناها وتخبر عن لوعة صاحبها ، حتى تكاد تشخصها لك .

وكأني بالصافي يدرك ان الالفاظ لاتطيعه فيقول لنا :

اهوى المعاني عن ثياب اللفظ تظهر عاريه
فالشعر تحجب نوره الفاظه والقافيه

اذن فليكتب نثرا فيريحنا من النقد! ان الوزن والقافية للفنان كبؤرة العدسة التي يتجمع فيها النور . أما الصافي فما اكترث لالفاظه ولا بالى بقوافيه ، فجاءت نافرة شاخصة ، طالعة نازلة ، مداميك لا يردعها خيط ولا فادن ... واليك شاهداً من قصيدته « الشاعر والقط » التي بلغناها الآن :

وكنت مكابدا خجلا لطردي قُطيطاً قط لم يذنب ويجني
حياي من القطيط حياء نبل وليس حياي منهم غير جبن
ففاق حياي منه على حياهم لذاك ضممته لي ضمّ خدن
فهل هو شاعر القطط التقى بي فألف بينه طبع و (بيني)
ايبغي ان ينافسني بشعري ونظرته عن الاشعار تغني

حقاً انها منافسة غريبة قريبة ... ارأيت مرة اخرى ماذا يفعل « التفصيل » بأخينا الصافي؟ وهل من بأس علينا اذا تساءلنا هنا عما تراه يورث الصافي شاعر القطط حتى يقول له :

وكنت اود لو تغدو لي ابنا أورّثه اذا صح التبني

لقد صح هذا يا اخي في اميركا واوربا فورثت القطط خيرات كثيرة .. وما يمنعك من هذا فالوصية معمول بها عندنا فوصّ

لقطك ما شئت ... وان تستشرني قلت لك : ورّثه غرفة شاعر ، اليس هو شاعر القطط ايضاً ؟

اما « الليل والهم » فاعجبتني مبنى ومعنى ، ففيها أثر الخيال الذي فتشت عنه ولم اجده في شعر الصافي ، اسمع وصفَ همّه :

والهم مجنون تراه هادئاً صبحاً ، وان جاء الدجى تهيّجا

وبعد ان يصف جنون « همه » المطبق ، وما كان بينهما من طعن وضرب ، وكرّ ونزال ، حتى استحال الصلح ، قال لنا الصافي :

لو كان همي عاقلا أقنعته لكنني قابلت هماً اهوجا

ويلي عليك يا اخي ! ما اجمل بيتك ، وما اروع همك الاهوج ، وآه من (قابلت) ! ليتك تأنيّت وجئتنا باحسن منها ، فلولاها لقلت لك : انت اشعر العرب يا ابن اخي ، وترحّمنا كلانا على النابغة .

وظل الصافي يتصارع وهمه حتى مطلع الفجر ، واخيراً قال لنا :

فرّ وألقاني صريعاً بعده وقال القاك اذا الليل سجا

قد ذكرني صراع الصافي وهمه بصراع يعقوب مع الرب كما خبرتنا التوراة ، وحمدت الله على ان الصافي لم يفكّ جنبه كيعقوب اسرائيل الذي أورث البشرية « عرق النسا » .

وفي « غناء السواقي » ومضة صوفية ، وفي أبيات غيرها يقترح الصافي تسمية الشوارع بالاخلاق بدلا من الرجال . هب اننا يااستاذ سمينا شارعاً باسم العفة وكان كشارع المتنبي في بيروت فماذا تعمل ؟

واخيراً يرينا الصافي التناقض الذي يتعشقه في صفحتين متقابلتين ١٣٠ و ١٣١ فيقول :

أهوى الكلام من الشعور مجرداً إن الشعور قبوره الالفاظ

ثم يقول :

اللفظ قشر وفيه لبّ المعاني يقرّ
كلاهما مستحق ان يعتني (فيه) فكر
فاللب يفنى سريعاً إن لم يحط فيه قشر

وأخيراً يصارحنا الصافي بما في نفسه فيقول لنا :

لي في الشعر عالم مستقل انا فيه فرد بدون خلاف
لم اشارك غيري لأني كربي واحد لا نظير لي في القوافي

صدق الله العظيم ، الشعراء في كل واد يهيمون . وكأني أرى بشارة الخوري يغضب غضبته المضرية حين يسمع هذين البيتين فينتصب وينشد :

ومعشرٍ حاولوا هدمي ولو ذكروا
لكان اكثر ما يبنون من ادبي

أما نحن فنترك الصافي وبشارة يتناحران على من هو شاعر السماء والارض ، ونمضي في طريقنا عجالى لنرى ما عند الصافي بعد. ها قد وصلنا . فهو يحدثنا عن نفسه بصورة اخرى فيقول :

كأني من الأخطاء طيني مركب فما أصلح الاخطاء إلا باخطاء

وقد فعل هذا حقاً في قصيدة « الطفلة السائلة » بقوله ص ٥٨ :

هل تستطيع العيش من عمل وسنونها لم تبلغ العشرا

فأصلحها في (التصحيح) وسنينها ، وظلت خطأ .. ولا اعتبار

لما ذكره ابن عقيل فذاك سماعي ، وكان على الصافي ايضاً أن يحذف الياء من « كأني » .

وفي آخر ديوان الصافي ثنائيات ورباعيات وخماسيات يجمعها عنوان «أنغام مشوشة»، وهي كذلك . نظم فيها الصافي كل شاردة وواردة شعراً ، وهذه مصيبة . وقد لاحظت هذه القطع فرأيت ان ابياتها الاولى تسخّر كلها للبيت الاخير فتبدو سخنتها كالحة كوجه الاجير عند الصباح .

وفي خاتمة الامواج يشعرنا الصافي في نظمه :

وجمال الاشعار في ان تبين الروح والسر في البيان الفصيح
وكجهم يسعى لتكسير مرآة مداوي الاشعار بالتصحيح
إنما الشعر مثل قذف البراكين ومثل الشكوى من التبريح
أتعيدون قذف طاغي البراكين لترتيبها بشكل مليح

إذن هو في واد ونحن في واد ، هُدينا وإياه . أما ما قرأت له أخيراً في غير الامواج فيثبت لي أن الايام وممارسة النظم ستعدّل الصافي من حيث لا يدري .

أمدّ الله بعمره وأراحه من غرفته وهمه الاهوج ، وحسبه من التجديد انه لم يمدح ولم يرثِ .

وليثق الصافي وغير الصافي، ممن انتقدت وأنتقد ، باخلاصي لهم، وانني أتمنى أن يكون العام الجديد أغزر وأجود محصولا ، فيفيض التقريظ ، ويقل الانتقاد .

٢٨ — ١٢ — ١٩٣٥

الزهاوي
بشارة الخوري
شبلي ملاط

انا ان رثيتك لا اقلد او ابالغ في النحيب
لا البدر هاوٍ من ذرا • ولاالطبيعة في شحوب
لكنّ لحناً للمكا رم نام في الوتر الطروب
يتسألون له اذا افتقدوك في اليوم العصيب
هي دمعة جمدت على شفة المرتل والخطيب
نقولا فياض

واعجباً لهذا القمر فكم مرةٍ ينشق ويهوي ، وللشمس كيف يحترق قلبها حزناً وتكفّن وتدفن ، ولا يتألم لهذا الحطب الجسيم غير الذين يقولون الشعر عربي اللسان — فكل فقيد عندهم قمر يجلو الدجى ولو كان عبداً ككافور ، وكل ميت نجم يأتم الهداة به ولو كان أبشع من بشار ، وكل هدرة سيف تقطع رقاب الدواهي وشمس تضيء .

وكأني بالدكتور فياض الخطيب الشاعر أحسّ بمصيبة الادب

العربي ، وأدرك أن هذا الضرب من الشعر صار اكره من طعام لا تقبله النفس ، وأشأم من احلت املط يصبحك فجر الاثنين ، فقال للناس في رثائه للمرحوم الدكتور الصليبي :

انا ان رثيتك لا اقلد أو ابالغ في النحيب
لا البدر هاوٍ من ذراه ولا الطبيعة في شحوب

حلوٌ هذا القولُ من شاعر وخطيب تعرفه المنابر ، فانفعْ به ، اللهم ، ابطالَ معارك الرثاء والمديح فيتعظوا ويقلعوا عن تلك الصور السمجة ، والتعابير التي ينظمونها كما يصفّ الصبيان الكعاب . ان لحن المكارم الذي نام في الوتر الطروب ، والدمعة التي جمدت على شفة المرتل والخطيب ، تساوي الف شمس تكسف ، ومليون قمر يخسف ، ومليار سيف يسقط بعد طول الضراب ، وغيرها من معجزات النوّاحين التي تضحك الامّ فوق نعش وحيدها .

ظن بعضهم اننا نتشفّى بهذه الكلمات التي تذيعها «صوت الاحرار» وخالوا اننا نحاول الحطّ من قدر النوابغ والعبقريين حتى استجهلونا وعدّوا ما نكتبه تحاملا على امراء الادب ، وتهجما على الشعراء العظام . الله ، الله ! كيف يفوت هؤلاء الاذكياء النبهاء ان الادب لا يصلح إلا بنقد لا هوادة فيه؟ فعلى المريض أن يقبل العلاج المرّ ، وان يصبر على مبضع يشرط جلده ليستأصل الدمّلة قبل أن تستشري ، وتمسي آكلة تسرح وترعى .

ان رسائل السبّ التي يشرفوننا بها ويفكهوننا بتلاوتها كثيرة جداً ، وخصوصاً في هذه الايام ، فالحديدة حامية . اما ما انطوت عليه

تلك الرسائل فكما بصّرتني نورية عبقرية ... ناس يحبوني وناس يسبوني ... واني ، علم الله ، لأقرأ السبّ كأنه الثناء ، فلا هذا يغضبني ولا ذاك يثنيني ، ما دمت لا ارى الا كما قال ابو الطيب : وذكر (شعر) ومحصولي على كلم .

ليطمئن اصحاب تلك الرسائل فما ضاع ثمن طابع البريد ... فسنعلن رسائلهم العاطرة بكل ما فيها من مسك ينمّ عن اخلاقهم الذكية ، وسوف نتمتع جهاراً بتلك الالقاب السابغة : كصاحب الاذن الطويلة ، والذنب الاعقف وهلم جرا ...

*

ان محصول شباط كان هواء وعواصف هوجاء ، فلا بد من عودة الى كانون . كان من مواد هـذا الفصل قصيدة « سليل القرد » للزهاوي ، رحمه الله ، فطواه الموت مأسوفاً عليه ، وطوينا نحن كلمتنا في قصيدته هذه ، رجاء ان نقول فيه يوماً كلمة أعمّ واوفى . فتفكير الزهاوي يستحق الدرس ، وهو شاعر — على قلة حظه من النظم — سار الى غاية ، وشمّر لغرض .

مات كبلنغ شاعر الامبراطورية الانكليزية منذ اسابيع فقالت الصحف الكبرى الاوروبية : انكلترا بين حدادين ، فاستوى عندها الشاعر والامبراطور العظيم . أفلا يعذرنا اللائمون اذا نشدنا شاعراً كنصف كبلنغ ؟ ولماذا لا يكون لنا هذا الشاعر لو قلع شعراؤنا طيلسان ابن حرب ، وخلعوا مداس ابي القاسم الطنبوري ، ناظرين الى ما قدامهم لا الى ما خلفهم ، وعافوا مستنقعاتهم فلا ينقّون بلا شيء كشيوخ محارب ... ولكن من اين يأتيهم الابداع وهم

لا يعرفون ، بل لا يقلدون الا ابا الطيب وابا تمام والبحتري وابا نواس ويشنون الغارة حتى على شوقي ؟ كيف يكون لنا شعراء كبار حقاً ، في عصر ثائر على كل شيء ، وشعراؤنا يحومون كالرخم في جو ضيّق ، بأجنحة قصيرة القوادم ، ممعوطة الخوافي ، كالدجاجة في كانون ؟ بل كيف يُخلق منهم الشاعر المنشود ومثلهم الاعلى ارضاء العوامّ ، لا الشعور والفن ؟

ان هؤلاء الشعراء ، شعراء الظل ، كمن يأكل ثروته في حياته ، ولا يبقي لذريته شيئاً . فلن يكون حظهم من ملكوت الادب اكثر من غني المسيح الذي قال له الانجيل : تذكر يا هذا ، انك أكلت خيراتك في حياتك ولعازار في بلاياه ...

كيف يخلق عندنا هذا الشاعر ولا تطوّر في تفكيرنا وتعبيرنا وصورنا ومقاييسنا — نمسح بالخطوة والقصبة ، ونكيل بالصاع والاردب ، ونقيس بالشبر والباع والقامة ، فقليل من الهم يكشف لنا خبايا هذا الشعر لاننا نقرأه منذ اجيال . معانٍ مبتذلة وصور مضحكة مبكية ، وفخر صفيق . فلو أهدى الينا هؤلاء الشعراء كما قال رمي غورمون في بعض شعراء جيله : « سلاّت حافلة بازهار طريفة معقمة بطفيليات كبرياء فارغة » ، لهان علينا الامر ، ولكننا لا نظفر الا بالشوك من هذا العلّيق ...

قلنا لا بد من رجعة الى كانون فما نظمه الشاعران شبلي ملاط وبشارة الخوري اذيع فيه ، ما خلا ابياتاً شباطية لبشارة ستقرأها . اما الآن فسنعالج قصيدته في الزعيم الكبير ابراهيم هنانو .

جعل الاستاذ بشارة الزعيم المندوب سيفاً يسقط بعد طول

الضراب ، وابراهيم هنانو سيف اي سيف ، ولكن شاعرنا اغرب جداً فيما بعد . فاقام لهذا السيف الكريم مأتماً في الخدود للادمع الحمراء ، وجعلها كبقايا جيش كسيح من الشهب ترامى الشهاب اثر الشهاب ... من منا يستغرب تشبيه الدموع بالنيازك ؟ فالدموع عندما تتدحرج وتتدهور في الخدود تمثل اصدق صورة للنيازك الهاوية ! وهل في وسعنا غير الايمان بما يقول بشارة ؟ فان لم نؤمن كفرنا بلاهوته ، وكانت خطيئتنا عظيمة لا يحلها الا رئيس اساقفة بعد التوبة النصوح والندامة الكاملة ، ووفاء القانون ... وابدع من هذا ما يقوله الشاعر في هذا الجيش الكسيح ، أي المكسوح لا المقعد :

يتعثّرن تارة بالذي جف وحينا يطفون طفو الحباب

ايجوز لمثلي يا ترى ان يسأل : كيف تتعثر الدموع بالذي جف؟ لقد ادركت ذلك ، فليسمح لي الاستاذ ان اشرح لقرائه آيته هذه فهي اعظم من آية يونان .. ان الدموع كماء البحر في الملوحة ، وماء البحر كما تعلمون ، ايها القراء الالباء ، يصير ملحاً متى تبخّر ، وهكذا رأى الشاعر الدموع تتعثر في خدود الناس بالدموع التي تجمّدت وتبلورت ، وسدّت على اخواتها الطريق فيطفون طفو الحباب .. الم تر في زمانك الى (سكر) مطحنة ؟.. اني اخشى ان تدري الحكومة بهذه الملاحات الجديدة فتحجزها ...

ثم ينتقل بشارة الى الاستفهام الذي ذاب به غراماً ، منذ رثاء زغلول الى اليوم ، حينما سأل الناس اذا كان زلزل الهرم ، والى المبالغة التي عشقها ، منذ سقوط عبد الحميد حتى الساعة ، فأوصى قلل

الشرق بقوله : « حاذري ان تميدي ... » اما اليوم فتساءل بشارة اذا كان مأتم الزعيم هنانو طغيان بحر فقال :

اطغى البحر ذو العباب على العُرب فلفّ القصور بالاطناب

لينعم بالاً شكسبير . فلئن ارسى المراكب في حلب فاضحك الناس ، فهذا طوفان جديد قال له الشاعر كن فكان ، فخلق بحرا ذا عباب يغطي عورة شاعر الانكليز الاعظم فلا يصيبه ما اصاب نوح ، بعد طوفان التوراة .

وانتقل الشاعر الى الاستفهام عن مشهد أغرب فقال :

ام هو الحشر يوم زلزلت الارض على صوت برقها الصخاب

لا تتعجب ايها القارىء من قوله : يوم زلزلت الارض ، فهو يحدثك عن الدهر العتيد ، ولكنه جاء بالماضي على حد آية القرآن الكريم :لو ترى اذ وقفوا على النار . وان تقل : ليس العهد بالبرق يصخب ، قلنا والقافية يا لبيب ؟. ثم ما يدريك فقد يكون برقاً جديداً فكل القصيدة عجائب ، وقد يكون برق الارض غير برق السماء !

وخاف علينا الشاعر من الموت رعباً فأخذ يهدىء روعنا ويؤكد لنا باعظم الأيمان واغلظها ان القيامة لم تقم ، ولكنه مأتم ابراهيم ، فاسمع ما يقول :

لا وربي بل ذاك مصرع ابراهيم هز السماء بالارباب

ثخينة يا استاذ ، فلا موت المسيح ، ولا موت محمد أحدث شيئاً من هذا ! أحشفاً وسوء كيلة ؟ كنت استغنيت عن هذا القسم

العظيم ، فنحن نصدقك بلا حلف ، ومن من الناس لا يصدق هذا ! فالارض تدور وتهتز ، وقد تكون جنة الخلد كذلك فمن يعلم ؟ ولكن ألا تخاف على شوقي الذي جعلته فوق سدرة المنتهى أن يمسه سوء في هذه الدربكة ...

وانقض الشاعر ثانية على الاستفهام انقضاض الصقر على فريسته . اني اترك لك وصف استفهامه هذا قال :

سألوا من قضى فقلنا حسام عربي الافعال والانساب

أي سألوا من مات اليوم ، فقلنا حسام ، أي السيف الذي سقط بعد طول الضراب ، وسبحان الباقي ! أما ما قاله بعد :

بل لواء من الكرامة في الذروة ارث الاحقاب للاحقاب

و كتاب من السماحة والاخلاق صلت عليه أم الكتاب

إن ابراهيم لحقيق بهذا الوصف . فقد كان ، يرحمه الله ، لواء كرامة في أعلى ذروة ، و كتاب سماحة وأخلاق ، ولكن «صلت عليه أم الكتاب » قلقة باردة ، بل ليست من الشعر ، فما جرّ شاعرنا اليها الا قوله في اول البيت « و كتاب » فتذكر أم الكتاب بمناسبة الدفن .

ويكر الشاعر على الاستفهام كرة ثالثة ، نجانا الله من الرابعة ، فيسأل سؤالاً لا ادري ماذا اقول فيه ، فيقول :

سأل السيل نفسه ما سيول من اناس سدت عليّ شعابي

كأنه باكثاره من « السين » في هذا البيت ، يريد ان يسمعنا موسيقى المطر ، لان دفن الفقيد كان في يوم ماطر . أما كم مرة يستفهم الناس فذلك ما يعرفه الشاعر الملهم وحده . ثم يغرب في

التصور وهو يظن انه يبدع صوراً ومشاهد لم يظفر بمثلها رافائيل ، فيقول في البيت الذي يلي :

أطرقوا واجمين في الحلل السود كأطياف جنة في ثياب

إنه لمشهد غريب رؤية أطياف من الجن بعد « صلت عليه أم الكتاب ... » . وكم اضحكني قوله : « في ثياب » . توقعت حدثاً غريباً قبل ان يقولها ، واذا الخطب هين ، والحمد لله . أذكرني هذا ما لاحظه بديع الزمان الهمذاني في المقامة العراقية على قول أحدهم :

عاتبتها فبكت وقالت يا فتى نجاك رب العرش من ... عتبي

ومثل هذا فعل بشارة ايضاً في قصيدته « الحلبية » الاخرى ، حين زوج عظيم الجن بماردة مساء ، فما تكشف الصبح حتى وضعت « المحروس » ولم تطرق به كما عبر الرافعي ، ثم كان مؤتمر جني لينتقوا اسماً للطفل فمنهم من قال « صاعقة » ومنهم من قال « عاصف » واخيراً اختال مدة مارد لسن ، لا ادري اذا كان رقص الشرلستون او الدبكة ، ثم قال : سميته المتنبي ...

أفلا تراها اخت « اطياف جنة في ... ثياب » ؟ وهؤلاء الجن صاروا بعدئذ في المأتم كنشاوى مدهدهين الخ .. ولا عجب في هذا أيضاً ، فالجنّ ، نجّانا الله منهم ، كانوا يظهرون لمار انطونيوس ، كما خبرنا السنكسار ، بالف شكل وشكل ، ولماذا لا يكونون في يد الشاعر كخاتم لبيك ؟

اما مقطع « أي أبا طارق » الخ ، فشعر جيد لولا تكرار التشبيه بالسيف والمبالغة ، ولولا تفدية الشاعر الميت بأبيه ، فوالده ،

رحمه الله ، مات منذ عشرين عاماً واكثر ، وأنا حضرت دفنه .

وأرى بشارة تعرّف حديثاً بالجن والمردة والاطياف فاكثر منها هذا الاكثار المضحك ، ولكل جديد روعة ، إلا جديد بشارة لانه عتيق جداً .

وشاء بشارة ان يخبر الناس ، في هذا المضيق ، عن تكريمه في حلب فعاد الى السيف والمارد ، ومارد بشارة تارة يسقط من السماء كالملائكة ، وطوراً يتزوج في الصحراء كما علمت. ثم انتقل الشاعر الى قلعة حلب فابرزها لنا في مأتم ابراهيم كجنان ابي نواس ولكنها تلطم بالعناب لا الورد ، اسمع :

لطمت صدرها له القلعة الشكلى فرقّت لهـا عيون السحاب

وواساها بشارة ، جبر الله خاطره ، ونابت لديه عن حلب ، من باب تسمية الكل باسم البعض ، فخبرنا عن تكريمه وكيف كان الفخر ملء اهابه . رحم الله لافونتين .

وشمر الشاعر شاداً الرحـال الى دمشق ، وبلا حيّا الله ، وسلم الله ، سأل أخت مروان مستفهما منها أيضاً عن محفله في الامس كما سأل شوقي عنه من قبل : افي المصلّى ام المحراب مروان ؟ قضت القافية على شوقي فسأل عن مروان ، فأما ما قضى عـلى بشارة فلا ادري . اظن ان بشارة يريد موكب مروان لا محفله ، وآية ذلك تسخيره الشمس لتعطي يمينها للركاب (كذا) . وبعـد وصف أبهة مروان وعظمته البائدة عزّى دمشق قائلا :

هما يومان يا دمشق فيوم لزوال وآخر لايـاب

فكسر البيت كما عدّى اعطى باللام ، وهـذا لا نغتفره لشاعر

يطمح الى الامارة ، فالناس على دين ملوكهم .

وحام بشارة مرات حول كلمة شوقي الرائعة في الثورة الافرنسية ، فعاد بالخفين المعهودين . قال شوقي في دمشقيته :

دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم انه عدل وحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

اما بشارة فاسمع كيف قال :

وسلاح من الحقوق المدماة نسيج القلوب والالباب
شهرت مثله فرنسا على الظا لم فردته من دم بخضاب

فهذه «المدمّاة»، و « ردته من دم بخضاب » ما مثلت لي إلا أنفاً راعفاً ، ومنديلا توسّخ ، فقط ، لا غير . ومن الحيف بل من الكفر بالفن ان نقابل هذا بذاك . ففي قول شوقي جمال ورواء ، وفي قول بشارة دمامة وقبح . هذا نظم منحطّ وذاك شعر سامٍ .

قال اناتول فرانس في سيلي بريدوم : « كان بريدوم شاعر الاناء المشعوث ، فصار شاعر العدالة ». وبشارة افندي كان شاعر قلبه فصار شاعر السياسة ، وما دخلت السياسة شيئاً الاّ إفسدته . وقد اتخذ بشاره هذه الكلمة المأثورة شعاراً « لبرقه » عندما كسدت سوق السياسة عنده .. فطلقها وعافها ، ولكن بشارة لا يتعظ...

٢

لماذا ارتجّت الامم ، وهذّت الشعوب بالباطـــل ؟ كما قال ابو سليمان في مزموره الثاني :

– ذلك لاننا دخلنا قدس الاقداس ، وخرجنا منه قائلـــين للناس : فارغ ...

ذلك لاننا لمسنا (تابوت) العهـــد اللبناني وهو لم يتعود الا المباخر تتدلدل حوله وحواليه ، فيتنشق رائحة بخورها ولا يؤذيه دخانها.

عتب علينا صديق عزيز نحترم ادبه ونجـله ، وأسف على جهد نبذله لنخلق اعداء لنا في كل بلد ينطق بالضاد ، وسيتعلم « الحرف الجاف » الذي خلقه جديداً المجمع العلمي المصري .

هذا الصديق محب للسلامة كثيراً ، يريد ان ينجو بشارة حتى من الهمس . اما السلامة فنحن في حبها على دين الاستاذ الطغرائي ، وهل النقد شجار ونقار ؟ اننا نأنف ان يظل هذا الادب لعبـــة يتلهّى بهـــا من يفرقعون اصابعهم ، ويتوهمون انهم قذفوا قنابل تنسف الارض فتخرج اثقالها ، ثم يعجبون كيف لا تقول الناس : « ما لهـــا ؟ »

خبرنا هنري دي رينيه كيف استقبل ادباء القرن التاسع عشر النقادة فرديناند برينتيير وخلعوا عليه الالقاب الشريفة ... ونظموا

له في حياته ، ما زعموا انـــه سيكتب على قبره ، واليك العبارة فأقرأها واعذر اصحابنا :

Avec son œuvre tout entière
Ci - git Ferdinand Brunetière

وبعد : فبشاره يسمّي نفسه اليوم شاعر الامة، كما سماها ،امس، الاخطل الصغير ، ففي قصيدته لفخامة رئيس الجمهورية - اده - يقول :

عجباً لشاعر أمّة حسناته في جيدها ، ويُكافأ المتملّق
انا لا أمنّ ،رضيتُ أني طيرها الشادي وأني جفنها المغرورق

وهذا ايضاً من تركة المرحوم شوقي ، اما شوقي فبسط جناحيه على الشرق كله حين قال :

كان شعري الغناء في فرح الشر ق وكان العزاء في احزانه

اما بشارة فرجل قنعان ... اكتفى بقطعة كالتي تمنّاها المتنبي على كافور ، والتي وليها دعبل الخزاعي. بسط سلطانه علينا وقال انه لا يمن ونحن لا ندري بماذا ، أبالرثاء والمديح ؟ أهذا هو الشعر ؟ ثم هبه رضي هو ، كما قال ، فمن يكفل له رضا البنت ، واقناع أمها وأبيها بهذا العريس ... اما من هذا المتملق الذي يكافأ ، فاظن القارىء يعلم أن الشاعرين شبلي وبشارة عوّدانا مثل هذ التعريض ، في كل مناسبة . فبشارة يقول لفخامة الرئيس : « ويكافأ المتملق». وشبلي يؤلمه : « غمط الجميل ، والخيانة ، وطول المطهر»، كما ستقرأ اما الآن فاسمع حديث بشارة :

نفس الكريم على الحصاصة والأذى
هي في الفضـــاء مع النسور تحلق

سيان عند اليأس موت عاجل
او حرمة ترعى وعيش مورق

أما الخصاصة فكلّ خبرها عند صديقنا الريحاني الذي قال له في حفلة جامعة عاليه الوطنية : انك صاحب بيت وبستان ، وصيت رنان ... لقد كان اولى باخينا بشارة ان يكتمها – والرزق على الله – متمثلاً بقول الشاعر : واذا تصبك خصاصة فتجمل . وأما الاذى فكلنا نفدي الشاعر بآبائنا ... لا عاش من يرشقه بوردة .

وشاء بشارة في هذه القصيدة ان يجدد في التعبير فجاءنا بلفظة (شرواك) التي لا تشرى بفلس ، ويلفظها الشعر كما تقيء المعدة مايشوّشها . ولا بدع في محاولته هذه ، اما اراد ان يطول نَفَسه في القصيدتين السابقتين فتضعضع ولم يتماسك كالبحتري حين زعزعه الدهر ، وبرزت الكثيرات من قوافيه ساهمة كاشرة كالفرس في آخر الشوط ؟!

وبشارة يحوم حديثاً حول المسيح ولماذا لا ؟ اما فعل هذا شوقي من قبل حتى شرد يسوع وراء دجلة ... ؟ ففي « الحلبية » شبه بشارة بالمسيح ، فاخطأ لغة بقوله (تغالوا) ولحن في (لا شَدواً ولا زغباً) . ثم عاد فرأى المسيح في شخص فخامة الرئيس – اده – حيث قال خاتماً هذه المنظومة :

فابسط يمينك كالمسيح فربما بُعث الدفين وعاد حياً يرزق

اما الاصلاح فمرجوّ من الرئيس وامين السر اللذين مدحهما بشارة فكلاهما كفوء لاكبر من منصبه ، وآثارهما تشهد لهما ، وما ننقد نحن الا هذا النظم ...

وبعد ايام ظهر المسيح ثالث مرة – فتراءى لبشاره افندي طبعاً – متحداً بلاهوته وناسوته ، في شخص الصديق الدكتور فغالي . ليس في هذا غرابة فالمسيح ظهر للرسل الاطهار مرات ، والتعليم المسيحي يعلمنا انه موجود في كل مكان . اسمع هذه القصيدة العصماء ولا تعجب إن سميّتها قصيدة فكل سبعة ابيات قصيدة ، وهذه ثمانية :

بداك ام بدا المَلَك حيرت من تأمّلك
يا مخرج الروح من الرو ح ولولاك هلك

وهل وقت التوليد ساعة تأمل ، وصلاة عقلية يا اخي ؟ ! لقد كانت تلك الاعرابية خطيبة امريء القيس ابلغ واشعر منك حين قالت لسائلها عن امها : « ذهبت تشق النفس نفسين » (راجع شعراء النصرانية) .

لم يظهر المسيح بعد بل بشّر به « الملاك » في مطلع القصيدة ، فتهيّأ للامر ايها القاريء لتشهد الآية :

كأنما الله الى الناس مسيحاً ارسلك
يا عجباً من ساحر فجّر نوراً من حلك

كان ملاكا ، ثم تجسّد وتأنس مسيحاً ، ثم مسخ ساحراً عجيباً – أفلا تراها اخت اطياف جنة في ثياب... بعد ما صلت على المرحوم ابراهيم ام الكتاب – فحذار يا بشارة ان تجرب الرب الهك فيما بعد..

أناملي العشر وإن قلت تفدّي أنملك

لقد فدّى هذه المرة بما يملك ، سلمت يداه للبحث والتنقيب والكتابة ، فالامة في حاجة الى شاعرها وطيرها الشادي ، الباكي ،

المولع بالتفدية كالعجائز :

يا واحد التوليد ما خاب جنين امّلك

وماذا تراه يؤمل الجنين ؟ ان باب المجاز واسع فليعبر هـذا البيت بسلام لئلا نتهم بالتعنّت ، ولندع ابا نواس يستعدي الادباء المنصفين على بشارة . فكأن بشارة قرأ حديثاً تلبيات أبي نواس فنسج على منوالها واليك الخبر :

حج ابو نواس حين حجت جنان ، وقال شعراً في التقائها عند الحجر الاسود ، ولما احرم النواسي لبى شعراً ، وهذه أبياته نقلاً عن الاغاني ، فقابلها بشعر بشارة ثم قل في ذلك ما تشاء . قد حكّمتك ولا أخشى ان تكون كأبي موسى :

الآهنا ما أعدلك مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك لبيك ان الحمد لك
ما خاب عبد أملك أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك كل نبي وملك
وكل من اهل لك سبح او لبى فلك

بيد ان ابا نواس قال : ما خاب عبد املك، كما قرأت. واخيراً اسف الشاعر بشارة حتى هذى فقال :

لولاك ما كان نجا ولا زقا ولا دلك

ونسي ، على قرب المسافة ، انه قال لنا فوق : ولولاك هلك. ثم يختم هذه التهليلة الرائعة بقوله :

إن نقتسمه بيننا فالجسم لي والروح لك

لا اعتراض على هذه القسمة فقد يكون رضي بها الدكتور

فغالي ، انما لي ملاحظة اخرى على هذه الأبيات « الأبيّات » هداني اليها علم فرويد . ولماذا لا ندعي علم النفس والعقل الباطن ؟ فكل الناس يدعونه . إن العقل الباطن عمل عمله الخطير هنا فنظم بشارة ابياته هذه، دون ان يشعر ، على لحن : «المجد لك يا الهنا المجد لك» التي تقال عند النصارى حين يكلل العرسان ...

والآن وقد مات الزهاوي فجأة فلا بد ان يكون بشارة وغيره شرعوا في النظم . ليت الرجل مرض وترك مجالا لحليم دموس ليقولها يوم نعيه . البكاء على رأس الميت حلو ، ولكن موته بغتة اراحه واراحنا من عذابين ، اما نحن فالى حين . فمن الرب نطلب أن يلهم « شعراء الظل » شيئاً ، فنسمع شعراً لا نرى قلع اضراسنا كلها في ساعة واحدة أهون من سماعه، كما كتب الي طالب الحقوق البيروتي الذي لم افكّ اسمه .

*

ومن محصول هذا الشهر ايضاً قصيدة الشاعر شبلي ملاط وهو الذي علّم بشارة قول الشعر فخراً بنفسه ، وان أقلّ شبلي منه اليوم فلابتذاله . اما بشارة فتفرد به حتى صار شاعر نفسه قبل كل شيء .

وقصيدة الملاط ، وهي في فخامة الرئيس — اده — ايضاً بدأها بقوله :

بيني وبينك ذمة لا تخفر تتغير الدنيا ولا تتغير

فجاء عجز مطلعها على قياس : تتزعزع الدنيا ولا تتزعزع . ويمضي الاستاذ في قصيدته مبيناً تعلقه بفخامة الرئيس حتى يقول :

لا عاش من غمط الجميل، وخان من لولاه ليس له مقـــام يذكر
لا يختفي مثلي ولو رفعوا الذي دوني ولي بالارز عهـــد اشهر

الى ان يصرخ – بعد وصف ما لاقى من اهوال – كما صرخ سمعان الشيخ :

اطلق سراحي إن اردت وخلّني فلقد سئمت وطال ذاك المطهر

المعضلة أعوص من المسألة الالمانية الافرنسية ، ساعد الله الرئيس المدْرَه الحازم على حلها ، فيجد منصباً يليق ببشارة فيملأ عينيه ، ويُذهب خصاصته ، فلا يقول لنا عجباً لشاعر امـــة .. كما قال في حلبيته .

ويمطر الضيم في ارضي واشربه وكنت لا ارتضي ان اشرب السحبا

اما خير حل للقضية فهو اخراج شبلي من مطهره ليدخله بشارة التائق اليه ...

ثم يقول شبلي شعراً في المعركة الانتخابية فيعدد انصار الرئيس واحداً واحداً من نواب وصحف وزعماء ، فتأتي الاسمـــاء بلقاء ، وبعضها نابية ، ناهيك بما يتعمّده من جناس وتورية ، فلولا الوزن والقافية خلت انك تقرأ نثراً حتى يقول :

واذا نسيت فلست انسى (روكساً)
انّ ابن صنـــين الاشم غضنفر

يذكرني هذا النسيان بالنسوان اللواتي يزغردن في ايام الفرح ويغنين لهذا وذاك حتى اذا نسين واحداً ، وان غائبـاً ، اعتذرن اليـه بقولهن : « آووها ، لا تقول يا فـلان اني نسيتك . انت الياسمين وانا خيبتك . الخ » إنّ « خيبتك » تحتـاج الى شرح أي

خبأتك .. وهكذا فعل بشارة ايضاً في حفلة نقيب الصحافة الجليل خليل كسيب لفخامة الرئيس . راجع (صوت الاحرار ٣٠ ك ٢) تر انه نسي ، ثم اوحى اليه بذلك شعر صلاح اللبابيدي فاعتذر .

وبعد ذكر الانصار اجمعين يفقّط لنا استاذنا المـــلاط حساب المسلمين الذين انتخبوا الرئيس فحصل « اليكون » سبعة . وكأنه شاء الا تفوته عبارة « عدا السهو والغلـط » التي لابد منها لكشف التاجر فقال : « وربة ثامن يتستر . » خـــير لك ولي ان تسمع البيتين بنصها وفصها :

زعموا بأن المسلمين تنكبوا عمّن تؤيده البـلاد وتؤثر
فاذا الالى قـد بايعوه سبعة منهم ، وربّـة ثامن يتستر

ويمضي شاعر الارز متدفقاً كنبع قاديشا فيصف لنا هـــدوء الانتخاب قائلاً :

وجرى انتخاب هادىء متوصن حر عليه من المهابـــة مظهر
في دورتيه كان (ادة) ظافراً والله يسعد من يشاء وينصر

حلو هذا التسليم الرباني . ثم يصف الشاعر اصوات المدافـــع وحرس الرئاسة خلف الرئيس وامامه وحواليه ، ويدقق حتى لا ينسى التصفيق المالىء الفضاء ، واستبشار الخلق ، وخصوصاً معلمنا شبلي الذي غلب السرور عليه حتى ابكاه ، فقال :

وترقرقت عيني وقلت لصاحبي يا ليت نعوم المكرزل ينظر

وقد عجبت لهذا الصاحب من اين نبت بغتة ؟ واين كان مخبأ ؟ ولكن الوزن في شعرنا يخلق لشعرائنا ما لا يعلمون ...

أما « يا ليت نعوم المكرزل ينظر » فاخت الحكي البليد ، واذا

قلت : الزجل خير منها ، ظلمت الزجل وحقّ ربي . اما استاذي فرآها آية حتى جعلها عنوان قصيدته ... وشاء الشاعر أن يبين جدارة الاستاذ اده بهذا المنصب السامي فقال :

أ اميـــل قد عدل الزمان فانت من
كل الجوانب بالرئاسة أجـــدر
علماً ومقـــدرة ومنزلة فـــما
احـــد عليك باي شيء يفخـــر

ان جدارة الرئيس ، رجل الساعة ، لا قول فيها ، وقد اقرت له بها امهات الصحف الاوروبية . وأما « من كل الجوانب » و« فما احد عليك باي شيء يفخر » ، فهذه بنت عم « على الاطلاق » في قول بشارة في المتنبي :

رب القوافي (على الاطلاق) شاعرهم
الخـــلد والمجد في آفاقـــه اصطحبا

واخت« شرواك » في قوله لفخامة الرئيس عن الدكتور ايوب:

(شرواك) او هو منك ما اقترح الهدى
صدر بكل يتيمة يتدفـــق

ان هذه الهنات كثيرة في قصيدة الشاعر شبلي ملاط ، فيخيل اليّ انه نظمها ساعة نخوة ، فوثق بكل كلمة قالها حتى « الأبتر » ومعناها المقطوع الذنب ، وليست صفة للسيف ، « وليلك مقمر » وهي كناية مشهورة عن الشيب ...

أكاد أجزم أن الملاط لم ينقّح بيتاً من قصيدته هـــذه ، ولا شطب فوق شعر استقام وزنه . فهو في نظمه وخصوصاً في هـذه

الآونة ، يستسلم لسجيته السخية حتى تكاد ترى بطانتها وظهارتها . وهذا من عيوب استاذنا ، فلو تأنى لاجاد وقال شعراً يحيا ، ولكنه يرحّب بأول قادم . ومن يقرأه في هذه الايام يشايعني على ما اخذته به .

اما بشارة فيخالفه في هذا فانه كثير التنوّق حتى التعمّل ، يتعنّى كثيراً فتتفكك منظوماته ، ويجتهد في عمله ليخرج لك صورة فلا يوفق كثيراً لضعف خياله . ولكنه إن أخطأ الابداع فلا يفوته أن يزخرف ويموّه ويزبرج .

وبشارة يحاول أن يخلق لك اسطورة فتأتي بليدة لا تستفزك روعتها ، بل تضحكك عقدتها حين يفكها بشارة وتنجلي عن لا شيء . كما فعل في اسطورة ميلاد المتنبي التي أراه استلهمها من حلم والبة بن الحباب في غلامه الشاعر ابي نواس . وان تسنح لك فرصة ارغب اليك ان تقرأ رثاء بشارة لمحيي الدين الخياط (جواهر الادب ج ٥) فهناك ترى ايضاً شبه اسطورة ، ولكن درجة حرارتها ٥٠ تحت الصفر .

إن بشارة يجيد الغزل فقط ، وعلى النمط العتيق ، وبخاصة اذا حُرم . فعندما تغزل في صدر «الحلبية» أجاد التحرق ، وان حمل القرب على فمه لا على الجحش مثل الزير ابي ليلى المهلهل .. اسمع البيت :

ما للشفاه الكسالى لا تزودنا فقد حملنا على افواهنا القربا

فهو يريد أن يكون اقوى من الجمال التي حملتها فوق ظهورها .

اما شبلي فيجيد الشعر القصصي حتى الابداع ، وإن لم يوفق اليوم في قصيدة الرئيس فلأنه ألزم نفسه ما ليس يلزمها ، تعمد سرد

ما كان في غنى عنه ، فأسماء العلم يابسة لا تلين مهما نقعتها في بحور الشعر . ولكن قصيدته ستبقى وثيقة تاريخية كيفما دارت بها الحال ، وقد تغنيه عن تدوين وقائع جلسة الانتخاب اذا حورها قليلاً ...

وقصارى الكلام ان الشاعرين لم يقولا شعراً في هذه الاعوام الاخيرة ، بل هما يكرران ما قالاه . فخير للقاريء ان يسمع شعرهما ، في الرثاء والمديح والسياسة ، ولا يحلله وينقده . ومن نقد قصيدة واحدة من شعرهما فكأنه نقد شعرهما كله . ولعلنا ننظر قريباً في غير هذه الناحية من شعرهما ، وهي خير وأبقى من هذه . اما الآن فما يتكردس امامنا من الآثار الادبية يدعونا الى الاحتفاء به والقيام بواجبه فنودعهما آسفين ، فالى حين ..

٣ - ١٩٣٦

شعراء الفرح والترح

١

معروف الرصافي ، بشارة الخوري

*

ان شعر الفرح والترح كالرثاء والمديح والتهنئة ميراث اجيال بعيدة وتركة دهور مات عنها جدودنا الشعراء الدّوارون ، كالقرّادين اليوم . وكنا بارّين بهذه الثروة المباركة فانميناها ، إن مدحنا رجلاً انشدناه شعراً ، وان قلنا لرجل : خلف الله عليك ، نظمناها شعراً ، وان جلسنا الى مائدة دار الشعر في اشداقنا مع اللقمة ، وان شربنا هزجنا وتغنينا نظماً ، فكأنما الشاعر عنانا بقوله :

ولا تشرب بـــلا نغم فاني رأيت الخيل تشرب بالصفير

لقد كان لكل أمة شعراء دوّارون ، ولكن الادب عندهم نبذ منذ اجيال هذه الاغراض ، اما عندنا فكثير من الشعراء ينتظرون تلك الساعة التي لا يعرفها احد ، كما انتظر احد الكهنة موت واحد ليقبض « المعلوم » ويدفع للسكّاف ثمن المداس ... اما « شعراء

الظل ، فينتظرون الموت لا لشيء فهم يعطوننا الشعر مجاناً كما أخذوه من الآلهة وسيان عندهم ساعة الفرح وساعة الحزن. فهم يلبسون لكل ساعة لبوسها إما نعيمها واما بوسها . اذا سألتهم دمعة برشموا وجوههم وذرفوها كأنهم فجعوا حقاً باخ او بابن عم ، وان تطلب ابتسامة تأخذهـــا منهم عريضة ملء الفم فائضة عليه ، فشعارهم افرحوا مع الفرحين وابكوا مع الباكين ، كما علم مار بولص اخوته المؤمنين بالمسيح مصاوبـــاً .

هذه اسباب انحطاط الشعر عندنا ، فالذين قالوه ، في كل عصر ، اكثر من النمل ولكنهم بادوا مثله وذهب ذكرهم مع الدويّ لتفاهة اغراضهم وابتذالها . قالوه كما يقوله اكثرنا اليوم ، غبّ الطلب ، فكأنما الشاعر هو الحاكي ، شُدّ جنزيرَه ، وضع الابرة والاسطوانة ، وركب البوق تسمع الصوت الذي تشتهي ...

قال زهير قصائد شتّى في المديح ما حفظ منها الناس ، عـــلى صدقها ، إلا ما مس حياتهم فقط ، وقال الاخطل والفرزدق وجرير وابو تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم شعراً في المديح والرثاء نسيه الناس ، لم يعلق باذهانهم منه غير شذرات فنية صبغها الشاعر بدم قلبه ، فكانت قطعة أرجوانية لم يأخذ الدهر شيئاً من لونها . اما نحن فما زلنا نقلد اولئك الشعراء متمسكين بأذنابهم ، سائرين خلفهم كالعميان . أنمت في نفوسنا هذه العاطفة ظروف واحوال أماتت عزة النفس ، ثم كان للمدرسة اليد الطولى في إحيائها حقبـــاً من الزمن . فقد كنا في المدرسة نعد الايام والجمع منتظرين عيد معلمنا لنهنئه بالشعر ونظهر براعتنا للمعلمين والتلاميذ ، فيجلس على كرسي

متقنفشاً ، ويتبارى الصف في مدحه وتقريظه. وقد يكون الاستاذ فرنجيّاً ونسمعه شعراً عربياً فيبتسم متهللاً كالاطرش في الزّفة عند ذكر اسمه الكريم . وقد يسمعونه شعراً سريانياً ايضاً كما فعل احد اصحابنا بأحد «الاخوة» في مدرسة... قال له قصيدة سريانية اي عربية الالفاظ سريانية اللهجة فاستغلب الضحك على الناس عند سماعها ، ولكن حبل الكذب قصير فما جازت الاضحوكة اياماً حتى حس بها « الفرير ميشال » وكان قصاص التلميذ الخفيف الروح ركوعاً في المائدة واكل الخبز المقرمش اسابيع .

وقس علينا طلاب المعاهد الشرقية كلها وشعراء كل محيط ، فلا بد من تهنئة الامير بالعيد ، وبالرجوع من السفر ، ولو كان يوم صيد ، ليقال له : على الطائر الميمون ، والعود احمد ، وغير هاتين الكلمتين من الرواسم المعلومة ، ثم بسلامة قلبه اذا زكم ، فنقول له كالمتنبي الذي قال : « اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض . »

ثم لا بدّ إن زار الضيعة مدير الناحية أو قائم المقام من تكليف طالب نظم قصيدة يقال له فيها : حجارة الضيعة رقصت فرحاً ، والشحرور غنّى ، والاغصان صفقت ، والعندليب صاح في الافنان ، وعظام الجدود تهللت في المقبرة بزيارة ابن البيت الكبير وقد يكون الكلب لا يعرف بابه ... وان كان الزائر مطراناً فالامر هيّن ، يقال له ، مثلا : « مبارك الآتي باسم الرب » ، وان وافق ذلك اسمه فهناك البلاغة والتصفيق الحاد ... وان مات رجل عنده من الوجاهة عشر الخبر فلا بدّ من رثائه واقامة وصيّ على البائسين والمساكين بعده ... واذا سيم شاب كاهناً فلا بد ان يهنأ ، وان

يقال له : ان الروح القدس حل عليه ولو كان لصاً مثل مار شينا، واذا بشّر الشعراء بسيامة خورفسقفوس أو ارشمندريت فمجال المدح والتهنئة واسع فيقولون له : انت الصفا وعليك أبني بيعتي ، وما تربطه الارض يكن مربوطاً في السماء ، وبالاختصار يسلمونه مفاتيح السماء ويستريحون .

واذا صار شيخ أو امام قاضياً أو مفتياً فلا بد من القصائد أيضاً ، فتعطى القوس باريها ، ويهنئون المؤمنين باستقرار الحق في نصابه . واذا صار رجل عضو بلدية أو مختاراً في ضيعة فيها احزاب فيفيض الشعر احمر كنهر ابراهيم في الربيع . يهنيء بعضهم بعضاً بالفوز ، ويعرضون بالاخصام بالشعر الحامي.. واخيراً هل يؤاخذني القارىء اذا خبرته ان أحدهم هنأ بالشعر صاحباً لنا شفي من داء البواسير ؟...

اما عدة هذا الشعر وبردعته فاولها ان تكون القافية موافقة : اذا كان اسمه لوقا كانت القافية حريقاً وضيقاً وحندقوقا ... واذا كان اسمه فنيانوس مثلا ، حاولوا ادخال اسمه في الشعر وجعلوا القافية ملائمة اسم ضيعته أو مهنته ، أو عائلته ، أو مركوبه ، وما شاكل ذلك ولا ينصاعون ! . فاذا كان اسمه غيرطيّع نجروه ليدقّ ويدخل حيث يريدون،واذا كانت رتبته التي يهنأ بها لا توافق الوزن الشعري حذفوا منها شيئاً غير خائفين بأساً ، ولماذا الخوف ؟ ألا يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره ؟ كما فعل احدهم حين قال منذ اشهر : ومن غدا كردينالا الخ . فكسر الشعر والتبس علينا الكردينال السامي الاحترام بالدواء المعدّ في الصيدليات للمصابين بالنقطة .

ان البند الاول من دستور شعر المناسبات كثرة الاعلام لتعلو الآهات والحسرات في المناحات، والتصفيق الحادّ في مواقف الفرح.

اننا لا نلوم الشعراء وحدهم بل نلوم أيضاً من يقبلون على هذا الشعر الكذاب ويرغبون فيه، فالشعر عاطفة وفن، واذا خلا من هذين كان تمثالا غير ناطق الملامح، فلو حضر شاعر حفلة صلاة « كبيرة » فهناك من يقول له، بعد الصعود الى القلاّية: أسمعنا شيئاً في ابينا الخوري وقداسه الحلو، فيصفه من طربوشه الى « سكربينته » ... وقد يقول له، كما قال احدهم لخوري صار كاهناً بالغلط، ثم لا ادري كيف صار وكيلا للمطران:

وستلبس (الاسكيم) بعد هنيهة وتحمّر الازرار والزنارا

فمصيبة الشاعر انهم يطلبون منه الشعر في كل محضر وكل محفل، والشعر لا يستجيب كلما دعي. الشاعر كالطائر يغني متى تحرك للغناء، وعبثاً تكلفه الامر اذا لم يندفع. كان عندي كناري كنت اصفر له ليغنى فيكركر قليلاً ثم يقف، وعبثاً كنت اهيجه. اما متى طاب له الغناء فيغني ما شاء، وقد يسكت اياماً حتى اظنه نسي التغريد، او احسبه زكرياء بعد خروجه من الهيكل. ثم يعود فينطق ويفرفر في قفصه، وهكذا الشعراء.

اما الشاعر الذي يغني للبشر متى ارادوا فاقلّ عقلا من الطير.

*

امامنا الآن شاعران: واحد عراقي والاخر لبناني، فاضت قريحتها حين مرّ الوفد العراقي بسوريا وفلسطين ولبنان قاصداً مصر. اما الشاعر العراقي معروف الرصافي فترك في كل وليمة

أثراً ، وفي كل حفلة ذكرى – راضياً او مكرها لا ادري . اما في بيروت فكانت الكلمة لزعيم شعراء الفرح والترح الاستاذ بشارة الخوري . قال قصيدة سينية من وزن :

اصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس

وراعى القافية كما يقتضي شعر المناسبات ، ان لم يكن في اسماء الاشخاص فعلى الاقل باسم الضيعة .. ولا سيما ان هذه القافية تستدعي ما قاله بشارة :

وفد هارون هذه راية (الفضل) وهذا فخر القريض النواسي

أرأيت كيف يقال شعر المناسبات ؟ الوفد وفد هارون ، بعد الف سنة واكثر ، رحمة الله على ترابه ، وليغضب دعبل الخزاعي ما شاء فقد أمنّا شر لسانه الفالت . والقريض قريض النواسي شاعر بلاطه ، والفضل جعلت بين هلالين تنبيهاً الى التورية وغيرها ، والحاذق يفهم ، ثم جاء :

فتح الطيب طيب دجلة من فوديك في موكب من الاعراس

هذا لغز ، ان هبوب الطيب من نهر دجلة اختراع جديد ، قد يكون تحول ذلك النهر الى « كولونيا » فصار في العراق نهر عطر وينابيع نفط . اما ذكر موكب الاعراس فلا بدّ منه تتمة لنفح الطيب وتصديقاً لقول المثل العربي : لا عطر بعد عروس ، ناهيك ان القافية سينية ، وأية كلمة احلى من الاعراس يسدّ بها الشاعر الفراغ ؟

كنت اتوقع ظهور جنان لابي نواسنا في هذا العرس ، كما ظهرت لذاك في المأتم تلطم الورد بعناب ، ثم قال الشاعر :

غزوة للقلوب قام بها الحب فكان الآسيّ نفس المواسي

فجاء ذنب هـــذا البيت ، لتكرار السين ، كرأس نوع من السمك اسمه ابو منشار – انظر رسمه في المنجد – ثم قال الناظم :

صفّق الارز للمبشر بالوفد واهدت تيجانهن الرواسي

أليس من البلية أن يكون الشاعر لبنانياً ويقول : صفق الارز للمبشر بالوفد..؟ فكأن بشارة ما رأى الارز في حياته . ان الارز لا يصفق يا أخي ! الارز شيخ وقور متربّص ويده لا تطاوعـــه ، ولكنه إذ يرحب ، يمد يده احتفاء ، فاذا شئت ان تسخره في قابل فهذا ما يقدر عليه . على الشاعر ان يكون ذا عينين على الاقل ! أما «اهدت تيجانهن الرواسي» فقد تكون صخور لبنان صالحة للتيجان ونحن لا ندري ، أما اذا كان يعني الزهر فهذا اوانه .

ثم جاءنا ببرناس لان القافية سينية ، ولو كانت رائية لحلت محلها عبقر دون شك ، وانتهى الى قوله :

عز بالصيد من ذوائب فهر وزهته الوفود من عباس

ان هذا شرط اساسي في قصائد المناسبات . وكل سر « الصناعة » هنا . فالقصيدة من اولها الى آخرها مسخرة بل مؤسسة على هـذه الكلمة « عباس » ، ففيها يرى شاعر المناسبات كل الروعة والفن ، وان جاءت عابسة بل كاشرة بليدة قلقة تصيح المدد .

ثم قال بشارة عن جبلنا العزيز ، وفي هـذا دعوة وتشويق الى الاصطياف يستحق عليها بشارة مكافأة اخرى :

هو جينيف يعرب كل ما فيه مؤاتٍ وكل ما فيه آس

أرأيت ما أحلى جينيف هنا ؟ انها احلى من «شمس الشمّوسة» !

أرأيت كيف يقول الشعر شعراء المناسبات ، وكيف يلوي زعيمهم الاعلام ليّاً ويطويها طياً على هواه ؟ لم تخضع له سويسرة فاحتل بلحظة عاصمتها واستولى عليها ...! ولا غرابة في الالتجاء الى جنيف فهي اليوم مرجع جميع الشعوب الضعيفة ، وللعراق كرسي فيها ، ولنا عن قريب ان شاء الله فتريح الامم المظلومة من بلاياها واوجاعها وبخاصة « معذبتنا » القديمة الحبشة .

أما تكثير الاعلام فقد وفّاه شاعرنا بشارة حقه ، فذكر لنا في تسعة ابيات احد عشر علماً ، وهي : هارون ، الفضل ، النواسي ، دجلة ، الارز ، لبنان ، برناس ، فهر ، عباس ، جنيف ، يعرب . اما كلمة الوفد فرددها مرات ليفهم الناس انه يحكي للوفد ...

ان هذه لا تستحق التفات ناقد ، ولكننا نريد ان ننزه بشارة ، وهو الشاعر اذا لم يطمع ، عن هذا النظم البارد فلعل في النقد بعض الفائدة له فيقلع عن خطته هذه فلا يقول الشعر للرائح والجائي ، ولا يدكدك الاوزان بهذه الالفاظ ويحسبها شعرا . اما نصيحتي له فهي ان لا يلبي الدعوة اذا لم يوفق الى قول شعر ، فالمعد التي كانت تقبل جرعات كبيرة من هذا الشعر اصبحت تقيء « المسهل » اذا لم يكن من نوع « الملبس » و « الليموناضة » ...

٢

وهذا معروف الرصافي شاعر العراق ، وأحد اعضاء وفده ، كان ينثر الشعر حيث يمر الوفد كأنما هو يبذر ترمساً و كرسنة. قال ابياتاً كالشعر لا اشك في انه نظمها مكرهاً وانشدها مرغماً ، والا عُدّ عيّاً او غير مكترث ، فلفق ما لفق حتى استقام الوزن ، واصطفت القوافي ، وتزاحمت الرواسم ، وقال الرصافي شعراً صفق له الحاضرون حين انتهى من انشاده ، وقرظته الصحف لأن قائله معروف . بيد انني احلف لك الف يمين ان شاعر «ام اليتيم» و « الطبيعة شعر » و « تربية البنات » و « قصة ابي دلامة »الطيبة، كان غير راض عن هذا الشعر الخفيف الذي عرضه في اسواقنا . فكل ما قاله معروف من البضاعة الرائجة وان نقدناه فلكي يعدل هؤلاء الشعراء عن قول مثله .

اسمع ما قاله الرصافي بحيفا في سفح جبل الكرمل ، حيث لا يزال النبي الياس (حيّاً) يسمع ، كما تؤكد لنا التوراة :

قفا صاحبيّ بهذا البلد ... نحيّ رجال الهدى والرشد

خاطب الرصافي الناس بلغة الجمال كأنه في صحراء امرىء القيس لا في موطن مار ياس - بلهجة الجدعان - الذي طار منذ آلاف من السنين على مركبة نارية قبل ان يعرف الناس البنزين

والمازوت . قال معروف : « قفا صاحبيّ » واغلب الظن ان الوفد العراقي عشرات ، فلو قال قفوا لهان الخطب . اما شطره الثاني فليس فيه زيادة على قولهم : السلام على المؤمنين . لا شبيه لبيت معروف هذا الا قول خليل مطران في ذكرى صديقه حافظ ابراهيم : « عظم الله فيك اجر الضاد » ، اي عظم الله اجركم !

اما البيتان الثاني والثالث فهما حشو بل تفسير للبيت الاول ، ما زاد فيهما معروف شيئاً على ما اعتاد الناس ان يقولوا : أي ان رجال حيفا اوادم جيداً — وهم كذلك — ولولا القافية والوزن والطمع بزيادة بيت لما قال :

نحيّ كرام بيوت لهـــا بارض العروبة اعلى عمد

وحيث لا بد من ذكر حيفا ، وفقاً لمراسيم شعر المناسبات ، ليعرف الناس ان الابيات في اجاويدها اضطر الشاعر ان يهـــدر كالحمام مرجعاً :

كرام بحيفا اقيمت لهم بروج تطاول برج الاسد

كأنني بمعروف نظر الى البيوت القائمة على ظهر الجبل ، كفندق هرسليا ، وغيره وما بناه الانكليز على جبل الكرمل فخطر عـلى باله برج الاسد . وقد يكون قصد الشاعر ان يورّي بقوله برج الاسد عن الاسد البريطاني والله اعلم ... رحم الله من قال : المعنى بقلب الشاعر ، فكم نفضّ بها من مشاكل شعرية ... وشاءت القافية في بيت تالٍ ان يقول فقال :

فنخلد في الدهر شكراً لهم ونثني عليهم ثناء الابد

ان معنى الصدر والعجز واحد اي الى ابد الآبـــدين ودهر

الداهرين . واي حرج على الشاعر فالشكر لا يشبع منه !!

ثم شاء الشاعر ان يقول حكمة كمألوف شعراء العرب ، ويزود الناس نصيحة فقالها على نسق قول الكهنة عندنا : « يا اخوتي المباركين ، الحاضر منكم يخبر الغائب ، نهار الثلثاء عيد مار يوسف بطالة من جميع الاشغال العالمية » . واليك كلمته :

فيا سادة قد حللنا بهم وفود العراق فيمن وفد
ألا أبلغوا الشعب ان العلى له في الحياة إذا ما اتحد

انها نصيحة تسوى جملًا ومن النوق العصافير ... اما قوله : « وفود العراق فيمن وفد » فأشك في روايته هذه ولا اعلم صحيحها ، فمثل هذا لا يقع من معروف ، فهو لا يكسر البيت ولو كان يمرّ على الصراط .

اما في مصر فروت لنا جريدة البلاغ ما يأتي : « وبعد تناول الطعام – في حفلة عزام – أنشد شاعر العراق الكبير الاستاذ معروف الرصافي هذه الابيات :

المجد والفضل منشوران في علم على بيوت بناها آل عزام
لما حللنا ضيوفاً في مرابعهم نلنا بها كل اعزاز واكرام
فسوف نشكرهم شكراً نخطّ به لمجدهم سفر اجلال واعظام

وقد صفق الحاضرون اعجاباً بهذه البديهة المواتية . »

ولمن لا يصفق الحاضرون يا ترى ؟ فأف لهذا التقريظ ، بل لهذا التصفيق الذي يغش الشاعر ويصفق الشعر . أقال معروف غير شعر هزيل مبتذل ، وان كان موزوناً مقفى ؟ لقد صح بنا قول المثل العامي : كله عند العرب صابون . اما قوله : « فسوف

تشكرهم » الخ ... فدلني على علمه كل العلم بانه لم يقل شيئاً . لقد كان الاعشى أحكم من معروف حين قال لرسول المحلّق : « قل له سيأتيك ثناؤنا » . اما كان أخلق بمعروف ان يطبق « سفر الاجلال والاعظام » ولا يفتتحه بهذه الابيات المزّة ...

وفي حفلة الدكتور عفيفي باشا كانت جمهرة من الباشاوات ، وكلهم عظيم ، واساتذة وشعراء منهم خليل ، الا انه لم يقل شيئاً بهذه المناسبة ، والعهد بالخليل غير بخيل . اما معروف فقال ابياتاً لا اشك في أنك حزرت ايها القارىء ان قافيتها ظاء ، كما يقتضي شعر الفرح والترح ، ، فاسم صاحب المأدبة حافظ ، فالقافية اذاً ظاء ، كما كانت زاياً في رثاء المرحوم الملك فيصل لانه ابو غازي . أما أبياته هذه فسأسردها لك واحكم أنت بنفسك على شعر المناسبات :

لدى العفيفيّ حافظ للمكرمات محافظ

الله يخزي الشيطان ، ما استطعت السكوت كما وعدتك . انه بيت موفّق جداً ، فيه الاسمان عفيف وحافظ ، وفيه الجناس المطرف ، المتوج ، المذنّب ... سمّه ما شئت . اسمع الآن ما بقي من هذه اليتيمة :

لسانه وهو طلق للدر في القول لافظ
وطرفه للمعالي مدى الحياة ملاحظ
له شمائل غر بها تزول الحفائظ
بها تنال المعالي بها تطيب المواعظ

كأني بلافظ بن لاحظ صاحب امرىء القيس لم يكن حاضراً ..

فهذا النظم كجنين لم يكد يبصر النور حتى صرخ صرخة طارت معها روحه . لا شك ان آثار هذا الشعر البشع ستمحى من العقول بعد غسل الايدي وتنظيفها من وسخ المائدة .. نجنا يا رب من هـــذا الادب وهذا الشعر .

ثم مر الوفد ببيروت فقال بشارة منظومته الهارونية النواسية العباسية البرناسية – كما مرّ بك – وقال معروف أيضاً ابياتا نفض طوقه على اثر انشادها ، كما قرأت في الصحف، ولكنه تمم الواجب – كبّر الله واجبه . اما درة بشارة فنشرتها صحف كاخواتهـــا السابقات ، وكما ستنشر وتقرظ اللاحقات ، وكما سننقدها نحن في محصول الشهر ، وهكذا حتى يفنى شعر الفرح والـــترح أو يستقيم لأشياخه القول فيه .

وبرح الوفد بيروت ماراً بدمشق في طريقه الى العراق فقال معروف قصيدة خيالية في تحية دمشق ، فقـام يحدّث الناس برؤيا ولكنها نيئة فجة ، كان الرصافي فيها حالماً ومعبراً ، وهذا مطلعها:

عنـــدي حديث عن دمشق فأنصتوا
فلقد رأيت اليوم طيف خيالهـــا

طبعاً أنصت النـــاس للشاعر الكبير ليقصّ عليهم ما رأى ، والاحلام لذيذة ، ولو تأنى الشاعر لما جمع بين الطيف والخيـال ، وفي جعبته الفاظ كثيرة والنظم يؤاتيه ، وهو من شعراء القصص البارعين كالملاط عندنا . اما ماذا قصّ معروف اليوم وماذا رأى ، فاليك ما يقول :

شاهدتها والغل ناهز قرطها والقيد منعطف على خلخالها

ثم رأى معاوية قبالها وابا عبيدة عن يمينها وخالداً عن شمالها — ان خالداً غير محظوظ في دمشق حتى في القصص الخيالية ...

وسيوفهم بأكفهم مسلولة والنار تلمع من شفار نصالها

رحم الله عنترة القائل : هل غادر الشعراء من متردم ، فما تراه يقول اليوم لو سمع معروفاً يسرق شطره ويعلق في ذنبـــه هذا الضمير ...؟!

ثم رأى الحزن لوّح خدها — دمشق — واذ لا بد للعربية من خال يتم به حسنها صاغه لها معروف من سواد لاح له كما تقرأ :

شاهدتها والحزن لوّح خدهـا وحكى سواداً فوقه من خالها

ولم ير فقط بل سمع أيضاً ابا يزيد هاتفاً بمقالة دهش المدى بمآلها :

صبوا لظاكم في طريّ جمالها اني افتديت جمالها بجلالها

ان صب اللظى في طريّ الجمال بدعة جديدة ، كنفح الطيب من دجلة ، اما كيف يبقى الجلال متى اكل اللظى الجمـال فهذا ما يعرفه الشاعر الملهم ولا ندركه نحن . ثم رأى ابا يزيد ينتحي ارضاً بلقعاً بالفتاة التي ناهز الغل قرطها ، وانعطف القيد عـلى خلخالها ، وهناك اخذ يخط بالسيف خيوط مثالها ، كما فعل ارخميدوس من قبل :

وعلا به ضربا على اغلالها وعلى قيود الرجل من تمثالها

حتى لقد نهضت وفك اسارها وانبت منقطعاً وثيق عقالها

أرأيت « قيود الرجل » و « حتى لقد نهضت » ما ابشعها ! ثم الا تنبئك «وثيق عقالها» ان هم الشاعر سد الفراغ ليستقيم الوزن ؟ فبعدما صورها مغلولة مقيدة وقاسى ابو يزيد مع صاحبيه خالد وابي عبيدة ما قاسوه من ضرب وطعن كانت النتيجة ان قال لنا الشاعر :

وانبت منقطعاً وثيق عقالها ...

فالبيت يا استاذ معروف ، وانت سيد العارفين ، لا يكون في الحديد ، وهل (منقطعاً) غير حشو ؟ ثم كيف يجوز في فنك ان تتحول تلك القيود والاغلال الى عقال يتجمع على حله ثلاثة رجال من اشهر ابطال التاريخ العربي : ابو يزيد وابو عبيدة ، وابن الوليد وسيوفهم بأكفهم مسلولة ؟ اكل هذا ليحلوا عقالا ؟ لقد ظلمتهم يا سيّد : ان العجلة من الشيطان ، والخلاصة ان قيودها انفكت :

فمشوا ثلاثتهم بها وسيوفهم شبكن كالاكليل فوق قذالها

واخيراً عبر معروف رؤياه هذه بدمشق تفوز باستقلالها، وكفى الله المؤمنين القتال والوفد الجدال ، والكتلة النضال ...

ويلي ذلك بضعة ابيات وطنية عادية وعظات زهيرية أوسية ، واذ لا بد من ذكر الزعيم العامل فخري البارودي صاحب الدعوة، ختم معروف منظومته هذه بقوله :

اني لأشكر لابن بارودیها هما بناء المجد من افعالها
زعيم كتلتها هنيئاً للعلى في الدهر انك من بغاة وصالها

وقد سد الشاعر بالدهر ثلمات كثيرة ، فكأنه ملك يديه وطوع بنانه . وهو لو فكر قليلًا لسلم شعره من هذا الحشو الذي لا يبيض وجهه بعد جلال الشيب وتخطي العمر .

اراح الله الادب العربي من شعر المناسبات ، كوليرا الشعر ، وطاعون الادب ، او فليمنّ علينا ببستور جديد ...!

٥ – ١٩٣٦

محصول الشهر

١

الشعراء الكبار نادرون ، بل هم أندر جدا من العلماء الكبار . بلدوين

وإن شئت فقل محصول شهرين ثلاثة ، منذ وفاة جلالة فؤاد الاول ملك مصر حتى افلات المتنبي من بلوى أنسته وحشته عند كافور . وكان اشد سهامها ايلاماً له قصيدة حليم دموس فصح فيه — بعد الف عام — قوله : « وصرت اذا اصابتني سهام ... »

قال احد الكتاب الفرنسيين بمناسبة ذكرى الشعراء الرمزيين: « اوحد امجاد الفن ان يحبنا ابناء من احتقرونا وازدرونا » . فمن مبلغٌ هذه الكلمة اخواننا الشعراء كيلا يستندوا الأكف في المحاضر ، ويستعطوا الاستحسان في زوايا المقاهي ، ويحكموا الجماهير في رقبتهم ؟ فقد احسن الرصافي في هذه المرة اذ عدّى عن الشعر وقال نثراً في حفلة الشام ، فغلب المسك على ريح « البصل » . انا لم اقرأ كلمته ولكنها بلا شك خير من ألفية لا إبداع فيها ولا تجديد ،

فليس الشعر ان نعود القهقرى ، بل ان نثب الى الامام لنضرب الارقام القياسية للاجيال الآتية . ليس الشعر ان نحملق في الارض مفتشين على السنابل الساقطة لنلتقطها باصابع رخوة وجبين مغبر ، بل ان ننظر الى السهل المنبطح امامنا فنبذر فيه حبوباً سليمة بكف كأن كل اصبع منها سهم يبلغ ابعد مدى ، ثم نشق الارض بمحراث تدفعه ذراع قوية كذراع الرب ... تحلم بالشتاء والربيع وتتوجى حلول الصيف للوقوف على البيدر بجبهة عالية ، كما يرجو المؤمن ساعة الدينونة ليلقى وجه ربه .

فقبل الخوض في موضوعنا الصاخب لا بد من ترصيد الحساب بيننا وبين بعض قرائنا . وصلني مكتوب بواسطة «صوت الاحرار» عليه طابع بريد بروكلن ، توقيعه « عابرة سبيل »، وتاريخه ٤ حزيران . ان تاء التأنيث المربوطة لم تخف عليّ ذكورة الكاتب ، ولكنني سأخاطبه ، تيمناً وتبركاً ، كالانثى ، وإن خُدعت فلي مثيل في التوراة ، ذلك الاب القديم ابن جدنا ابراهيم الذي افتداه الرب بكبش . ألم يقل : الصوت صوت يعقوب ، واللمس لمس عيسو ، حين بارك يعقوب مشتري بكورة اخيه بطبخة عدس ؟ فلتحيَ « المجدرة » التي ابقت لفلسطين نسل يعقوب المبارك .. !

قالت لي هذه السيدة او الآنسة بل العفريتة في كتابها : « بما أن الوقت وقت مطالبات كما تصرحون ، لا اعلم لماذا لم تنشر صوت الاحرار خطبة عكاظ الحكمة ، لأن من يقرأ مداعبتكم للشيخ يكون كالاطرش بالزفة واكثر » – ومع ذلك زغردت لنا من بعيد ، سلم فمك – « فهل صوت الاحرار إخبارية يا ترى ؟ »

انا يا مولاتي لم أنشر خطابي ، الذنب ذنبي فلا تلومي غيري ، وأنا لا ألوم غيرك فقد جعلتني في حديثي معك كمن يلحس الفرن .. والبقية عندك لانك لبنانية تفهمين كلامنا وامثالنا ، والدليل قولك لي : « وأخيراً ، لا بد من يعطيكم العافيـــة ، والتحية القروية لدفاعكم الحارّ عن حشو أدبنا العربي بالتبن بدل الزبيب الدربلي ، كما قلتم مرة ، فالشعر ابن الالهام لا عبد المقام ، هذا إذا وثقنا برأي قادة الشعر في العالم ... الى الان لم ينظم جون مايسفيلد شاعر الدولة في انكلترا قصيدة رثاء للملك السابق ، ولا قصيدة مدح او تهنئة للملك الجديد ، لانه ما لم توح له الآلهة ذلك لا يفعل » .

اسمعي يا عزيزتي جوابي على هذا : قد تكون آلهة مايسفيلد شاعر دولة انكلترا آلهة انكليزية باردة لا طائرة مطوقة حنون كآلهة المتنبي التي تخيلها شاعرنا ... وبعد تناولي رسالتك ، عفواً ، بعد ان شرفني كتابك العزيز ، جاءتني بواسطة « صوت الاحرار » مجلة عربية — « البرازيل المصورة » — ارسلها « احد المعجبين » فوجدت فيها مطلوبك ، أي شاعراً عربياً سدّ غيبة مايسفيلد شاعر الدولة الانكليزية — في ذمتك هذا اللقب — فرثى بعبرة حرّى صاحب الجلالة الملك الامبراطور جورج ومدح خليفته ادوار وهنـــأه ، وهذا مطلعها الساحر :

مات المليك العظيم القـــدر والداب
فابكوا عليه وكحل العين من صاب

الى ان يقول :

فقد رأيناه حراً كاملاً ورعاً مع ان مخدمه ما كان بالنابي

نعم ان الملك جورج أخ لنا وهو حامي الايمان والماسونية في العالم .

فليرحم الله ملكاً جاء ساحته كما يجيء الاسير الخاسر الآبي
وليُجلسَنْهُ يميناً مع ملائكة ويلهم الصبر أهل الكوكب الخابي

لا تعجبي من « يجلسنه يميناً » ، فهذه من طراز « يميناً سر ، وشمالاً در » لغة الكشاف الذي ابتدعته انكلترا. ثم شاء شاعرنا الفحل الهدّار ان يحاكي الشاعر العربي الذي قال : هنا محا الخ . ولكن في ذنب قصيدته لا في رأسها ، فانتقل الى مدح ادوار فاسمعي كيف يقول (مايسفيلدنا) ، وهذا ابداع لا يأتي بمثله الا دموس في الشرق :

وفضله شاع في الدنيا باجمعها وقد أشع كمثل الشمس في آب
وقد تبوّأ عرشاً لا مثيل له اذ قام جبريل والاملاك بالباب

مسكين هذا الملاك العجيّ فكلما عنّ لشاعر غرض اتخذه مرسالاً او بوّاباً ، كما جعله بشارة بدلاً من باسيل القمر بوّاب بكركي يوم مات البطرك الياس . ولم يحرم الشاعر الملك ادوار من طير ابابيل فقال :

في الجو طير ابابيل لتحرسه فتعتلي وتصيد الزردق الهابي

ولم ينس هذا الشاعر الكبير مصيبتنا القومية ، وهذا ما يؤهله للقب شاعر العروبة ، فذكر بها صاحب الجلالة رأساً ، غير مكتف بمعاتبة جون بول ، كبشارة الذي يأتيك خبره ، فاسمعي الآن قول شاعر « البرازيل المصورة » :

فان لفظاً تؤديه يفرجه
ويمنع الخلف من حيفا الى الكاب
هذا رجاء فأيّد ما يهمّ به
لطفاً من الملك المحفوظ بالآب ..

والابن والروح القدس ، وربما يقصد الآب الضابط الكل ، ما يرى وما لا يرى .. كيف رأيتِ ؟ أأعجبك هذا الشعر يا اختي؟ قولي معي يخزي العين ، فالمجلة بجملتها مدفع رشاش ، ولكنني سأكتفي منها بكلمة اخرى وجهها الشاعر تهنئة لفخامة الرئيس الاستاذ اده ، فاسمعي الغرائب العجائب :

بمثلك قد لاقت رئاسة لبنان لانك في الكهلين في عزم شبان
ولا عجب في ان تعز وترتقي
الى القبة الخضراء في الفلك الثاني

الا ترين معي ان الله رفع شاعرنا هذا الى اسفل ، فحلّق في جو اعلى من جو شعرائنا الذين مدحوا فخامة الرئيس ؟ ويكفينا منه هذا الختام لنعده مع الفحول :

ودم يا اميل الخير للمجد والعلى فطلعتك الغراء خير للبنان

واذا قلبت الصفحة الاولى قرأت على الصفحة الثانية قوله ايضاً لرئيس ولاية سان باولو :

فدم يا رئيس الخير للعز والعلى لتحيا الرعايا في حماك وترتعا

فافتحي مناخيرك يا اختي وتنشقي عبير هذا الادب ، واسألي مار شليطا ، ان كنت تؤمنين بشفاعة القديسين واختصاصهم مثلي ، ان يشفع بنا لدى الله فلا تقع هذه المجلة في ايدي المتمشرقين فتتخذ

نموذجاً للشعر العربي في القرن العشرين ، عصر الاعاجيب ، فيطول عمر الانتداب سبع سنين .. وتعود وفود العرب من باريس ولندن تلعن الشعر والشعراء .

وان لم تعجبك بضاعة البرازيل التي اهداها الي هـذا الشيطان « احد المعجبين » حتى وضعت بين « المعجب » و « العـــابرة » ، فدونك ما قاله شاعر مصري يوم مات المرحوم الملك فؤاد . الشاعر هو عبـــدالله العفيفي ، وقصائده تحلّ اليوم في جريدة الاهرام الخطيرة محل قصائد شوقي :

هل تعرفون على من نكس العلم هـذا عماد الحمى والملك ينهدم

لا يا سي عبدالله ، ما عرفنا على من نكس العلم ، وليتك مـا خبرتنا ! لقد ذكرتني بكاهن أخذ جمجمة من المقبرة قبل ان وقف ليعظ ، وعرضها على المؤمنين واخذ يسألهم عنها عـــلى نمطك حتى ازعجهم ، فقال له واحدساذج : هذه جمجمة طنوس يافث يا محترم ، ماذا تريد منا بعد ...

ثم ضاق الوزن فلم يسع (الى) فقال عبدالله :

فؤاد اين ، ومصر غير آمنة الريح عاتية والموج ملتطم

لا اعلم ، وشاء الشاعر ان يورّي فجاءنا بهـذا البيت المفكك الاوصال الممزق كالاشلاء :

احالها الحزن اشلاء ممزقة جسم بغير فؤاد كيف ينتظم

ثم خبرنا ان يراعه كان يستمد الوحي من الفقيد العظيم بقوله :

قد كنت وحي يراعي حـــين اشرعه

فالآن بعـــدك لا شعر ولا قلم

صدق الشاعر فقد نظم بمناسبة الاربعين قصيدة طويلة لا وحي فيها ، ومع ذلك افتتحت بها الاهرام نشرتها ، وضبطتها بالشكل الكامل خوفاً من ان تضيع بعض الفائدة ، أو ان يغرب شيء عنا من اسرارها البيانية . القصيدة منتقاة الالفاظ جيدة الوصف حافلة بالعاطفة ولكنها عاطفة من لايؤاتيه الابداع فيخرجها بصورة رائعة .

نظم قصيدته هذه على وزن قصيدة ابن سينا العينية التي قال مثلها الحوراني في رثاء ابراهيم اليازجي . وقد رأيت في قصيدة عبد الله بيتاً ينظر — كما يعبر صاحب اليتيمة — الى بيت الحوراني ولكن شتان بينهما ، قال الحوراني :

كيف التفت أراه مبتسماً على عهدي به فكأنه يحيا معي

وقال العفيفي :

أنى التفت فملء عيني شخصه وحديثه المأثور يملأ مسمعي

واغرب عبد الله كما يغرب عندنا ابو عبد الله ، فخبرنا ان النيل واله — كناقة الخنساء — متعثر ، يفيض بعبرة منهلة وهم مترع — لا بدع فالايام ايام الفيضان — حتى لبس السواد وسعى زهره بقادمتي غراب ابقع . هذه عادة شعرائنا في الرثاء لا يقلعون عنها ولو انقلعت عيون النقاد كلهم . انهم يسخرون الطبيعة لما يريدون ويشهدون عليها زوراً . ان مصيبتنا بشعرائنا كبيرة ، يقولون بل ينظمون الشعر لا ادري لماذا . اتريدين أيضاً من هذه البضاعة ؟ خذي ، لديّ منها اكثر من ذنوب ابي نواس . نظم العلامة الاستاذ عيسى اسكندر معلوف عضو المجمع الملكي المصري تاريخاً لوفاة الملك فؤاد ، قال :

رمت ارض الكنانة بالفواجعْ سهام مزقت منـــا الاضالعْ
بلاد العرب قـــد فقدت فؤاداً عزيز الملك محمود الصنائـــع

الى ان يقول :

نعزي الدولة العظمى بخطب يخفف وقعه (سعد الطوالع)
فؤاد غاب لكن ارخوه بفاروق فؤاد العرش راجع

١٣٥٥

وفي القصيدة تنجيم و كشف بخت ، وهذا يقتضي الحساب اما الحساب فمضبوط ، ولكن الشاعرية خائرة خائرة ، يـذكرني نفس الشاعر بالمرحومة عائشة الباعونية .ليت الاستاذ المعلوف يعمل بمثلنا اللبناني: طلعت ذقن ابنك احلق ذقنك. لقدجرب الاستاذ آلهة الشعر طويلا فما حنّت وما رقت ، وما نظرت عطفاً اليـه كما ترجى ابن الفارض ، فليدعها وشأنها . أما تجاوز حد الاربعين؟ فليترك الشعر للمحروسين ...

وماذا تريدين مني أيضاً يا عزيزتي ، ذكريني . واخيراً قلت لي: « عسى ألا اكون ازعجتكم بتطفلي على ساحة ادبكم ،أو عكرت دقيقة من وقتكم اوان العطلة الخ . »

قلت بنبرة قوية تكادين تسمعينها من بروكلين لو تمسكت بخيط خائيل نعيمه الذي مدّه لماري هاسكل :

« حاشاكِ يا ست ، أهلا وسهلا بك ، شرّفتِ وما كلّفت ، ثنّي ولا تجعليهـــا بيضة الديك ، واذا زرتنا مرة أخرى فارفعي ازارك – بلا معنى – لا تؤاخذيني ما قلت اخلعي عـــذارك . لا تقطعي عني رسائلك ففيها إلهـام ووحي . عشتِ يا عروس وسلمت

للارمل الذكر – كمال قال جرير – الذي يغتنم الفرصة ليسرق اعلاناً في « صوت الاحرار » وينشره بلا ثمن ولا رقم ...

حيا الله روحك الخفيفة . اما ما بقي من كتابك فسيبقى سراً مطوياً لا ينشر إلا بعد موتي ، وهو ابيض كقلبك ، أسود كحظي من الدنيا ..

٨ – ١٩٣٦

٢

بيدر مصر

أما الاديب الاستاذ محمد اسعد الكيلاني الذي احال عليّ غريمه (المنار ٢٣ تموز) ببراءم الشاعر الاستاذ عمر يحيى فهو عندي باليمين وحوالته مقبولة ، ولولا انصرافي الى درس محصول الشهر لأديتها « غب الاطلاع » ، فللاستاذ عندي مبلغ من الفضل ، بل امانة في صندوقي تخوله حق التحويل على مصر في ساعة يشاء ، ولصاحب « البراعم » ايضاً كرامة يستحقها ديوانه الذي أهداه الي منذ اشهر .

ولا بد ايضاً من رد كلمة جاءتنا من خلف سبعة بحور – كما يقولون في لبنان – بعث بها الى « الهدى » حضرة الاستاذ حنا الخوري الفغالي . تجاهل الاستاذ حنا وقال : « انه لا يعلم ولا بشارة الخوري يدري اسباب غضبتنا » . قلت : « والداعي ، ايضاً ، لا يعلم انه غضبان » . واخيراً افترض اخونا حنا الاسباب ليقول : « ان كانت ليعرب وثاراته فقد اخفق مارون عبود . وان كانت سياسة فهل دخلت السياسة شيئاً الا افسدته » اما ثارات يعرب فندع الكلمة الفصل فيها للمنصفين الذين رفعت عن اعينهم الغشاوة . واما السياسة فما ابعدنا عنها ! إنا نؤمن ايمان بطرس بافسادها ، ونصدق هذه

الكلمة المأثورة تصديق ابي بكر ، وعندنا على ذلك براهين قاطعة : اولها افسادها شعر اخينا بشارة . فلو ظل ابو عبدالله زهيرياً كما نشأ ، يبكي وينوح وينتظر الحبيب في الزاوية حتى اذا اخلف الميعاد صرخ من قلب مقروح بلسان البهاء زهير :

ووعدتني يوم الخميس فلا الخميس ولا الاحد

لكان له الشعر الغنائي المحبوب على علاّته ، ولكنه عدا طوره ومزاجه . شاء ان يقول شعراً قومياً سياسياً ، وعضلاته رخوة ، فاخرج هذا الشعر المشرشر ، الذي رأيت وترى نقده .

ان بشارة شاعر مقاطع ، وإن اردت كلمة اوضح فقل « طقاطيق » مثل : الهوى والشباب ، وجفنه علم الغزل ، وغيرهما من شعره الرائق ، فهو لا يسكّ في هذا الميدان .

وهناك رسائل شتى لا ينفسح المجال لذكرها ، منها واحدة توقيع صاحبها « اخوكم ابو احمد » طواها على « حاملات الطيب » — طرابلسية معلمنا شبلي الملاط فطوينا الثنتين معاً لمّا بدا لنا من مرسلها عيب نفسه ، فهو يتمثل بشمشون حين قال : علي وعلى اعدائي يا رب ... أما الآن فلنعد الى موسم الشعر في مصر .

*

ان الحصاد كثير والفعلة قليلون فنسأل رب الحصاد ان يرسل فعلة لحصاده . يظهر ان عالم الادب العربي جارى الطبيعة هذا العام فكانت هذه الآونة ايام حصاد . الحصاد كثير كما قلنا ولكنه خفيف ، البيادر كبيرة ولكنها قش سنابله هيفاء ، فحظ الاهراء منها قليل ، اما حظ المتبن فكثير . هذا ملخص رأينا العام في بيادر هذا

الشهر ، فلنذرّ أولا بيدر مصر .

ان حلم فرعون الذي عبره له يوسف بن يعقوب يصح في مصر الادبية ايضاً . ابتلعت البقرات السبع العجاف ، القباح الهيئات جداً ، البقرات السبع السمان الأبدان ، الحسان الصور . وقد ذهبت السنابل الجافة الدقاق ، كما تقول التوراة بالحرف . فموسم الشعر الذي اقيم هذه السنة ، بعد استعداد سنوات ، فحل قبل ان اكتنز ، فلم يبيّض الوجه ، وكان أبشع جداً من البقرات السبع العجاف ، وكأنهم شعروا بفشل موسم الرز فشاؤوا ان يعتاضوا منه بموسم الفول ... فقد بلغنا انهم سيقيمون موسماً آخر سموه اولاً « موسم الشباب » ثم « مهرجان الشعر الحديث » فاغضبوا الدكتور زكي فقامت قيامته عليهم في « الجهاد » . ان تسميته بالمهرجان ألبق وأليق ، فمن الموسم ترجى الغلة ... اما المهرجان فاسمه يدل عليه . ولماذا نستعجل الامر قبل اوانه ؟ قد يكون بين فتيان هذا المهرجان من يحقق قول شاعر الشباب الخالد :

ويأتيك بالاخبار ..

وكأني بالدكتور مبارك قد شعر بمحل « الموسم » فكتب في « الجهاد » يخاطب العرابي باشا وزير معارف مصر : « لو كان الشعراء ينتظرون منك هذا الصدر الرحب لما طوى الهراوي قصيدته في معاتبة رئيس الوزراء ولما أخفى الاسمر قصيدته في « الامتيازات الاجنبية » ولما اغفل صاحبنا فلان — اي هو الدكتور زكي — قصيدة « غريب في مصر » لينشد قصيدة « غريب في باريس » .

قلت : وأيّ فرق بينهما ؟ فليس في هذه من ملامح باريس الا :

أديم أجوائهـــا سواد فلا شروق ولا غروب

فلولا هذا البيت لاستطعت ان تعنونها « غريب في تل أبيب » ومع ذلك فأنت لا تخطيء اذا عنونتها « غريب في وطن بلفور » . ان « غريب باريس » قصيدة الدكتور زكي ، من البضاعة الرائجة في البندر لفظاً ومعنى ، فهي معرض للالفاظ المسوّسة ، والصور البائخة : كرقابـــة النجم ، وشهود الزهر ، والصبا والشمول ، وعيون المهى ، ومجنون ليلى . ليت دكتورنا استبدل المجنون بابن ابي ربيعة ، فمحيط باريس ربيع قلبه ، انه يلائمه جدا ، ولا يرى فيه مثل ابي الاسود ... انه يغنيه عن (عتيق) فيكون عتيق نفسه في بلد يريه كل ساعة جديداً . كما نتوقع الجديد من دكتورنا الذكي وهو يأتينا بشيء من مثله انما في غير الشعر .

هذا ما ازعم للدكتور فعسى ان أقرره عليـــه ، فنصيحتي له — ان جاز لمثلي ان يعالج دكتوراً — ان يطلّق النظم ثلاثـــاً فليس لما ينتجه هيئة من يعيش . قلت هذا لان طعم قصيدته « يا أهل اسيوط » ما زال تحت اضراسي ، ولا ازال اذكر مطلعها الرائع باعجاب ...

يا اهل اسيوط لا زلتم بعافية وان تمرد في وجدي بكم دائي

عوفيت يا صاحب ، وشفاك الله من وجدك بالشعر ، الزمِ المنشورَ يا شيخي ، فلا خبز لك في معجن عبقر . ليس الفن الشعري ان نردد ما قيل ، بل ان نقول ما لم يقل ، ومن يعمل غير ذلك ضل وانتحر على اقدام الآلهة .

اني اخاف عليك الضجر والملل ، ايها القارىء ، ان فصلت

لك وصف هذا الموسم الماحل ، ولذلك اجمل قائلا لك: ان اغراضه مما قرأت وتقرأ كل يوم ، فهناك وصف خمر ، وحكم ، وقوميات حتى الوقوف على الاطلال ... ما في وقوفك ساعة من باس .. ان اكثر شعره مقول ، بل هو محصول اعوام سالفة تشم العطن اذا استروحته ، وترى العفن ان تأمّلته ،أما المستبضع مثلي فلا مفرّ له من احتمال الروز والتقليب فاسمع كلمتي في ثلاث اربع قصائد :

افتتح الموسم الاستاذ الجميّل بكلمة من منشوره كانت خيراً من شعر الموسم ، ودلت بوضوح على ثقافة انطون العميقة وروحه الشعرية التي عرفناها يوم كان بيننا يحرر « البشير » . اما « عاصفة روح » ، قصيدة ناجي التي استغربها بعضهم ، فهي من الشعر الحديث الذي يتعمل شبابنا اليوم لقول مثله ، ويسمونه الشعر الرمزي . ان موسيقى قصيدة ناجي وافية ، والتزاوج بين الفاظها ملائم فلا خوف من الطلاق الباكر . اما ان نطلب المعاني المستقلة من مثل هـــذا الشعر فليس هذا غرض نظّامه ...

في القصيدة الفاظ تخالها تعريباً لتعابير شعراء المدرسة الرمزية الافرنسية ، ولكن المخالفة تبرر انتحالها ، فالدكتور حسن الذوق للتفصيل . وهو بارع في القصّ على الهنداز .. اكتفي بان ادلك على عبارة واحدة لتقيس عليها وهي زورق سكران Bateau ivre لستيفان مالرمه ، استعملها الدكتور بقوله :

لا يهم الرياح زورق غضبان

وعندي انه لو ابقاها كما قالهـــا ذاك لطابقت المرام اكثر ، فالسكر أحرى من الغضب بزورق يتقلب بين اكف الامواج .

اما الشاعر الحاج محمد المهراوي ، داعية الموسم الذي لم يتحقق إلا بعد ثلاث سنوات – ليتـــه ما كان ! – فقال قصيدة عنوانها « التجديد والتقليد » ، افتتحها بهذين البيتين :

هـذا مجال تنازع الافهام من غير تفرقة وغير خصام

الحمد لله !

يا قادة الرأي الجديد تحيـــة ، لو صح زعمكمو ، والف سلام

لا أدري اذا كانوا ردّوا عليه السلام ، ام اضطر الدكتور زكي ان ينهج نهج الحجاج في العراق ، ليجبرهم على ذلك... ثم اخذ مولانا يفنّد زعم المجددين ويزدري قصصهم ، ويقول ان سوقها بارت في الغرب – من خبّرك هذا يا حاج؟ – ويخبرنا ان الشرق سبق اليها حتى قال :

اتعيد ثورة الحديث مجدداً وترده لخرافـــة الاصنام

اذا كان المهراوي يعـــدّ القصص اعادة حديث ، فما تراه كان يقول في شعره لو قرأه وهو يعلم انه له ؟ وشاء الشاعر ان يحدّد لنا الشعر تحديداً قاطعاً مانعاً فقال ، ولم يجد :

والشعر ما هو غير موسيقية في حسن قافية ونظم كلام

ألم تهزك هذه « الموسيقية » ؟ ألم تتذبذب كرقاص الساعة حين سمعت « ما هو غير » ؟ والله ما قتلنا إلا مثل هذا النظم الذي يعده صاحبه انموذجاً ، ولكنه ، أيضاً بلا قيمة . وتخطى الشاعر الى بحث النثر فعيّر الناثر قائلا له :

فتقول في (اثنين يوم) مثلهم لا في مدى يومـــين في الايام

شاء ان يتهكم فجاء بالسمج البليد ! ما سمعنا احداً عبر هكذا

حتى ولا طه حسين الذي يفتخر بانه يفتكر في الفرنسية ، فاثنين يوم ابشع من ربابة بشار ، و « مدى يومين في الايام » معفنة . ثم هل يكون اليومان من الحيوانات ؟! عفواً لم انتبه الى الضرورة التي تحل من الناموس ، فداود أكل خبز التقدمة لما جاع فالقصيدة ميمية وانت في حاجة الى كلمة — في الايام — لتسد بها فم الفراهيدي... ليتك لم تنظم هذه التوافه شعرا ، فالشعر براء من كلام ليس فيه حسن قافية كما قلت ، ولا هو نظم كلام كما امرت .

وتقول مثل الثلج غرة وجهه لا مثل وجه البدر حين تمام

قاتل الله الجمود والتحجّر ! اناضل الجديد بهذا السلاح الصدىء؟ والاستاذ يريد في بيت آخر ان لا نصف الثغر الا بالدر المنظوم ، فلا فض فوه ليظل حريا بهذا التشبيه ... وتطرق الى ذكر الالفاظ الدخيلة مثل « اوكازيون » و « ركلام » فأصاب . اننا في غنى عن تعريب لفظة تؤديها لغتنا . ثم ختم هذه المنظومة الفريدة بقوله :

مالي وللنقاد اسمع رأيهم ما قادني عقلي الى الاوهام

ولكن النقاد لا يعفونك، وسيان عندهم سمعت ام لم تسمع ، فهم ينتقدون ولا يبالون بالمنقود ، بل يجعلونه عبرة للاجيال الآتية التي يرجى صلاحها .

واخيراً توارى عنا الهراوي وهو يردد هذا البيت الفذ :

وطني هو الملي علي قصائدي جددا وشعري لوحة الرسام

ولكنه رسام مخربش ، وجديدك أعتق من توتنخامون . والحق نقول لك ، بعد هذا الموسم : تمخض الهراوي فولد .. ثمامة .

حاشية — فتشت كثيراً على قصيدة محمد الاسمر لانني تعودت

أن أقرأ له شعراً فما وجدتها . فلعل له عـذراً دلنا عليه الدكتور زكي الذي نقدر ادبه ، ما خلا الشعر منه — وهو عاذرنا .

وبعد هذه المرّة العجلى بالموسم سنذهب بك الى ساحـة امير الشعراء الاستاذ العقاد ، فتسمع قصيدته التي قالها في رجـــل مصر المرحوم سعد فتطرب وتهتف : إن من البيان لسحرا !..

٣

قصيدتا الجارم في الملك فؤاد وسعد

لم تمسح مصر دمعتها الحرّى على ملكها المحبوب حتى قام فيها « موسم الشعر » ، وما انفخت دفّ الموسم وتفرّق العشاق حتى جاء يوم سعد .

قرأت بعد كتابة الفصلين السابقين من محصول الشهر قصيدة لشاعر مصري هو علي الجارم قالها في جلالة الملك فؤاد . على القصيدة رزانة المشايخ ، ووقار الخوارنة والأئمّة . خلعت عليها قافيتها شدة وأسراً فقرأنا عاطفة صماء في معرض الرثاء الذي يقتضي رقة ولياناً . ما عرضت لهذه الا لأتحدث إلى اخت لها وأقابل بينها وبين « عذراء » العقاد في سعد .

في علي الجارم نخوة عنترةٍ متأنٍّ ، أنبأني بها انشاده في الراديو ، فهو ينتخي حتى في الرثاء . أما نظمه فعربي التفكير كأنه لم يقرأ في حياته غير العربية . لا تلتمس عنده صورة ولا تعبيراً جديدين فهو من نوع الشاعر الذي يريده الهراوي . يقول لك كالاقدمين :

جلل هزّ كل ركن وهدّا ومصاب رمى القلوب فأردى

فتخالك تقرأ دالية البحتري أو كأنك أمام شاعر في الخيام

جس بزتها ، وناظم كالشنفرى يتصور الرمي فالارداء ... إن الالفاظ امنية الجارم لا المعاني ، فهو يقول لك لا لشيء :

كلّ صدر به انين ووجد مرسل خلفه انينا ووجدا
وخشوع من الجلال تراءى وجلال من الخشوع تبدّى
فرأت حزم جاهد لن يبارى ورأت جهد جاهد لن يحدّا

ذكرني هذا بقصيدة رفيق لنا قالها يوم عيد استاذنا الخوري انطون رومانوس ، كانت كلها على هذا الحدو :

متغزلا في مدح انطون التقي في مدح انطون التقي متغزلا

والشاعر يصور هول المصاب فيوفق إلى هذا البيت الجميل ، على ما فيه من مبالغة :

ونشيج اقضّ من مضجع الليل وماجت له الكواكب سهدا

ورأى شيخنا الحشد العظيم فشبهه ، على عادة شعرائنا الكبار ، بالبحر والجبال ، ولم ينس ان يقول ايضاً :

فوق سطح البيوت كالنحل فانظر ثم إياك ان تحاول عدا

لماذا يا شيخ ؟ وماذا يصير لو عدّ ؟ .. آه ! تذكرت الآن ، كانوا ينهوننا عن عدّ النجوم خوفاً على اصابعنا من الثآليل ... وبعد فعند ابي شادي الخبر اليقين لانه أدرى بالنحل ... وتجتاز القصيدة من الباب إلى المحراب فترى الشاعر لا يتخيل الا سيفاً وزهوراً ، وكواكب ودوحة تمد الظلال في مصر مداً الا انه لم يقل كالاخطل : ما ان يقاس بأعلى نبتها الشجر . ثم رأى رأياً يفضح الصبح ، وجبالاً تسير في يوم حشر ، وصخراً وشوكاً ووروداً ، ودرعاً وسداً ، حتى اذا أراد ان يظهر مقام الملك الراحل قال هذه

الحكمة البرزة، وإن لم تكن اعيت رياضتها كسرى وصدت عن ابي كرب كقول حبيب ، بل افترعتها اقلام كثيرة :

واذا الله رام اصلاح شعب سلك القائد الطريق الاسدّا
انما النـاس بالملوك واعـلى الملك شأواً ما كان حباً وودا

لا نجرّم الجارم ان استعار (انما الناس بالملوك) فقد تكون المعارضة بغيته ، ولا يريد بنيان الممالك على الاسل ، كما قال ابو الطيب . وبعد،فالشعراء جيران على بعد الزمان والمكان، والعارية مألوفة بينهم ، واليوم نحن كلنا اخوان بنعمة المستعمرين .. ثم شاء الشاعر ان يحدثناعن الموت فما عدا كلام المعزين البلداء في كل مأتم :

حُكم الموت في الانام فسوّى لم يدع سيداً ولم يبق عبدا

وبينما هو يسحق النمال اذا به يقنص الاسود ، وكل مهد يصير لحداً ، لا ينقصه الا : ضاحك من تزاحم الاضداد ، وغيرها من مجتر الكلام والافكار ... ثم لا ادري ما الحكمة التي حملت الجارم على تفضيل (سوح) على ساح ؟ قد يكون عدها تجديداً ، فتجديد اخواننا المصريين كثير في مثل هذه الصيغ،فهم يقولون بلا ضرورة: اخلاد بدلا من خلد ، وحسيس اصوات ، وقراب ذلك ،وعكوف عليه ، وعَوْضُ بدلا من ابدا ، وندوات بدلا من نواد ، ونحن عسيون الخ ..

وقال الجارم قصيدة اخرى في سعد وهي غرضنا ، نظمها على طراز قصيدة شوقي في استقبال ام المحسنين،وكاد يبدأها مثله. قال:

اكشفوا الترب عن الكنز الدفين
وارفعوا الستر عن الصبح المبين

ومضى يبعث الصور والمعاني القـــديمة ، ولا جرم ، فنحن في موقف بعث ، واخراج رفات من ضريح ، فقال في الابيات التالية للمطلع دون ان ينقطع نفسه : ابعثوه عسجداً ، ثم اجتلوه درة ، وانتضوه سيف وغى ، وقناة هي كالحق صفاة لا تلين ، هزت جيش الاباطيل ثم السناء والسنى ، والمحراب ، وعرين الضيغم ، وقصب المجد ، وعلماً في فدفد ، وروضة ثم دوحة وشمساً ، كأنما شاعرنا هو المرشال فوش يوم كان يعرض الجنود القدماء امام قوس النصر.. والاستاذ الجارم كما أريتك مولع بالتلاعب الذي كانوا يسمونـــه بديعاً ، فيقول لك : ان للحق يميناً لا تمين .

ومع ان الشيخ ، كما ظهر لي ، كثير العناية بالديباجة لم يتورع عن ان يقول : ذاك بعث (حييت) مصر بـــه . ثم : هل ترى للشمس في الافق تنين ، – جمع تنّ أي مثل – نجنا يا رب من محشر القافية ... وهذه « التنين » مثل « صبير » احمد رامي في « أوبة الطيار » ، و « غسيل » بشارة الخوري في قصيدة فلسطين . ويمضي الناظم حتى آخر منظومته يعرض علينا صوره العجـــائز . النظم رصين ، والقافية طنانة كالنحل الذي رآه على السطح ونهانا عن عده. اما الافكار فمن جيل الخبز ، الا انها مهما جار عليهـــا الزمان تظل اقرب الى النَفَس الشعري من قصيدة العقاد. الجارم يخشى الهلاك اذا تعدّى ناموس الاقدمين ، واللغة ككل الكائنات تحتاج الى التطور. أما العقاد فيتأبّى التقليد، وهو عاجز عن التجديد، فسبحان واهب اللحم لمن ليس له أضراس ...

قصيدة العقاد

كلما وضعت هذا الرجل على مائدة التشريح أنكمش وأهز رأسي وأحس قلبي يتعصر شفقة ورحمة ، ولكن ما حيلة الجراح وقد رأى « نملة فارسية » تتهدد الدم بالتسميم والجسم بالهدّ ؟ ان هذه الادوار الخبيثة تكاد تقضي على ادبنا ، فعلينا ان نكافحها بالمبضع والمصل الواقي ، واخيراً بالكيّ آخر الداء والدواء .

عندما شاخ الزهاوي ولم ينقد له الشعر على طول تمرسه بآفاقه ، أخذ ينظمه اسماطاً كما فعل العقاد اليوم ، ولا غرو فهذان الشاعران أصدق دليل على زعم تين وبرونتير في تصنيف الادباء كالنبات . نظم العقاد قصيدة سعد عناقيد عناقيد ولكنها حصرم يفت في عين العروض ، وما أظن رأس واضع هذا العلم انشق الا انتقاماً للشعر منه ، اذ عبد طريقه للناس فسلكها الكسيح ، والمقعد .

أجل ان العقاد انتحل مذهب شلي في الحق والجمال ولكنه لم يستطع أن يدخلهما في شعره . قد يكون أذعن له « الحق » اما « الجمال » فغليظ الرقبة . لست احاول هذه المرة درس قصيدته هذه بيتاً بيتاً كما فعلت فيما مضى فهي نثر اذا استثنينا الوزن ، فاسمع مطلعها ، وفي طلعة البدر ما يغنيك عن زحل :

عرف النفي حياة وممات واصاب النصر روحاً ورفاتا
كلما اقصوه عن دار له رده الشعب اليها واستماتا

في البيت وصف واقعي ولكن الواقع وحده لا يعمل الشعر

والشاعر ، كما ان الحلم واخاه التذكار لا يكونان « عالم » الشاعر الحقيقي ، فالويل للشاعر الذي لا يضم ارتعاشاته الخاصة الى ما ورثه عن الاجيال السالفة . فلو كان الشعر سرد اخبار بأسلوب جاف كقصيدة العقاد هذه ، لقلنا لك : هذا هو الشعر والعقاد امير الشعراء ، ولا يموت كالفرّاء وفي قلبه شيء ..ولكنه ، ويا للاسف ، غير هذا . الشاعر لا يقول : كلما اقصوه عن دار له . ان الشعر لا يقبل كل الالفاظ فبلعومه أضيق من بلعوم النثر ، ومعدته لا تقبل « فتّة » العقاد القائل :

كيف يجزيه افتياتا وهو من كان لا يرضى على الشعب افتياتا

وفي العنقود الثاني يجعل العقاد قبر سعد كعبة في جوار البيت أو سفح الامام ، فبنو مصر حجيج وزحام . ولولا زحمة القافية ما كانت زحام ولا اختها تمام ، ولولا ذكره الكعبة ما جاء ذكر الحج والنسك والاستلام ، عقبى كل هذا الخلد المقيم كما يقول الشاعر لسعد في هذا البيت الرائع ...

فالقَ في قبرك خلداً كلما مر عام تبعته الف عام

لو كان العقاد من المجدودين وكان قبل ١٤٠٠ سنة وانشد بيته النابغة في عكاظ لجعله ابن اخيه واشعر العرب .

وتأتي العنقود الثالث فتجده كأخيه لا تبرق فيه حبة ، خاطب الناظم فيه سعداً وأمره بعبور القاهرة ، ووصف ساعة العبور بانها من ساعات الفردوس لاتشبه الساعات بدءاً وختاماً ، وهنيئاً لك يا فاعل الخير ! وختم هذا المقطع بقول الواعظ على قبر الاسكندر :

قل لهم ابلغ ما قلت لهم ايها الواعظ صمتاً وكلاما

وينتخي العقاد في الفوج الرابع ، ولكنها نخوة مُقعَد ، ويحمي حمي حالم مصاب بالكابوس (مروبص) فيصيح :

جردوا الاسياف من اغمادها ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
ارفعوا الرايات في آفاقهـــا اين يوم الموت من يوم المعاد

ان الشاعر المفنّ يستغني عن « من أغمادهـــا » ويشعر بضعف « في آفاقها » فيأتي في مثل هذا الموقف بالفاظ تجعل اليد على القائم ، والقلب خفاقاً كالراية . ان الشاعر من أوتي قريحة كناقة طرفة ، ترقل ولا ترقل ولا تخـاف مثلها الملوي . ومع ذلك اشهد انه مرّ امامي في هذا الفوج جندي يشبه الجنود لولا شحوب بارد عليه :

لا يلاقى الخلد بالحزن ولا يكتسي الفتح بجلباب السواد

فلو نظم هذا المعنى غير العقاد لحرك سامعيه وقارئيه ، فكأنما شاءت آلهة العقاد البليدة ان تريه ارض الميعاد كموسى ثم لا يدخلها فقال :

ذاك يوم ما تمناه العدى بل تمنـــاه ولاء ووداد

آه من « الولاء والوداد » ما ابغضهما اليّ في هذا الموطن يا استاذ !

ثم قال :

فانفضوا الحزن بعيداً واهتفوا فاز سعد وهو في القبر رماد

فهذه « البعيد » بعيدة عن الشعر بعـد العقاد عن الفنّ . ليته نفضها مع الحزن ، ولكنها ستحلو حين نرى أبشع منها واشنع كقوله :

المعيقون تنحوا جانبـــا آخر الامر وسعد في البناء

اتعرفها أم ادلك عليها ؟ انها آخر الامر واختهـــا المعيقون ، وسأريك ابشعين واشنعين ، فبعد ما حدثنا العقاد عن « نقلة الشمس »

مع اننا فتنا آذار ، ورأى انها ترمز الى نقلة سعد قال :

هو أيضاً قد طوى ليل الردى وطوى ليل الغواشي والكذاب

اظنك عرفت انني أعني « هو أيضاً » اما « الكذاب » فلا ترعك فهي من تجديد بعض المصريين . والخلاصة ان العقاد قد مُنِعَ من الشعر بعلتين قتالتين : الركاكة وضعف الخيال ، فلو صار مثل « آرجو » له مئة عين مبصرة ، وركب نسر حيقار ، ومركبة ايلياء ، وعلا صهوة البراق فلن يبلغ سماء الوحي ولا يقارب آفاقها.

وخبرنا العقاد في آخر القصيدة عن كتابه في سعد ، فآمنا وصدّقنا انه يكون كتابا قيما ، فالعقاد كاتب مفكر ، ولعله يفطن ولا ينشر فيه ما قاله نظما في فقيد مصر فينجو الكتاب من النحس. فاتني ان اخبرك ان العقاد استحلى اللام فحشرها حيث شاء :

واثبت في مستنقع (النظم) رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر

واليك بيته لتحسن الحكم عليه :

الفراعين الالى اجليتهم لتمنوا لو أجازوك الطريق

ثم قال أبياتاً بعدها جاءت على نسق زجلية رواها لنا الدوبهي في تاريخه وهذا مطلعها :

يحرز دينك يا نحلوس حميت الضيعه بالدبوس

وإذا سألتني ماذا في قصيدة العقاد من حسنات قلت لك : انها وثيقة صادقة تفضح الدسائس السياسية حول سعد بعد موته ، وحول قبره هذا . فالعقاد ينبئك — وما ينبئك مثل خبير — ماذا فعل فريق من المصريين وكيف عارضوا نقل رفات البطل . كان هذا أبلغ لو قاله العقاد نثراً ، فالنثر أطوع له ، ولكن العقاد عنيد يظن

النظم خصماً سياسياً لا بد له من قهره ، فعبثاً ننقده وننصحه فهو كأسد بِشْر يظن مقالتي زوراً وهجرا ...

إذا كان النقد كما يريد سنت بيف ان نشعر ونخبر عن شعورنا فانني لم أشعر بشيء من الشعر في هذه القصيدة . ارى مصر في سني القحط السبع فعسى أن يطول عمري الى انتهائها . قد ذهب الزمان بدنيا شوقي الواسعة . نعم ان تخطيطها قديم ، بيد انه فيها من الفن العربي الخصيص بصاحبه . أما العقاد فأشبه بتلبيسة - قرية على طريق حلب - كل بنيانها من الحوّارى على طراز كوم الحلد . إنه يعرف مقاييس الفن كطالب يعرف أسرار الاختراعات من الكتب ، أما العاطفة الحية التي تدب في النشيدة فما رزق منها شيئاً ، وهو ينظم بعقله وليس لقلبه عمل .

قال الله في كتابه العزيز : وارسلنا الرياح لواقح . ونحن عسيّون - التعبير من تجديد العقاد - أن نلقح هؤلاء النائمين في ظل سنديانة الكنيسة ولم يدخلوها ليشعروا بقشعريرة المتهجدين ، فعونك اللهم على هؤلاء الذين يطلبون « الحسنة » بالدبوس .

أما الآن فقد حان أن نعود إلى برّ الشام فغربتنا طالت في مصر ، والغريب يشتاق إلى أهله ، فلندع العقاد يغازل ربة الشعر مستعيناً على تليين قلبها بقول ابي فراس : معللتي بالوصل ...

٤

بشارة شيخ السفرة

لا ديك الفجر ولا بلبل الصباح يغنيان الانشودة التي يشتهيانها .
روستان

خطب المستر ستانلي بلدوين ، وزير انكلترا الاول ومستشار جامعة كمبردج ، في مئتي مندوب من ممثلي جامعات الامبراطورية البريطانية ، فجاء في خطابه : « إن الشعراء الكبار نادرون بل هم أندر جداً من العلماء الكبار الذين يخلق علمهم الشيطاني المواد التي تبيد الانسانية ، فلذلك اسألكم ايها السادة ، ان تكثروا بين نتاج جامعاتكم عدد الشعراء الذين ينفخون في اوروبا بل في العالم اجمع روح الاتحاد والحرية » .

فاستغرب هذا الطلب كاتب افرنسي فقال : « ان الشعراء لا يعملون توصية ، فمهما كانت قوة الوزير البريطاني الاول ، ومهما اشتد ميل الجامعيين الانكلوسكسون فلن يستطيعوا ان يفبركوا الشعراء جامعياً ، ولا ان يصدّروهم بالجملة كالمحامين والاطباء والمهندسين الخ » .

اجل ، ان حاجة العالم الى شعراء حقيقيين كحاجة الغابة الخرساء الى طيور فصيحة تخفف من الذعر الذي تلقيه وحوشها

في النفوس ، فكلما ابتعد العالم عن الشعر اقترب من الهمجية . ولكن خلق الشعراء مستحيل ، اما تجويدهم فممكن . ليس الشعر علماً ولا التغريد صناعة ، ولو كانا كذلك لأتقنها المتشاعر والغراب. ومن يحاول ان ينتج من نفسه ما ليس فيها فانما يدرك فشلاً مخزياً. كثيرون من الشعراء – كالعقاد والزهاوي مثلاً – يتعبدون ويجاورون طول العمر فلا تتعرف اليهم الآلهة ولا يرون لها صورة وجه . فكم من كاهن يأكل ربه كل يوم ، وربه لا يدخل تحت سقف بيته ، بل يصرخ به : اغرب عني ، لا اعرفك. وكم من مؤذن يذكر الله ورسوله ، كل يوم خمساً ، فيرقص صوته على السطوح ويتغلغل في النوافذ . ان مناجاة رجل عامر القلب بالايمان، لا يسمع جاره همهمته ، تسبقه الى اذن من وسع كرسيه السماء والارض .

بعض الناس يصلح شماساً للكنيسة فيريد ان يكون واعظاً ، وبعضهم يحسن التكهن فيطمع الى عرش راعي الرعاة . وهذي مصيبتنا الكبيرة بأخينا بشارة الخوري : الاخطل الصغير ، شاعر لبنان ، شاعر العرب – ميراث حلال زلال عن الكاظمي في حياته – واليوم شاعر الاقطار العربية ... مسكين خليل مطران عاقل جداً، تأكل الدجاجة عشاه ولا يكشها، انه لا يهشّ ولا ينشّ ولا يسائل عن شيء .

لا بد لمحصول الشهر من بشارة ، فالزيتون شيخ السفرة ، وما شيّخوه الا لانه مجهز كشعر ابي عبدالله الذي لا يبخل، كلما سنحت الفرصة، بقصيدة تناسب المقام ، حتى صار كالخوري الذي ينتظر من يرقدون بالرب ليرفع عقيرته مرتلا : حوين لحاطويه ... ان بشارة

ينظم ونحن نقدره ، ونعنى خصيصاً بشعره ، كلما قدر لنا ذلك ، اما رجاله الذين يطلعون علينا من هنا وهناك ظانين انهم يدافعون عنه فيشبهون متّى الاطرش . مر رجل على متّى هذا وهو يحرث حقله فحيّاه قائلا : عوافي يا متّى . فاجابه متّى : ازرع بطاطا ... فتبسم له الرجل وقال : تأكل عزرائيل يسحب روحك . فقال متّى : انا وابن عمي سليمان .

اننا نرثي جداً لرجل حاد عن الطريق فقلنا له : من هنا يا اخ ، فنتأ واجابنا : ماذا يعنيك مني ؟ لا اناقش بشارة في قصيدته لغبطة البطريرك فهي من نوع « نظم المنثور » واكثرها مما يقوله رافعو الكؤوس في المآدب ، والمؤهلون بالضيف ، ولكن لي كلمة اقولها قبل كبّ السلة . ان بشارة لم ينس عيسى بن مريم في يوم الشعانين فشبه به البطرك انطون ، وكاد يكون هذا طبق ذاك لولا ان المسيح الملك – كما لقبه البابا اخيراً – ركب جحشاً . وصاحب الغبطة اقلته سيارة جلس فيها عن يساره ممثل قيصر . مشى حوله وحواليه من يعتصرون الزيت ولا يحملون ابداً غصن الزيتون ... واغرب من هذا جمزة الشاعر المبدع بل قفزته العالية من على ظهر الأتان الى جناحي النسر ، فتدهوره من عل ، كحصان امريء القيس ، ثم اندفاعه الى الغابة ليشبه بليثها قائلا : « يا نسر لبنان بل ياليث غابته » .

صرت اكره جداً هذا التشبيه بالنسر وزميله الليث ، فقد خمّ لكثرة ما ناشته الايدي ، ولا تنس ان العامة سبقونا اليه فقالوا فيه احسن منّا ، واليك ما سمعته مرة من مغن يزعق في عرس :

يا نسر يا شـــايب الراس مالـك عـلى الجوع قوة
ان كنت تاكل لحم ضاني دونك والعريس ابو المروّة

فما يقول بشارة في هـــذه البلاغة ؟ وهل يجوز له ولغيره من الشعراء ان يطاولوا النسور ..؟

وان نسي بشارة جعل « مارانطون » قافية بيت يزيد على قامة قصيدته اصبعا ، ويربحه تصفيقة حادة فانه لم يسه عن ذكر العهـد – الانتداب – والوعد فحمد القوم قبل وبعد ...واقر لهم بالفضل أيضاً ، وهو ممن عرفوه اكثر منا .. ثم لم يحرمهم من العتاب الذي هو صابون القلوب فاسمع بيتيه الجامعين :

الحمد قبلُ لهم ، والحمد بعدُ لهم لمـــا استفدناه من علم وتمـدين
لا نجحد الفضل لكن قد يجوز لنا عتب الاحبة من حين الى حين

كل القصيدة من هذا الشعر الرذل كأكثر شعر بشارة السياسي ، وشر البلايا المضحكة . ان « اخطلنا » ينظم محليات الجرائد ويزعم انه شاعر العرب بلا منازع .. فاياك ، مثنى وثلاث ورباع ، ان تمنعه من هذه الجبة الفضفاضـــة فانه يغضب ويحرد ، فاللقب حلي بعينه ، وهو يتمسك به بكلتا يديه تمسك الطفل بلعبته ، ولا يفلتها الا باكياً .

قصيدة بشارة في فلسطين

فلسطين اختنا ، بنت عمنا ، حبيبتنا ، جارتنا ، ومصيبتها ، والله مصيبتنا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . نحن ننقـــد شعر بشارة

الحوري فقط . ان قصيدته في فلسطين عليلة منهوكة بليتها تقطع النبض . فالشاعر ينط فيها كراقص الشارلستون ، أو هو كعصفور دوريّ يسقط على الحب ينقر ويتلفت . فبينا يسائل عنا العلياء والزمانا إذا به يرتمي في « زبلين » جديد ليطير بنا الى لندرة لمعاتبة جون بول :

قل لجون بول إذا عاتبته سوف تدعونا ولكن لا ترانا

أتقول إنه مشتاق كثيراً الينا ؟ بل من قال لنا انه يقابلنا إذا لم نمش اليه مشية بشار ... ان هؤلاء الانكليز لا يعاتبون ولا يعاتَبون ، فهم صم بكم عمي الى آخر الآية . القافلة ماشية فقل ما شئت . ثم قال لجون بول أيضاً :

قد شفينا غلة من صدره وعطشنا فانظروا ماذا سقانا

فذكرني بقول القائل :

تأمل من خلال السجف وانظر بعيشك ما شربت ومن سقاني

لم يقل شاعر العرب الاكبر ... شعراً يبيض وجوهنا السمراء في الابيات الخمسة الاولى ، أما البيت السادس :

ضجّت الصحراء تشكو عريها فكسوناها زئيراً ودخانا

فحسن ، وهو من الشعر الفذ مبنى ومعنى. وان كان بشارة على دين بشّار ، يرضى من القصيدة ببيت جيد فقد بلغ مشتهاه . فليكثر من النظم ليكون له مثله اثنا عشر الف قصيدة ... ان هذا ممكن فالموت متلاحق ، والفرح لا ينقطع ، وباب بشارة مقصد . ولكن ما يأتي بعد هذا البيت الجيّد ينسينا حلاوته ، فاسمع ما قال :

ضحك المجد لنا لمـــا رآنا بدم الاعداء مصبوغاً لوانا

أليس هذا تصوراً صبياناً يضحك اكثر مما « ضحك المجد لنا » في وحي بشارة وخياله ؟ فلا تنس أيها القارىء ما تطالع الآن فلا بد من رد العجز على الصدر عند الاستاذ . أما الآن فاسمع :

عرس الاحرار أن تسقي العدى أكؤساً حمراً وانغاما حزانى

هذا عرس لم ترقص به الشاعرية ، وبشارة حط النقوط - اي النقود — ثم راح يخبرنا نظماً عن « العهد الذي نحرتـه دون ذنب حلفانا » . والعهد والوعد أصبحا من لوازم شعر بشارة : ولو ضيع العهود الشعرية — كعبلة — وقال لنا : « نزرع النصر ويجنيه سوانا » فما تراه زاد على مغني الميجانا القائل : نحن زرعنا الزرع واجا الغير حصد ...؟ ان الزاجل قال ابلغ لان الجني للثمر والحصد للزرع ، الزاجل رمز ، وبشارة صرح . ثم لم يكتف بذلك بل حاول أن يزيدنا إيضاحاً ، زاده الله صلاح شعر ، فتعلل لخيبتنا السياسية بقوله:

ذنبنا والدهر في صرعتـه ان وفينا لاخي الود وخانا

كأنما هؤلاء الانكليز أبناء عمنا لحّاً ! الفرنسيون أحبـــة ... — في قصيدة غبطته — والانكليز اخوة ود ... وما عساه ان يقول بعد غد إذا حاكى الطليان .. ناهيك بما في صرعة الدهر من بلادة ، فتباً لدهر صير اخطل هذه الايام لماماً يجمع ما تجتره الاقلام كل يوم ، فيشك بعضه الى بعض عاملاً منه مسبحة الدرويش ..

وانتقل الى وصف جهاد فلسطين الذي « صفق المجـــد له » كما « ضحك لنا » من قبل ، و « لبس الغار عليه الارجوانا » كما تلبس المرأة فسطانها العنابي فوق تنورتها (درعهـا) الخضراء . ثم تصور

هذه الداهية العظمى فشبهها ، على جسامتها بجرح في جبهتها « لثمته بخشوع شفتانا » كما تلثم المرأة ولدها اذا سقط الى الارض وصرخ . قد تكون الجبهة أدّت المعنى الذي في قلب الشاعر ، اما انا فارى جرحها غير ذي شأن ، لأن عظمها سميك ، كشعر هذه الايام ، يتحمل الشج ، بيد اني لا انكر ان الجبهة عذب مقبلها لذة المطعم ، واكبر الظن ان هذا هو الذي استحلاه شاعر ... ضع في هـــذا الفراغ اللقب الجديد الذي يمليه عليك بشارة .

ورأى أيضاً في هذه الثورة الصاخبة التي ايقظت الانكليز على ثقل نومهم « انينا باحت النجوى به » ثم كان هـذا الانين « عربياً رشفته مقلتانا » والاحرى بها أن تسقيا . وبعد هـــذه البدائع والطرائف انبأنا قائلا :

فاذا العهـــد غسيل بالدما ويسوع يذرف الدمع حنانا

مع آلامك يا يسوع ! لست أقول شيئاً في « غسيل » بشارة فيحكم القارىء على النظافة والاتقان . ولكنني اتعجب لمـــاذا يبكّون ، كلما شاؤوا ، هذ الاله الشاب ؟ ايظل الى الابـد بكّاء سخي الدمعـة ؟ وكيف يكون ذرف الدموع حنانا ؟ لا أدري . دمعة واحدة محتملة اما دموع وذرف فكثير على الحنان . إن يسوع اشجع الناس وان لم يقاتل ، وكيف يقاتل من لم يجد مع تلاميذه (الابطال) غير سيفين . . . والشعب الذي هاش امامه يوم الاحد انقطع صوته صباح الاثنين . وبعد فليس بكاء يسوع عجيباً . قد يقوم شاعر اسباني يبكيه في الغرب لان البلاشفة نيشنوه ، أي رموه بالرصاص فهل لبشارة ان ينظم درة يخفف بها من آلام يسوع ، ويسد بهـــا

أفواه هذا الجيـــل الشرير الذي يطلب آية ولا يعطى له إلا قصائد بشارة ؟

لا شك انه نسي هذا فهو كثير النسيان في هذه الرحلة . قد غفل عن « عرس قانا » في هذه القصيدة كما سها عن « مار انطون » في تلك مع انها توافي القافية والوزن ، وفيها ما فيها من التورية . فلو كلف ابو عبد الله صاحبه عيسى بن مريم عمـــل عجيبة في (عرس الاحرار) فاني اؤكد لك انه لا يقول له : ما لي ولك يا ... لم تأت ساعتي بعد .

ثم انفجرت نجوى « اخي الود » على اختنا الحبيبة فلسطين ، فاعرب عن حبنا وارتباطنا بعهد « قد رضعناه من المهد كلانا » مع أن الخلاف كان على المهد ، واكثر ما تكون المجـــاحشة حول « المذود » ... ثم قال : « ان يثرب والقدس منذ احتلما كعبتانا » وهو صحيح ان صح أن يكون الاحتلام في الشيخوخة ، أي في هذه الايام ، حين لم يبق في الكرم إلا الحطب . ومضى بشارة يفتش عن الاعلام — قوام شعر المناسبات — فمر بضريـــح عدنان وغسان فنشرهما باسم صديقه يسوع ولكن ليطوينا نحن :

شرف للموت ان نطعمه انفساً جبارة تأبى الهوانا
وردة من دمنـــا في يده لو اتى النار بها حالت جنانا

حسناً قلت ، وقد سمعنا جاهلياً يقول : انا لنرخص يوم الروع انفسنا .. ولكن الا ترى انه ليس من حسن الذوق ان تجعـــل طريقنا على النار بعد ما ذكرت الموت ، وجعلتنا في يده ؟ فكلنا يا اخي من المؤمنين بالله واليوم الآخر ، نخشى ساعـــة نقف فيها

على النار ، إرحمنا يرحمك الله ! وكم يكون حظ الناس ابيض اذا حالت النار جناناً ، فدم المسيح الذي افتداك ونجاك من الخطيئة الاصلية ما استحق كل هذا ...

ثم قال فأجاد :

قل لمن يبني على اشلائنا وطناً هلا حذرت البركانا

ولكنه لثلث بيتين بعده حتى قال بيتاً مقبولا لم يشنه الجناس بين العنف والعنفوان . والآن قد بلغنا المحجة فاسمع ما يقول الشاعر بعد ما اشبع الدنيا ابتهاراً :

قرع الدوتشي لكم ظهر العصا وتحداكم حساماً ولساناً
انه كفؤ لكم فانتقموا ودعونا نسأل الله الامانا

آه من هذه (الالله) التي ملأت افواهنا حتى انقطع رزقنا . ان من يتهدد بالبركان والعنف والعنفوان وغيرهما من وزن فعلان الطنّان الرنّان لا ينتهي الى القول « امان جانم » . اوليس قولك للانكليز : قرع الدوتشي لكم ظهر العصا الخ.. كقول صبي لآخر ضربه : كنت ضربت ابن فلان الذي فرك مناخيرك امس ! انا لست من قدّك ! فتروّ يا اخي ، غير مأمور ، ان قلت شعراً سياسياً فيما بعد ، فالسياسة تتطلب التحفظ . نحن لا ننهاك عن خوض غمارها ولكننا نقول لك : توقّ الدول .

وبعد ان استحم بشارة بمياه جوفانس الحمراء توهم انه رجع شرخاً فقال :

قم الى الابطال نلمس جرحهم لمسة تسبح بالطيب يدانا
قم نجع يوماً من العمر لهم هبه صوم الفصح ، هبه رمضانا

ذكرني هذا الامر بالقيام رتبة العنصرة التي يقول فيها الكاهن للشعب : قوموا بقوة الرب الصبـــاووت الراكب على المشارق والمغارب .

قمنا يا اخي فماذا تريد ؟ وما الفائدة من لمس الجرح ؟ ألنوجعهم فقط ؟ سايل المتنبي عن أيّ دم يستحيل مسكا. فما لك وهذا الطيب تكثر منه في منظوماتك القومية؟أتصبو ايضاً الى لقب أبي المسك..؟ ان « لمسة تسبح بالطيب يدانا » مشوشة التركيب فلمـــاذا عنّيت نفسك للاشيء ؟ انك لم تزد على ما قلت في رثاء هنانو الا اغاظتـك النحاة المناحيس ، فيا ضياع تعبك !

اني اسألك فأخبرني ، لماذا أمرتنا بالصوم قائمين ؟ ألا تراه أهون على القاعد ؟ بل ما حملك على نظم فكرة سبقك اليها فعلاً اخونا المجاهد سامي سليم ؟ ليتك قلت مثله : فلنجع ، فلنصم يوماً من العمر لهم ، وارحتنا من القيام في هذا الحرّ ،اماازعجت نفسك وعرّقتنا؟ وبعد ، فما لي ولك فقد تكون رأيت في « قم » بلاغة لم نرها نحن ، أما ارجح الظنون فانك تطمع لنـا بزيادة الاجر ، عظم الله اجرك واجر كل شاعر يطول لقريحته في هذه المراعي .

كان الاخطل الذي انتحلت اسمه يرد التسعين ثلاثين ، فما بالك انت تمط الثلاثة لتجعلها ثلاثين واربعين؟هل خبرك احد ان قصائد هذه الايام تشرى بالباع كحبال القنّب ، او بالاقة كبعض بضاعة سوق سرسق ؟

واخيراً لا بد من ملاحظة على « هبه صوم الفصح » . ان صوم الفصح ، يا سيد العارفين ، لا يوفّر الا السلفة (الترويقة) ، وإن

كان فينا من يصوم حسب الطقس اللاتيني فلا نوفر شيئاً ، فهلا تستدرك هذا في الطبعة الثانية ؟ ان كسر الصفراء لا يعبيء الكيس اللائق . اما اذا امرت ان يكتب عليه : ان الهدايا على مقدار مهديها ، فلا بأس .

وما تركنا القلم لنستريح من هذه الفجاجات حتى وقع نظرنا على نفثة جديدة من نفثات شاعر الاقطار العربية – بشارة لا خليل – ودرة من درره المكنونة ، قالها ، لا فض فوه، ولا عاش من يشنوه – لو كنت انا كما يزعم – في الفقيد العزيز الغالي المرحوم رحمة واسعة عبد الرزاق الدندشي فأمرنا لله .

٩ – ١٩٣٦

٥

قصيدة بشارة في الدندشي

تشتغل الطبيعة من الحول الى الحول لتصنع زهرة رائعة ، اما الشوكة فتخلق شوكة .

حقاً ان هذا العام عام غرائب وعجائب ، فكما ظهر في فلكنا نجم ضخم ، كوجه الفرزدق ، كاد يخرب الارض ، كذلك لاح في افق عالم الشعر نجم اعظم من كوكب ابي تمام الغربي ذي الذنب ، وهو مطلع مرثاة الدندشي للاستاذ بشارة افندي الخوري ، شاعر كل الاقطار حتى الصين والهند ، وهذا هو بنصه وفصّه :

عرفتك عفّ القول واللحظات حييّا كمنديل بصدر فتاة

أرأيت في حياتك اغرب واعجب من ذنب هذا البيت ؟ اما انا والله يشهد علي ، فما رأيت بيتاً يقاربه الا : فكأنني افطرت في رمضان ، ان صدق الرواة .

لما منحت مدام دي نواي وسام جوقة الشرف - اللجيون دونور - من رتبة كومندور التي يقضي مرسومها بتعليق الوسام في الرقبة ، اخذت جريدة افرنسية تداعب وتمزح ، فقالت ما يقارب هذا : ترى اين تنيط الوسام مدام دي نواي ؟ ابعنقها مكان العقد؟

ام في صدرها ولا يعوقها ما فيه من قمم ؟ بل اين تشكّه ياترى ؟ اتستعيض برباطه الحريريّ الأحمر عن محزم ضفائرها فتدليه فوق صدغها الايسر او الايمن ؟ ام تراها تعلقه على ظهرها من خلف ؟ الخ . وهكذا برزت تلك الجريدة الفكهة مصورة الشاعرة الكبيرة بالوسام الأكبر صوراً شتى من خلف ومن قدام ، في الشعر وفي النحر ، وتحت النحر .

فهل لهذا العاجز – كما عبر الاستاذ خليل تقي الدين مرة – ان يسأل الخلق من ذكور واناث عن هذا « المنديل الحيي » بصدر فتاة اين يكون ؟ وكيف يكون ، ليجيء اقرب الى الصورة التي استنبطها رافائيل الشعراء ؟ – رافائيل المصور الطلياني لا رافائيل طوبيا ، ابو لحاف .

قال اعداء شاعرنا الاعظم الذين يقول بشارة فيهم :

كلما اطبق الغبار عليهم حشرجوا تحته وماتوا اختناقا

ان بشارة شاعر قديم غير مجدد ولا مبدع ، شاعر غنى يا ليل ، فقال احسن ما عنده واستراح ، وهو لا يقدم اليوم في مضيفته غير طعام بائت ، وقد حمّض رزّه المسكوب في قصاع من الفخار المشقّق ناصل صباغها الخ . فما عسى هؤلاء الحساد الكذابون يقولون اذ يرون هذا المنديل العجيب معلقاً باحدى قرانيه امام دكان بشارة ؟ لا شك انهم يسطمون افواههم حين يشاهدون هذه الآية التي لم يحلم بها احد من الاولين والمتأخرين ، لا في الشرق ولا في الغرب ، ولهذا سميته – كما مرّ – شاعر كل الاقطار ، وكفى الله المؤمنين القتال . انه أشعرهم بهذا « العجز » ولكن بدون يا ابن أخي ، ولا احاشي

من « النظّام » من أحد ، الا شاعراً عامياً ضيّع منديلاً خطيراً ، في زمان ستّي ام الياس ، فقال فيه :

منديلي ضاع يا حوينو بايد الدلال ليك وينو
واللي أخـــذ منديلي يرمـــد وتطلّس عينو

وبعد ، فما قول القراء الألبّاء ، أي منديل يعني أخونا بشارة . أمنديل العرق والامتخاط ؟ فذاك يختفي ولا يبين منه شيء ، فهو بحق كلي الحياء والوقار والاحتشام ، أم منديل السعوط وهو أثقل الاعباء على جيبي ؟ أم منديل الزينـــة الذي يبين منه شيء يشبه الاذنين ، وقد يكون أطول منهما أحياناً فيلوي عنقـــه ويتدلدل فوق الصدر ولا يمسها الا مسّاً خفيفاً فيظهر حيياً مهذباً أديباً ؟ أم المنديل الذي يكون في عبها احتياطاً لأمر يأتي ، كالتلويح والايماء ومآرب أخرى .. فيقعد عاقلاً ، ولا يتشيطن كجرير لتهواه ، بل يبدو رزيناً ، عفّ الحركات ، أبياً نزيهاً وقوراً برغم ما في المحيط من مقبلات ومغريات وتوابل ؟

ثم ما تقولون في اللون ؟ فانا أظنه بنفسجياً ، بل الارجح انه أبيض ، من لون زنبق مار يوسف البتول ، شفيع النجارين ، أو من لون عصاه التي أزهرت يوم اليانصيب ، أي الحيرة لستنا مريم التي حبل بها وحبلت بلا دنس .

صدق الله العظيم ، ان الشعراء – وازيـد عليهم المجتهدين في اختراع العجائب – في كل واد يهيمون . أما كيف أضاع بشارة ذاك الذوق السليم ، وخيم في الشاطيء ... فلا أدري أين هـــذا يا أخي من قولك الفذ – إذا صح انه لك :

والنسيم ..... يلهو بثوبينا كطفل ذووه ما هذبوه

أما اختراعك الجديد هذا ففات « المنديل السليماني » وسبقه سنين مرحلة ، وأخرس القائلين ما ترك الاول للآخر ...

عندما كنا في مدرسة مار يوحنا مارون نتلقى الدروس السريانية حمي الجدال في مجلة المشرق (راجع السنة الثالثة ص ١١٠٣ ، والخامسة ص ١٤٤) حول عبارة سريانية من الشعر الرمزي ، وهي (شوشافو شلامونويتو . الخ ..) وردت في الشحيمة — كتاب الصلوات الخمس اليومية للخوري الماروني — فاختلفوا في تفسيرها ، وأخيراً تقرر ان الشاعر السرياني عنى بقوله : المنديل السليماني في ارض داود العطشى ، أم الله مريم بنت داود ، مشيراً بهذا الرمز الى قول الشاعر سليمان في سفر الامثال : من حصر المياه في منديل. فالمسيح هو الماء الحي الذي حصر في احشاء مريم البتول .

فهل يقوم بعد الف عام من يفسر منديل فتاة بشارة ، كما فسر الاب يوسف حبيقة وغيره منديل الشاعر السرياني ؟ قد يكون هذا ان ظهر المسيح الدجال الذي ينتظرون ، وحينئذٍ يصير شاعر العروبة الاكبر اكثر من شاعر ، فأبشر يا بشارة !

أهذا شعر ؟ فلماذا نخدع الرجل وهو صاحبنا ، فيبعط في قصائده الوطنية بعطاً. قد كرهنا يا اخي هذا الشعر المقرف فان كان عندك شيء من غير هذه البضاعة فهات .

وفي البيت الثاني تأتي لفظة تدل كل الدلالة على ذوق شاعرنا الثنيان ، فاسمع ما قال لتحسن الحكم :

ولكن اذا الاوطان نادت اجابها وقاح كناب الليث عض بشاة

فهذه الوقاح وقحة خشنة مثل كباكب الشوك ، ولولا القافية لعنة الله عليها ، لاختار بشارة كفؤاً لليث غير الشاة ، ولولا الوزن ايضاً لترك العضة للكلب . ثم علق بشارة يخبرنا ما لا نعلم أي أن السيف لا يلقى بالعصا ، والاعداء لا تدفع بالصلوات ، وان :

صداق العلى نفس تسيل على الظبى مرصعة الآهات بالبسمات

أي مكشرة . لم يقل بشارة هذا الا بعد ما « سأل الله الامانا » في قصيدة فلسطين ولم يستجب له فعاد الى زعمنا ، والعود احمد .

وكاد يكون ما تمناه من أمان ، وكدنا نستطيع لقيان السيف بالعصا لو اعطينا نحن مثل عصا موسى ، واعطي المرحوم الدندشي مثل قضيب مار يوسف البتول الآنف الوصف ، لان بشارة افاض في حديثه عن طهره وعفته حتى قال في ذلك ثمانية ابيات ، كأنه كان ينام واياه في غرفة واحدة فجزم لنا انه « لم يعط الشبيبة حقها » ، و « زجر الهوى الا اذا كان حلية لمكرمة » . ان هذا لا يكون إلا في « لاهوت » اخينا بشارة ، اما نحن فما رأينا منه في « الغورى » الذي درسناه وحفظناه كالماء الجـــاري ، حتى ولا في « الانطوين والليكوري » من كتب المرحوم جدي اللاهوتيـة . والغريب أن الشاعر يتوسل الى تطهير الدندشي بتنقيته من الحب ، كأنما الحب رجس او دنس من الادناس ، وكأن بشارة نسي ان الله محبة هو ..

وبعد طحين مزعج قال لنا هذه الحكمة المحجلة الثلاث المطلوقة اليمين :

سواك يعـدون السنين لعمره وعمرك بالافعال لا السنوات
اذا ضمن المرء الخلود على الصبا فما عمره الباقي سوى فضلات

واراد « حسن التعليل » لموت الفقيد مصطدماً بعمود القطار الكهربائي فجاءنا بقُضُب الماذي لضرورة الوزن ، وان تسألني ما معنى قوله :

فمتّ كما ماتت سوى خبث ريحها وغمرك للارواح بالنفحات

احلتك على « حاشية » بشارة لتستنير فتفهم ان الدندشي والكهرباء كفؤان ، وانك لا تستطيع بعد هذا التعليل العليل ان تقول : الويل للمغلوب . فالكهرباء كالنحلة التي تشك ابرتها في الجلد وتموت على الاثر .

ثم لذّ للشاعر ان يعظ فقال كلمتين من حواضر البيت ، وقد عجّبتني غفلته عن نهر بردى ، و (دُمّر) والعهد ، وغيرها من الفاظ الشعر الوطني الدبلوماسية ، مع انه يحب النهور جداً حتى كاد يُجري في كل قصيدة نهرا عبقرياً . ففي قصيدة شوقي نهر ولكنه نشف كالبحر الاحمر حين انشق حتى جاز فيه موسى . وفي قصيدة حافظ نهران حافظ والنيل ، وفي قصيدة الفردوسي نهر طوس ، وان لم يذكر نهر قويق في « الحلبية » فلأن تركيا قطعته عن الشهباء ... وإلا فكيف ينساه من لم يحرم الفيدار — نهر شتوي عندنا — من درة كاملة ..؟

ما لنا ولهذا التدقيق كله فهو حرام في شعر بشارة السياسي ، فالنهر والعهد ، والوعد ، من لوازمه ، وخصوصاً يسوع الحمل الوديع فهو له اطوع من الخاتم في الخنصر .

صح : دمر غير منسية ، واظن القارىء يوافقني على أنه يعنيها لا غيرها بقوله :

وبالشاطيء المغمور بالظل والهوى على حركات الماء والسكنات

ولم يكتف بشارة بذكر الصداق ، كما مر ، بل أحب أن يقطع الشك فقرر في أذهاننا ذلك المعنى ثانية فقال :

احيي جهاد الحاملين الى الردى مهور المعالي فوق كل قـــناة

واين القناة ؟ رحم الله عهدها ، فلو عادت ايامها وايام الكبش والمنجنيق والضبر ، ونحّى المستعمرون غازاتهم وطائراتهم ودباباتهم ومدافعهم الرشاشة لسدنا العالم . قاتل الله المجبرين ، فهم لا يعدلون بقديد اللغة شيئاً ، وحسبك القناة قديدا .. فواحر قلباه من هـذه الصور الباردة ، وواطول شوقي الى الجـــديد ، انما ليس كمنديل بصدر فتاة ..

وختم الشاعر قصيدته الفريدة بقوله :

وان انا حييت الشآم تنفست ربى الارز عن ازهاره بلهاتي

والصواب عن ازهارهـا ، فالارز من الفصيلة الصنوبرية .. إلا اذا كان يعني بربى الارز «جبل لبنان» وهذا أغرب من المنديل السليماني، وتفسيره .. ثم قال :

جذبت اليه العرب بعد نفارهم وذوبت في كاساتهم نغماتي

وكل يدعي وصلاً بليـلى .. ثم هل نحن تترا بشارة ؟ كنت حسبتنا من المهتدين (المجـذوبين) . ماذا تركت لسيدنا البطرك المبجل ؟ ومهما يكن من الامر فأنت تستأهل « قبل وبعد » يعطيك العافية ... ولكن – هذا سر بيني وبينك – ألا ترى مثلي ان هذه « الكاسات » البق بالجلاب واللبن الرائب - العيران بلغة حلب – منها بنغماتك الساحرة ...

يرحم الله شيبان ابن الرومي . قد تأخرت جداً يا ابرام ، فتسميت ابراهيم عتيباً واختتنت مثله ابن تسع وتسعين ... وان لم تفهم نكتتي فانني محيلك على التوراة ، فخذ الكتاب بقوة ، وافتح الفصل السابع عشر من سفر التكوين . في ذمتي انك تضحك لها ضحكتك النقية الناصعة البياض .

ليتك تنشر يا اخي قصيدة واحدة ، ولو عتيقة ، من شعرك المطبوع لأقول فيك كلمة طيبة فقد كدت تسيء ظن الناس بي ، كما ساء ظننا اجمعين بشاعريتك . فهلا تعود الى ايامك ! الا تذكر شيئاً من شعر الشباب الذي كنت تسمعنيه على السطيحة امام غرفتي (المعلقة) في بيروت ؟ لست ازعم انك ابدعت هناك ابداعاً مجتمعاً اشده كالحجاج ، ولكني اقول انك كنت مخلصاً ، وأعزز قولي بالايمان المغلظة . ان من لا يستطيع ان يكون جباراً كما تشتهي فالاخلاص حليته وزينته ، وان ظللت تفتش عن نفس غير نفسك لتصورها لنا ، فانك تطلب المستحيل ، وتصير نفسك شيخاً قاحلاً في عيون الشباب المتفتحة علينا .

فابك وعنّ ، ونح وانّ ، فخير شعرك الولولة ! الا اعمل ، ودم شاعريتك في رقبتي ، بقول سميك بشار – ان تركت التاء – ما لك ولقول صديقنا الريحاني ، فأمين فيلسوف يقيس الشعر بالانش والقدم ، ويعرضه على الترجمة التي تمسخ حتى : يا جمل يا بوبعا .. ومن يعمل مثله كان كمن يستغني بنقطة عطر عن جمال الزهرة ، فأمين في هذا الزعم كأم تتعزى على فقد ابنها بان روحه خالدة في ملكوت الله . اقول هذا ولا اغضب صديقي الريحاني لأن

الفلاسفة كبار العقول واسعو الصدور .

قد تقول لي وما يقول بشار ؟ قلت :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة

يواسيك او يسليـــك او يتوجع

فتشكّ اذن يا اخي ، فشكواك في الشعر حـــلوة ، وتقهقرك احلى ، وانت لا شك واجد بين القراء احد اصحابك الثلاثة ، وما هو شرهم يا ام عمرو ... امـا ان تصير الشعر الوطني ارخص من الفجل بيعة مساء ... فهذا كثير .

٩ — ١٩٣٦

البراعم لعمر بحبي

صفحات هذا الديوان ٢١٥ ، أما الطبع فبين بين ، موشوم الوجه تنبئك تصويرة الناعورة ان الشاعر حمويّ ، أما اللون المحلي فيه فكأطلال خولة ...

قال عمر في (صفحة ١١٥) :

لي قلب خافق يشكو النوى ولسان نادب مجد نزار

فحدد شعره تحديداً قاطعاً مانعاً ، فديوان عمر كما قال : لسان يندب مجد العرب ، وقلب خافق يشكو النوى ، بل قل الجفاء وسوء البخت ... اقول هذا بعد ما ركبت البحر كما كان يسأل المبرّد . واؤكد لاخي الاستاذ محمد اسعد الكيلاني اني لم اترك زاوية ولا تكيّة من ديوان صاحبه عمر الا وتغلغلت فيها . سحت فيه سياحة احمد فارس الشدياق في الاقطار ، فعسى ان تكون لي لاحظة ذلك النسر الخالد .

ان عمر النظام يتكلم قبل عمر الشاعر . لا اعني بكلمتي هذه ان ليس في الديوان شعر ، بل عنيت ان النظم اغلب ، فالشعر مزروع فيه هنا وهناك كالنواعير على ضفتيّ العاصي ، والانين في

كل مكان. قوام الديوان انّات محروم قلّما رأى يوماً ابيض، فهو رهن الشكوى والرثاء كما وصف نفسه، وسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب.

تقرأ في الديوان شعراً ولكنه كخمرة ابي نواس التي شبّهها بدم الجوف فتقطب منها وتعبس. ما ظننت ولا اخال غيري يظن ان شاعراً في هذا العصر يتهافت على الغريب تهافت عمر يحيى على قصاعه، فهو ينصبّ عليها ويأكل اكلاً عنيفاً كشيخ بني الهجيم عند البحتري المكرُمان... مع ان بشارا الاعمى البصير ادرك منذ اثني عشر قرنا ان الأغراب طاعون الشعر، والفن كل الفن في الملائمة، فقال يصف لنا شعره:

وشعر كنور الروض لاءمتُ بينه

بقولٍ إذا ما احزن الشعر اسهلا

فماذا جنينا يا ترى حتى يعود بنا عمر الى الوراء، الى نواويس القدماء، ويرينا قيام الساعة قبل الموعد، اذ بعث هذه المخلوقات من الالفاظ فوقفت بين ايدينا كالاشباح تحمل في يدها كتابها.. فماذا يقول العم بشار لو نهض ورأى اهل الكهف يبعثون بعد ما دفنهم هو وحطّ على رأسهم حجراً؟الا يقول بنا مقالته لذلك البصير الذي دلّه على البيت؟؟

فما قول القارىء بالعدملي، والاطم، ولعا، واشغى، والنغر (بدلا من البليل) والضحيان، والطخياء، وخمت ومشتقاتها في شعر عمر؟ اما العدى فالكذب من خيمهم، لماذا فضل خيمهم على طبعهم؟ لا ادري. ثم الضيح اي الشمس. والعياب القيسية، ولولا

القليل استعمل البعاع وأماتنا فزعاً . والخيس الحبيبية ، والعجول الخنساوية ، واغطش الشنفريـــة ، والانف العنترية ، والاواذي النابغية ، والمرقال الطرفية واختها الأمون والعقرقوف النواسية ، والافتيات العقادية ، واخيراً مهيم : اي ما حالك ، وهي ابشع من ملجنّ بشارة ، الموروثة عن شوقي عن عمر بن ابي ربيعة . ثم جبرين اخت بغدان شوقي .

وقد اضاف عمر الى حب الغريب ولعه بالجموع الكريهة كاصحابنا الايمة المصريين فهو يستحلي مثلهم هذه الصيغ المنبوذة : كالرئمان والتربان ، جمع تراب ، وغصنـة جمع غصن ، وشجراء اي الشجر ، وزاد في بلوانا ان ليّن هذه الاخيرة فقال :

ادواح عاصينا تمايل غبطة اطيـار شجرانا ترن نسيبا

وخبرنا في الشرح ان «بابا» اللغة المعصوم ، المثلث الرحمات امرأ القيس استعملها . وعندي انها كريهة ولو استعملها جدّ جدّ امرىء القيس ، بل لو نطق بها ابونا آدم حـــين رثى عمنا هابيل اول شهداء المرأة .

وعمر يحـــدثنا كشيخنا امرىء القيس عن القلب المقتّل ، والمقسّم ، ويجيئنا بالهدون ثم بالركز بدل الجرس ، الى آخر مـا هنالك من احداث جديدة ، ومفاجآت غريبة من الالفاظ مثل « تواليف » العقاد مقيّد الاوابد ، ومحرر الدواجن . اننا نعلم ان مصر بلاد المومياات ، والشام بلاد الدمقس ، فـــاذا كان في نيّة الاستاذ عمر منافسة الجارة العزيزة في خلق المومياءات اللغويـــة فلنبن المتحف ...

لا اظنك تستكبر ما اقول متى علمت ان عمر استعمل الجبين بدلا من الجبان . لا انكر انه مر على رأسي حدث يكاد يشبه هذا حين نقل المرحوم لويس شيخو قصيدة بشر بن عوانه الى كتابه « مجاني الادب » فاستبدل المصور بالهزبر ، فقال : هصوراً اغلبا لاقى هصوراً ، وضرب مخّ الخليل باسطوانات عروضه ، حين رأى الهزبر خطراً يتهدد الاخلاق الصالحة ، ويوسوس في صدور الناس ... اما لماذا آثر عمر الجبين فذلك لا يعلمه الا الراسخون في العلم .

قال لنا من مهدوا لديوان الشاعر ، وهم كثر ، كقتلى صاحبة ابي فراس المنحوس الطالع : ان عمر يطالع كثيراً . فقلت في نفسي واين هو من كتاب ابي الذوق اللفظي ، ابن الاثير ؟ اتراه لم يطالعه بعد ؟ ثم هل كل من يطالع كثيراً يعود الى الناس عودة تأبط شراً ..؟

واذا نظرنا الى صور الشاعر رأيناها قديمة كالفاظه ، او عدمليّة كما يجب ان نعبر . فربيب عاصي حماة ، يذكر لنا توضح ، ونعمان الاراك ، وسنداد ، ويضع سلمى — اسم جبل لطيء — زاوية لبيته الشعري ، ويجرى عليها الشاقول . قد فعل مثل هذا سميّي الخوري مارون غصن حين قال منذ اسابيع : رضوى بكركي راسخ الاوتاد فخلته يبني عرزالا . انما اعجبني منه انه تيقظ للهواء الغربي القالع فرسخ الأوتاد ... انا لم أقرأ لسميي الخوراسقف شعرا منذ اطلق مئة مدفع ومدفع لعينطوره ، في عيدها المئوي ... الا هذه الابيات ، ولسوء حظنا كلينا وقعت على رضوى الذي انتقاه ، وترك

الف جبل قبالة عينيه . انه الاجـــترار اللاشعوري مرض الادب العربي ، ارانا رضوى الخوري وسلمى عمر وسنداده فـــلا حول ولا قوة .

قد رأيت ان غريب عمر يحيى يجني على صوره وقوافيه ، وقد يكون السبب دورانه في حيز الاقـــدمين ، فكل اغراض شعره كأغراضهم ، ولا جديدفي الديوان الا « رسالة الورد » التي اداهـا عمر كما يؤدي الشاعر رسالته . اما « قلب ام » فاذكر انني قرأتها لغيره .

واذا اردت ان تعلل حب عمر الشديد للتضمين امكنك ان ترده الى العلة الاصلية التي ذكرتها ، فهي التي سببت كل هـــذه الأدواء — الاشتراكات — حتى صح فينا قول المثل العربي : ما ينفع الكبد يضر الطحال ! وعمر يشير طوراً الى (العارية) واحيـــاناً ينسى لانشغال باله بالاحباب القساة ، والحساد الذين يضايقون الشعراء في كل بلاد الله ...

ظهر لي ، من المقدمات الاربع التي صُدّر بها ديوان عمر ، ان شاعرنا يحب النقد الصحيح ، ولا يغيظه ، ولهـذا صارحه اصحابهـا بكل ما عندهم ، وتلك لعمري مأثرة جديدة نسجلها لحماة مدينـــة العلماء والايمة ، ونتمنى ان يشايعهم عليها كتاب المقدمات في الاقطار فلا يجعلونها كما عودونا : نشيد الاناشيد .

فالمقدمة الاولى كتبها شاعر هو احمد الصافي النجفي ، فانتقـد قوافي عمر ، والثانية للاستاذ قدري العمر الذي قال لنا ان عمر لو أراد لجعل ديوانه غريباً كله ، ولو اراد لجعله سهلاً كله . قلت يا ليته

اراد واراحنا من ألفاظ اعقد من ذنب الضب . والمقدمة الثالثة للاستاذ ابراهيم العظم ، الذي يقول : ان لعمر سرقات ظاهرة يستحق عليها الجزاء بمقتضى قانون الشعراء .

قلت : ابشر بطول سلامة يا مربع ! فالجزاء عندنا على السرقات الشعرية لقب الامارة ...

ويقول الاستاذ العظم ايضاً : ان شعر عمر قليل الحشو ، وهو يكره الضعف في القافية ، ويأبى النفور ، مع انني كثيراً ما لمحت في الديوان حشواً ونفوراً ، حتى قام في ذهني ان عمر كالصافي قليل الجلد ، فهو يكثر من « ان » و « ما » الزائدتين وغيرهما من طفيليات الشعر كقد واخواتها ، التي اراها كالحصاة تسند بها الخابية . وشر هذه الالفاظ « سيما » في قوله :

والقوافي خالدات سيّما خدمة الاوطان في صدق وجد

انها ابشع من الغدة المندلقة على الصدر . ثم هل يقول من يكره الحشو :

ان من يذكر (منها) مجدها يتولى (وهو) بالقلب الحزين
فكأن الريح لما (ان) هفت ساعة المسي شكاة الواجدين

*

وتركت نفسي حرة ما (ان) ترى غيد الغزال وفتنة الحسناء

ان امثال هذه الثآليل كثيرة في الديوان ، وخصوصاً (ان) اكثر منها الشاعر حتى جعلني اتصورها كالزائدة الدودية تحتاج الى مشراط طبيب لبق . كما ان (المسي) وغيرها - وإن صح استعمالها لغوياً - ليست من بضاعة الشعراء .

وإن تدقق تر عمر يزجّ في شعره من كعابير الكلام ما يبرأ منها الفن الى كل من بعبقر ، مثل قوله : من جرّا ذنوبي ، فوالله ، لئن غفر الله له ذنوبه كبيرة وصغيرة ، او ميتة وعرضية كما يعبر النصارى ، ولم يستمهله دقيقة واحدة عند الحوض ، فانا لا اغتفر له استعمال (من جرّا) وانزه عنها النثر ، بله الشعر .

ويعرف عمر الشعر فيقول لنا :

وما الشعر إلا انة تبعث الشجى لها الصدق جسم والتخيّل اجنح

قلت : اما الصدق فحظ الشاعر منه كبير ، اما الخيال فكحظه من الحب الذي يقول فيه :

ما نلت في الحب إلا من النحول مرادي

ومن أين يأتي الخيال من هام بالقدماء حتى بات يصب في قوالبهم ولا يحسن ذلك ، ويريك في كل قصيدة صورهم حتى النابغية منها ، ومن نوع « وما الفرات » أيضاً... اقرأ قصيدة ذكرى الهجرة الاولى لا الثانية . فهذه ندعها للاستاذ العظم الذي ادّعى ان مطلعها للمرحوم جدّه اسعد بك العظم ، ودافع عن حقه الموروث وختمه بقوله : ان عمر اخذ ديباجاً وحوّله ساجاً .

وفي قصيدة « فيصل » يحاول الشاعر التلميح الى حادثة يشوع ابن نون البطل المغوار الذي وقّف الشمس . وابى عمر كعادته إلا ان يشرح المعنى . وعندي انه لو تركه للقاريء اللبيب كانت العاقبة أسلم ، ولكن عمر احب الشرح كثيراً فتعب وأتعب ، فهو يشرح لنا حتى الاملود ، وقاطبة ، وأخيراً يفسّر ايار بمايس ...

وفي القصيدة عينها يتعرض لبيت ابي فراس ولا يحسن القبض

عليه فيقول :

سيذكرني من كان ينكر سيرتي
كما الشمس يشكو فقدها من تسكعا

وابى إلا ان يستصحب حبيبته « ما » الزائدة في هذه الغزوة فأمعن في البلوى ، وترك زين الشباب يبسط يد الشكوى ، ويسبل دمعاً من خلائقه الكبر ... وفعلها أيضاً بالنابغة حيث قال : تعدو الذئاب على من لا كيان له . مع ان « كلاب » النابغة مشهورة ، وهي هنا لا تثمّن .

٢

وفي قصيدته (يا طير) وهي رشيقة تمشي الهوينا ، كهريرة الاعشى ، وصف رجال العرب الذين حموا فلسطين فقال :

باعوا دماهم في سبيل العلى فأصبحت عندهم كالخضاب
فقل لمن يطمع في ظلمهم . . . . . .

فأنصتّ له علّي أرى كلمة كبيرة واذا به يقول : أخطأت يا هذا فعد للصواب. فذكرني فعله شاعر العراق وفيلسوفها المرحوم الزهاوي حين قال :

شعري لقد جاءكم مستنهضا من غير تعقيد واغلاق
ان كان لا ينهض شعري بكم مزقت من غيظي اوراقي

وطاف عمر حول لسان جميل مغتاب فمصّه مصاً حين قال :

اشهى الى قلبي مهما بدا منك الأذى مصي ذاك اللسان

قلت : الا ترى معي ان في العض قصاصاً اوجع ، كما فعل من قال قبله لحبيبته : هذا لساني الذي أخطأ فعضيه ...

ها قد وصلت الى صفحة ١٩٣ فأطللت على « دفنة » ، ودفنة فتنة الدنيا ، فاذا بالشاعر يصف لنا نفسه بدلا من ان يصف دفنة المسماة اليوم بالحربيات . هـذي مصيبتي بعمر في كل سياحتي في ديوانه ، فكأنه الخنساء يذكرها طلوع الشمس صخراً ، وتذكره لكل غروب شمس . اما ختام الديوان فقصيدة المتنبي لذكرى الالف ، نظمها على منوال ، جللا كما بي فليكُ التبريحُ ، فجاءت رائعة تحليلا وتصويراً ، على ما في الحاء من طحير وزحير في رأيي ، ومن اتساع وانبساط في رأي شيخنا الاعظم الشدياق ، ولكنها لم تسلم من الغرابة ميزةِ شعر عمر يحيى .

في ديوان عمر وثبات ولكنها قليلة ، وفيه شعر ولكنه يطير من براثن قلمه ملهوفاً مذعوراً كعصفور افلت من يد الصائد بالدبق . وقد رأيت انه لا ينتهي حيث يجب ان ينتهي كما في قصيدته « كلنا يبكي على وطنه » بل ينتهي حيث تظن ان هناك شيئاً بعد كما في : « الغريب في العيد » .

كنت توهمت ان اللون المحلي سيكون كثيراً في الديوان ، فاذا به قليل ، كما قلت لك ، وان لم يخل منه كقوله في وصف قلعة حماة :

ولها إما تراءت في الدجى صور شتى تروع الناظرين

لا تستغرب الوصف في الدجى فحماة في الصيف تّنور ، وخير اوقات التفرج منها قرب الغروب وبعده ، وهذا ما أوحى الى الشاعر ما أوحى . لايلطّف ليل حماة الحامي الا العاصي ، اما سحرها فكما يصفه الشاعر :

محمد مزجت باللين شدته كما يلطف ليل الصائف السحر

وتلي وصف القلعة قصيدة « على العاصي » ، وهي حافلة بشعر لا يخلو من برد النهر وسلامه ، وهبّات بليلة من نسيم اشجاره ، في آب اللهّاب الذي كنت ازور حماة فيه .

وعمر يكثر من المعاني المبتذلة مثل : من جد وجد ، ويقطع الجوهر في السيف الفرد ، والحق يعلو ولا يعلى عليه ، ولم يضع حق نحاه طالب ، الخ . وهو لو ترك نفسه على سجيتها وارخى لقريحته زمامها ، كما رغب امرؤ القيس الى التي حرمته من جناها المعلل ، وقال كثيراً مثل هذا البيت :

قلت والليث كليم رابض يرقب القيد بغيظ وحرد

وكقوله :

اذا ما اصاب الداء عضواً تحركت لهسائر الاعضاء تشكو وتشرح

لست ازعم ان تعبيره الشعري بلغ الذروة في ما قدمت فقد كان في الامكان اكثر مما كان ، لو تأنى عمر . وقصيدته « يا قلب » تؤيد زعمي بان الشعر يرسل ارسالا تحت خفارة اثنين : الفن والقريحة ، وليس على الشاعر ان يركض وراء الغريب ، فلو كان في الغريب خير لما قال المثل : زوان بلدك ولا القمح الصليبي . ولقصيدة « يا قلب » اخت في الديوان اسمها « الكآبة » التي لاتفارق شاعرنا ، ولو كنت ممن يسمّون الشعراء لسميت عمر شاعر الكآبة والحرمان :

وفي قصيدة فلسطين قال بيتاً بديعاً :

تلك الضحايا لم تكن الا صوى فيها لطلاب الحياة دليل

على ما في «صوى» من صفير ويبوسة ، ولكن متى حلت اللفظة

محلها برئت ذمة الشاعر من دين النقـاد المتنطّسين . وتمر في ديوان عمر فترى نتفاً عديدة عنوانها « من قصيدة » وهذا يدلك على ان عمر يحب بناته كثيراً فلا يئد منهن واحدة ، الا ان بين هذه النتف بيتاً كاد يبكيني :

شبيبتي قد اوشكت ان تزول لا بـــدع ان تشجي ترانيمي

اما وداع غرناطة فشعر حي لولا هذا النمش الذي يقبح وجوه الحسان على ما فيها من معان ، فشرط الحسن التام . ويدهشني ان ينتقل بنا من قصيدة « ذكرى الهجرة » التي مطلعها : ذكرى تحول لنا في نشرها عبر ، انتقال سيدنا الجاحظ من حديث نبويّ شريف الى قصة ماجن متهتك . نعم هكذا فعل عمر فقد اخرجني من جنة الهجرة الفواحة العبير الى اقذار سدوم وعمورة ، قال :

وتملّ من سكر المدام وشدو ذي غيد اغنْ
لا تفرقنّ أكان انثى ام غلاماً كالغصن
ان قيل اخلاق فوهمٌ ما يقال وغش فن

لا يا استاذ ، هذا من الكلام النازل بالمرة . أيصح بك قول البهاء زهير : فافتضحنا واسترحنا . اما امرنا بالاستتار اذا بلينا بالمعاصي ؟ أعلى رأس السطح يا سيدي ؟!

ليت اخانا الشاعر والاستاذ استغنى عن هذه الابيات فليست بالابيّات . ثم انتقل الى قصيدة عنوانها « لقد قصّته » — الضمير يعود الى شعرها — فيصف لنا نعيمه هناك حتى يقول :

كأنا في ربى عـــدن فلا سكر ولا صحو

قلت : نعماً يا اخي . فلمثل هذا خلق فردوس عدن ، فاسرح

هناك وامرح ما شئت ، وافقأ حصرما في عين الحساد والعواذل ، ولا بأس عليك فاوراق التين تستر ، ولكن اياك ثم اياك ان تلتفت فيما بعد صوب البحر الميّت .... فلا ورق هناك يُستتر به .

اما في مناجاة الورد فقال ابياتاً فيهـــا شيء كثير من قوس الشنفرى الهتوف وخيرها حين تجاهل الشاعر فقال :

هل تطرب الوردة في غصنها من نسمة الصبح وتشكو الغموم
وهل قطار الطلّ من كأسها دمـــع الاسى ام سرور مقيم
تهتزّ كالاحلام عنـــد الصبا او فكرة الشاعر عند الوجوم

مسكين عمر ، لا يهجس الا بالاسى . وفي قصيدة « تشرين » قال شعراً ولكنه ركّ في آخرها حتى أرانا اوراق تشرين متناثرة امامنا ، كقوله :

آليت لا انسى الشهيد ومصطفى هـذا عليّ مدى الحـــياة يمين
اما عـلاء الدين فهو اخو الصفا ابكيه ما (بكي) الحدين خدين

ولم ينس ان يحشر (جبرين) قافية في هذه القصيدة كما بكّاه كثيراً على المرحوم فوزي الغزي حتى اسمعنا رنينه :

ولصوت جبريل رنين محزن تهليل ثاكلة على ميعاد

ما ارق قلب هذا الملاك ، وما اطوعه ، فهو شريكنا في كل أجر ، ولكن ماذا يبكيه هنا ، اوليس المرحوم فوزي ذاهباً اليه؟! اما كان الاولى ان يفرح ! ولكن شاعرنا لا يعرف الا الكآبة ، ولو كان كغيره لكلّفه عملا اخر ، وجبريل هو اطوع للشعراء من الخاتم بالخنصر ...

وفي قصيدة « بين دمشق وبغداد » مقطع جميل ، وأجمله

هـــذا البيت :

كأني في البيداء فكرة حائر تزول وتبدو بين آل وعثير

لولاغرابة اجتماع الآل والعثير في وقت معاً كما افهم من كلمة بين.

اما رثاء نورس الكيلاني ، وهو موشح ، فثورة عاطفية تجيش فيها نفس الشاعر جيشان الفرات الاخطلي . اتبع الشاعر في موشحه هذا خطى لسان الدين الخطيب وختمه ايضاً : بجادك الغيث اذا الغيث همى ، وشبه الفقيد بيذبل ، فاجتمع له الشرق والغرب ، رغم انف كبلنغ شاعر الامبراطورية البريطانية الذي قال : انهما توأمان ، والتوأمان لا يجتمعان .

اما الهفوات النحوية ، وان قلّ اهتمام الناس لها ، فمنها : وان ننس لا ننسى ، وان نسل لا نسلو ، ولا الليث ليثاً بعد ما قعدت بنا وقوله :

– رحم الله يا فؤادي (دموعي بددتها) الاحداث يسرى ويمنى

– اذا رمت السرور فهاك (غاو) بحب الخمر يستجلي الاقـــاحي

– مر (عشرون سنينـا) وهـو يجـــري ويكد

فهذه العشرون سنينا تعبير غريب ، ولا تقـــلّ عنها : لاه المصائب ، اي لله المصائب ، كأن الاستاذ درس ابن عقيل مثـــلي فهو لا يزال يذكر الشاهد : لاه ابن عمك الخ . ولكن هـذا من الشذوذ ، وما اغنانا نحن عن مثله ، فما لنا والعنزة الثانية ...

وبان لي ايضاً ان الشاعر يقطع الجملة العربية أي يستأنفها متى شاء مع ان ربط الجمل حسن عربي ، انتبه ونبّه اليه شيخنا الشدياق حين قابل بين العربية ولغـــات الغرب فليراجع . نحن لا نطالب الشاعر باختلاس ياء العاصي ، فهذا بالقياس لجبرين مقبول ، ولا بد

من التصريح بأني اخشى كثيراً ان يؤدي رفع الكلفة بين اخواني الشعراء وبين هذا الملاك الذي يزورنا كثيراً ، ان ينادوه اخيراً : يا جبر ويستريحوا .

وشاعرنا يسكن اواخر الافعال فيقول مثلا : قضي على ، وهذا خلل لا يتسامح فيه مع شاعر حموي نشأ كبشار بين شيوخ وايمة تتذكر ، متى حدثتهم ، العرب الخلص . فهم جميعاً يتكلمون الفصحى ولا يلوكون السنتهم ، وهذا قلما تجده في غير حماة العربية اللسان واليد والبيوت .

اقول البيوت واعني ما اقول ، وشاهدي اعلان كتبه الزبروئي صاحب فندق العاصي واليك نصه : « على الذوات الذين يأخذون الزبائن الى بيوتهم ان يؤدوا لنا البدل ، او يشاركونا في دفع اجرة الفندق يوم الاستحقاق ... »

الا يدلك هذا على ان صاحب الفندق مهدد دائما بأخذ زبائنه الذين ينتظرهم بفارغ الصبر ؟ اقول هذا لانني كنت ممن أخذوا ، وكيف لا انوه بفضل ذوي الفضل ؟ فليسعد النطق ان لم تسعد الحال !

ان صباح العاصي ومساءه يوحيان الشعر ، فاتمنى لصاحبي الشاعر عمر يحيى ديواناً انضر من « البراعم » ، وهو فاعل في ديوانه العتيد. فقد رأيت آخر شعره خيراً من اوله . اما في هذا ، وهو براعم كما سماه ، فلولا بعض حوادث تاريخية كذكرى المتنبي مثلا ، ولولا ومضات كنار الحباحب لظننا شاعرنا عمر يحيى ممن عاشوا قبل الهجرة .

٢ - ١٩٣٧

عبقر لنفيه مقلوف

١

قصيدة عدد ابياتها مئتان وثلاثة وسبعون بيتاً ، اكثرها مقفى على الطراز العربي ، والبعض الاخر على النمط الفرنجي العتيق . بحرها هادىء غير عجّاج ، رخو قليل الحيل كالكاهن سطيح احد ابطالها . اما عناوينها فستة وعشرون عنواناً .

اخرجت هذه القصيدة في مئة واثنتي عشرة صفحة ، منها احدى وعشرون بقلم والد الشاعر الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، مطبوعة على ورق صقيل فاخر ، مزينة برسوم رائعة ابدعتها ريشة المصور الطلياني فرنكوشيني . ولولا تقطع بعض الحروف عند ضبطها لسلم إخراجها من كل عيب .

موضوع القصيدة شبه قصة هذا مساقها : ينام الشاعر فيتضحّى ، وتدق ساعة اليقظة فينهض — لم يذكر اذا كان تمطى او فرك عينيه — فيرى غمامة يسير تحتها شيطانه . يقبل الشيطان نحو شفيق ويحييه ، فيسأله عن مقدمه السعيد ، فيخبره الشيطان انه آتٍ من عبقر .

ويدعو الشاعر الى زيارتها فيركبه شفيق ويطـــيران الى « البلد المرصود » فيعجبه الموضع : يطوف بالابراج فـــيرى الجن اشكالا والواناً ، على نسق ما انبأنا « السنكسار » عن ظهورها لآبائنـــا القديسين ... وكما صورهـــا فلوبير في روايته « تجربة القديس انطونيوس » : اقزام يركبون مطايا من يرابيـــع وانعم وديوك وعظايات وقنافذ وسلاحف ، وان كنت ملحّا تريد ان تفهم جيداً كيف يكون عالم الجن فعليك بالجاحظ .

ونزل الشاعر عن ظهر شيطانه مرة ثانية امام « عرافة عبقر » . ومن صفات عجوز الخير هذه انها تتزنر بثعبان ، ومع هـذا الزنار العجيب يرتخي ظهرها ، فترتاع العرافة لرؤية الشاعر ويهز الدنيـــا صريخها وتسمع الشاعر كلاماً فجّاً ، تدعس في آخره على ذيـله . يغضب شاعرنا غضب فزع ، أي بهدوء ولين ، فيهديء شيطانه روعه — وهذه اول مرة يكون فيها الشيطان ابن حلال ، محب السلامة — ويحكي له حكاية اميرة الجن اللهبانة ، فيسفهها الشاعر وشهوتها التي لا تشبع . وتغني الجنية مشتاقة الينا لتطفيء نارها ، وتتمنى اتعابنـا وعذابنا لتحضن وتحتضن .

وينقلنا الشاعر من عند هذه الجنية الجميلة التي ابدعت تصويرها ريشة المصور اكثر من قلم الشاعر الى الكاهن سطيح ، ثم الى المحترم الاخر شِقّ ، فيسألهما حكمة فيعلمانه شيئاً كلا شيء ، اي مايعرفه مفكر بين بين .

وينتقل الشاعر فجأة حتى بدون « دع ذا » النابغة ، الى غابـة الحور فيريناهنّ في اعشاش ، ويقول له شيطانه : انهن اتعبن شياطين

جهنم فشكوهن الى الله فنفين الى عبقر رحمة بالابالسة ، وحفظاً لسلامة دولة النار ، فقد كن يطفئن الوقيد ... وهنا يسمعنا الشاعر نشيداً كله عتب على الله الطويل الروح والبال – والعتب على مقدار المحبة – فهو الذي خلق لهن قلوباً تحبّ فكيف يعاقبهن على فعلتهن؟ ولا ينتهي حديث هذه الجنية حتى نقف « على حدود عبقر » ، فنرى مقبرة ولكن العظام فيها مكشفة ، وما تلك الا عظام الشعراء ينقلها شياطينهم من اقاصي الارض الى عبقر ، المدينة الازلية . يسأل الشاعر المعلوف تلك العظام الهزيلة عن ماضيها ولياليها فيخرج من عندها بانه لا يبقى إلا احلام الشعراء ، ويرفض ان تقام لهم الانصاب والتماثيل ، ويقول هو أو الشعراء : كل شيء بلا الحب المعلوم خراب ، وهنيئاً للارض .

هذا سياق رؤيا الشاعر ، اما كيف دبّر خطته بالتفصيل ، واين قصر واجاد ، فهذا ما نقوله لك بعد كلمة لا بدّ منها في هذا المقام.

قال الخليل بن احمد : لا يصل احد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه . ونحن نطلب كثيراً لنحصل على كفاف يومنا ، اما اذا صح فينا المثل : من طلب الزيادة وقع في النقصان ، فتلك مسبة ، فالرجاء من اخواننا ان يصبروا علينا ، ولا يتهمونا بالتعنّت والتقعر .

جاء في القرآن الكريم : الشعراء في كل واد يهيمون ، وما في هذا شك . فهذا واحد منا يذهب اليوم الى اروع الاودية ، كما ذهب قبله كثيرون الى جهنم والسماء من يوحنا واغوسطينوس الى أعمى المعرة ودانتي شاعر الطليان. فايمان الشعراء بشياطينهم قويّ

حتى ان العقاد قال شيئاً فيه ، فاغوى الدكتور طه حسين .

انا لا استكثر هذا ، فالشعراء شركاء ربنا في تدبير الكون ، والمتفلسف منهم يظن انه هو الله بعينه ، وقد يقتنع بانه ابن عمه ، أو على الاقل ابن ضيعته ...

ولكي نبريء ذمة شاعرنا من الاعتقاد بالشياطين نروي للقاريء حكاية الفرزدق حين افحمه الانصاري فركب ناقته مع الفجر حتى بلغ ذباب (جبل المدينة) فنادى باعلى صوته : اخاكم ! (يعني شيطانه) ، فجاش صدره كالمرجل وقالها مئة وثلاثة عشر بيتاً ، وهي التي على الفاء ، ومطلعها عزفت باعشاش الخ . والتي يقول الرواة انه اغتصب بيتها المشهور :

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا
وان نحن أومأنا الى الناس وقّفوا

ولما سمعها الانصاري قام كئيباً .

ان قصص شعراء العرب مع شياطينهم أطول من قصص الحيات ، واخبار الجن اكثر ، وللعرب في عبقر وسكانها حكايات طريفة يرويها لك الجاحظ مترصّناً ، فتخاله يجدّ وهو يهزأ ويمزح ويسخر ، وقد قسم هذه الطوائف اذ روى عن ابن عباس قال : « السود من الكلاب الجنّ ، والبقع منها الجنّ ، ويقال ان الجن ضعفة الجن ، كما ان الجني اذا كفر وظلم وتعدّى وافسد قيل شيطان ، وان قوي على البنيان والحمل الثقيل وعلى استراق السمع قيل مارد ، وان زاد فهو عفريت ، فان زاد فهو عبقري (كتاب الحيوان جزء ١ ص ١٤١) ارأيت ان سادتنا العباقرة أرقى رتبة من

العفاريت والشياطين ؟ حقاً ان الشعراء عفاريت وشياطين كبار ، اعوذ بالله من مطامعهم !

*

لا نحتاج الى كدّ فكر لنعرف ما اوحى الى الشاعر شفيق موضوعه هذا ، فهو أخو فوزي ٠ المرحوم فوزي ركب الطائرة ، فلا بدع ان يركب شفيق شيئاً آخر ، فكان شيطانه . ورحل كاخيه في طلب الحكمة والفلسفة . طلبها برنردين دي سان بيار بواسطة صاحبه في الكوخ ، وطلبها المعلوفيان فوق الفوق وتحت التحت ، وان يحذ احدهم حذو الآخر فنحن اللبنانيين مشهورون باحتكار المهن في بيت واحد نتوارثها خلفاً عن سلف ، وليخلف علينا الله ما شاء .

قد جعلنا في هذه القصيدة كلّ وكدنا فجئنا ننقدها مقطعاً مقطعاً لان ادبنا يسير على درب جديدة . وشعراؤنا الجدد يطرقون ابواب الادب العالي ، فلا يليق بنا ان نقف قبالتهم مكتّفين . ولذلك سنقول كلمتنا في هذه القصيدة البديعة لنرى ما بلغ شاعرنا شفيق من التوفيق . لم تلهني فخامة طبعها وطرافة رسومها عن كلماتها فقد غمضت عيني عن ذلك ، فالناقد كالأثري لا يستهويه تخريم التحفة ، وشرف معدنها ، فقد يرمي قطعة مزوقة ، ويعنى بصحن فخار مشروم اكثر من تمثال مصوغ من ذهب عياره اربعة وعشرون .

عبقر ككل القصائد فيها شعر وفيها نثر ، اي شعر كالنثر ، والكمال لله . وكيفما قلبتها يظل اسمها اكبر منها ككل اسطورة . والذي عندي ان الشاعر قدم طبيخه للناس قبلما نضج ، وسيندم

بعد حين ويذكر كلامي هذا – بعد عمر طويل – وان سؤته اليوم فسوف يترحّم عليّ غداً ، ويذكر بالخير اخلاصي له وللفن ، فانا واحد من الذين يعلنون رأيهم بلا محاباة ، ولو سحبوا من المجلس كاسحق ، ولعنة الله على كل مُخارق .

اني ارى القصيدة تمشي مشياً وئيداً كتلك الجمال ... وهي لا تمشي مشياً هيناً لينا ، فاما ان شيطان شفيق عنيد غير رهوان ، وإما ان شاعرنا غير خيّال . يأخذ الشاعر حوادثها واحدة واحدة كأنه مستنطق يبحث عن الجاني فيخشى التقاء المتهمين ، او دنوهم من بابه لئلا يفسد التحقيق ، او كأنه رجل يزور ضيعة فيدخل من باب ويخرج من باب ، والضيافة معلومة فنجان قهوة ، وشيء من النقولات احيانا . ولهذا جاءت عبقر باردة الحركة جامدة ، فلاحياة فيها ولا في ابطالها فكأنهم ليسوا جناً ولا عفاريت ...

عالج المعلوف موضوعاً يشبه موضوعي المعري ودانتي من ناحية . اما قال هكذا من انتقدوا ، والصحيح من قرظوا ، هذه القصيدة؟ اننا نجاريهم في هذا الزعم ولكن شاعرنا بلا نفسه وبلانا معه بشخوصه الوهمية ، فلم تتحرك تحت قلمه ، رغم اجتهاده وجهاده ، إلا تحرّك من تهوّر قلبه عند الحقن ونخز الابر . استعار شاعرنا شيئاً من دانتي ولكنه لم يعش في إقليمه . فهذه القباب والابراج مثل التي في « مدينة الشيطان » لدانتي ، وهذا النور من نارها ، والفرق بين النار والنور بعيد ... وحرس ابواب جهنم دانتي طغمة من الابالسة كحرس عبقر المعلوف ، وبنات الشر الثلاث يصرخن صراخ «أميرة الجن» المتمردة مثل « مارينا تا » ودانتي .

ابتدأ الشاعر قصيدته كما يبدأ الطالب فرضه ، فلا بد من ان يذكر ماذا كان يصنع قبل أن عـالج موضوعه ، وهكذا فعل شاعرنا فقال لنا قبل رحلته الى بلاد احبابنا :

صاحِ هي اليقظة دبّت على جفنيّ فاستلانت الموطئا
وعـالجت بالنور بابيهما حتى استخارت فيهما ملجأ

جميل جداً دبيب اليقظة ولكنه لي على هذا الافتتاح اعتراضات جمة . انه لم يدل القارىء على شيء من خطورة الموضوع بل لم يقربه منه ابداً ، وهذا شرط من شروط الملاحم ان كانت عبقر ملحمة كما زعموا . ثم كان في مكنة الشاعر ان يتخلص من «صاح» التي تذكر بصاح هذي قبورنا الخ او بخليلي مرّا بي على ام جندب . والصورة في البيت الثـاني جميلة ايضاً ، ولكن الشاعر لم يحسن استعارة البابين ، فركبها لمن ليسا له ، ثم ماذا رأى في (استخارت) ؟ فهي ، بله كراهة لفظها ، غلط لغوي فليست بمعنى تخيرت كما اراد الشاعر .

اما ما قالته اليقظة للشاعر فجميل ، وجميل مثله الكلام الذي قاله الشاعر لها ، ولكن البيتين الاخيرين اخوا النثر :

ومن تكن حـالتة حالتي لم يستعض بالاسوإ السيئـا
مـا الفرق في نومي وفي يقظتي وكل مـا في يقظاتي رؤى

فقوله (ما الفرق في نومي وفي يقظتي) لا نرضى بـه في قصيدة نتمنى ان تكون من بنات السلامة . لو كانت من شعر المناسبات الذي يموت بموتها لهان الامر ، ولكن نظرتنا اليها اكبر واوسع .

ويستيقظ الشاعر بعدما تضحّى ، فيرى شيئاً جميلا وصفـه لنا بقوله :

على الربى استلقى شعاع الضحى يعبث فيه الارج العاطر
فعانق الزهر وضمتها غمامة علقها الناظر

الوجه يعبث به . ويظهر الشيطان لشاعره سائرا تحت تلك الغمامة ، فوصفه الشاعر فابدع ، ولا سيما في البيت الثالث :

في فمه من سقر جذوة منها يطير الشرر الثائر
ووجهه جمجمة راعني انيابها والمحجر الغائر
كأنما محجرها كوّة يطل منها الزمن الغابر

ولكن في هذا الشيطان ، كما وصفه الشاعر ، ملامح جهنمية ، فهل عبقر سقر يا ترى ؟ اما اقبال الشيطان على شاعره فكان بليداً ، ثم شرع يحدّثه حديث سائق سيارة ينتظر خروج الخواجه من البوابة :

اقبل نحوي قائلًا انني طوع لما يقضي به الآمر
اتيت والليل طوى ذيله فعم صباحاً ايها الشاعر

اما التحية فلولا انها جاءت متأخرة لكانت طبيعية ، فهذه تحية الجاهلية ، ونحن فيها ، كما علمت من ذكر شق وسطيح . ولكن طيّ الليل ذيله غير مستحبة ، الا اذا اعتبرناها من لغة الشيطان ، — كما فعل بشّار مرة — فالشيطان ذو ذنب كما صوروه لنا ولا حرج عليه ان يخطر على باله .

٢

اما حديثه مع شيطانه فعاديّ : من أين جئت ، أمن فوق أم من تحت ؟ فيقول الشيطان انه قادم من عبقر التي :

تسوس فيها الجنّ عرافـــة ترى بزجر الطير ما لا يرى
ساحرة مطلسم مسحهـــا تطوي به الاجيال والاعصرا

رائع هو هذا المسح المطلسم ، وسحر البيان يدب في هـــذا البيت دبيب الخمرة الاخطلية ، ولكنني اعجب كيف تخصص هذه العرّافة الجليلة بزجر الطير ، ثم لا نرى ريشة واحدة في العالم الذي تعيش فيه ، اللهم الا ان يكون الديك منها ، ولكنه لا يـــلائم الكهنة إلا على السفرة ...

ويدعو الشيطان الشاعر ، الى مجهل موعر ، الى عبقر حيث :

جن من النور جلابيبهـــا من كل سعلاة ترى نيرا
تضطرب الارض متى اقبلت قاذفة عزيفهـــا المنكرا

لمـــاذا استعار لهؤلاء الجنيات ثياباً من النور ؟ وهل يكون العزيف اشد هولاً في النور فتضطرب له الارض ؟ وهذا الشيطان الذي قال للشاعر منـــذ هنيهة انه (طوع لما يقضي به الآمر) قد أصبح الآمر الناهي. قل لا غرابة في هـــذا، فمن طبيعة اصحابنا الشياطين ان يغووا الناس ويوسوسوا لهم . فما قال لشفيق :

فقم بنا صاحِ إلى عبقر نؤم ذاك المجهل الموعرا

حتى رأينا الشاعر راكبا شيطانه على الجلد ، بلا حزام ولا لجام ، ولا ركاب ، عرفنا ذلك من قوله :

وانطلق الشيطان في الجوّ بي كأنه النيزك او اسرع

مكنت من فقاره قبضتي مندفعاً اصنع ما اصنع

يعلم الله ماذا ، بل ماذا يعنينا مما يصنع؟ وسافر شفيق مخاطرا بنفسه ، وراى سحنة شيطانه المفزعة ولم يضرب له عرق ، لم يقل في أحرج المواقف أكثر من (راعني) فكان اثبت جنانا من عمر في ليلة ذي دوران . غير انه احس برهبة في هوة فزاد على راعني (واهي الجنان) . وسألت نفسي لماذا لم يغد شفيق لهذه الرحلة قبل ان حميت الشمس ، فلو وصف شيئاً من غرائب الطريق لقام له عذر ، ولكنه كان في طيرانه ووقوعه اسرع من النور : قبل ان رحل دانتي رحلته العظيمة وصف لنا رعبه وخوفه ، ثم غشي عليه مرات ، أما شفيقنا فكما رأيته ، انطلق في الجو كالسهم ، ثم تهاوى ككواكب بشار بن برد ، الى موضع اعجبه كثيراً فوصفه لنا ببلاغة مار بولس الذي قال بعد رجوعه من السماء : لم تره عين ولم تسمع به اذن ، ولم يخطر على قلب بشر ما اعده الله للذين يحبونه . لقد قال شفيق اخصر من هذا واوجز :

ثم تهاوى بي الى موضع ما راقني من قبله موضع

وكذلك فعل في وصف الابراج :

فيا لابراج ضخام البنا ملء الثرى ملء السموات

إن « جوامع الكلم » كثيرة في قصيدته هذه ، وما عليك إلا ان

تختار انت ما يحلو لك من الصور . تصور ابراجاً ملء الثرى ، ملء السماوات ، وقل سبحان الخالق ... اما عبقر فخطّطها على :

غمائم زرق على متنها منازل جدرانها تسطع

أشهد انه أصاب جداً ، فالعرب يخافون الجنّ ويتطيرون من العيون الزرقاء ، ولكنّ إنارة الجدران باشعة رنتجن حتى سطعت جدرانها لا تواتي السكان الذين قال فيهم الشاعر :

أتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا: الجنّ ، قلت عموا ظلاما

ما لنا وكل هذا فقد تكون عبقر باردة كما زعموا ، وقد يكون سعر النور رخيصاً في تلك البقعة الخافية ، وقد تكون الشركات في عالم الجن تهاود ولا تطمع ... ووصف الشاعر عبقر بلسان شيطانه وصفاً مفزعاً :

تثور في ابراجها ضجة بها يضيق الافق الاوسع
عزت على الانس فمن حولها ابالس الابراج تستطلع
جهاتها الاربع مرصودة تحرسها الزعازع الاربع
ما افلت الانسيّ من زعزع إلا تلقّى صدرَه زعزع

ثم دخلها وطاف بابراجها كعقيد جيش يفتش الخنادق والمكامن ، وما خاف ولا اصفرّ . رأى الجن اشكالا والوانا :

فمن يرابيع ومن أنعم الى ديوك وعظايات

ثم ركب شيطانه الى عبقر ، لا يلتفت الى (انعم) ليعلم انها ليست من انعم الله التي لا تكفر . لم اعرف المسافة التي بين الابراج وعبقر ، ولكن الركوب خطرة ثانية يدل على البعد ، ولولا ذلك لتمشى الشاعر وشيطانه ووصف لنا ما هنالك وأرانا ما لا نرى ، ولم

يجعل اكثر هذه القصيدة تحويماً وتدويماً ...

وحوّم الشيطان على عبقر يشعرها بعوده ، وحطّ امام العرافة التي قال في وصفها :

كأنما الله لدى بعثهـــا زوّدها بكل ما في سقر

فاستعاذت بالشيطان من شر الشاعر . لقد غاظ قدومه العرافة وروّع الجن . سمعنا ان الناس يخافون الجن ، اما شفيق ففزعهن وهربهنّ فاختبأن بين الشجر – اتقول انه صلّب يده على وجهه ؟ أو قال في قلبه ، على الاقل : باسم الصليب المقدس ، شرط الندامة عند الموت لربح الغفران الكامل ، والذهـاب تواً الى الفردوس ؟ وإلا فما سبب خوف الجن الشديد ؟ ولماذا تدمدم العرافة سخطاً ، حتى اقشعر اديم الارض تحت الشاعر ؟ ولكنه كان ، والحمد لله ، أشد تماسكا من بحتري السينية فاهتزت الارض ولم يهتز . اما العرّافة فانفشّت كربتها في الحال ، فهدأت وصارت وديعة كالحمام وحكيمة كالحيات ، بيد انها فلتت لسانها ككل عجوز غضبانـة ، وعيّرت الشاعر بما تعير به العجائز : مكار ، شرير ، حيـة سوداء ، وبكلمة مختصرة : ازعر .. واليك بعض كلامها منظوما :

وددت يا غـــادر لو انني اطلقت شيطـــاني لا ينثني
عنـــك فيرديك ولكنني أخشى على الشيطان من غدرك

شعر من طراز شعر ابن ابي ربيعة المصرع ، وهذا نموذج منه :

يا ذا الذي في الحب يلحى أما تخشى عقاب الله فينا أما
والله لو حملت منـــه كما حمّلت من حبّ رخيمٍ لما
لمت على الحب فدعني ومـــا اطلب إني لست ادري بما

قتلت الا انني بينا الخ ...

او كما كتب تيوفيل غوتيه شعراً على قافية واحدة الى شارل غارنيه جواباً على دعوة لعشاء .. ترى العرافة الشاعر شراً من الافاعي واشد غدراً ومكراً ، وقد اخطأ الشاعر حين قوّلها :

ليس هذا الصل بالافعوان

بل انت يا إنسان !

فالصل كما عرفه القاموسيون اخبث جداً من الافعوان، وان كان اسم الافعوان اطول ... وما اظن الجاني هنا الا القافية ، وكم بذمة هذه الجارية من ذنوب ...! ثم ماذا نخسر لو الصقنا هذه الخطيئة بالحية ولعنّاها فهي التي ادخلتنا اليوم والامس في التجارب ... ؟ !

وبلسان العرافة افهمنا شفيق ايضاً ان الجن اشد إيماناً بالله منا:

جعلتَ نفسك اعلى في الارض من ربك

وبعد ان تصمنا العرافة بحب الذات وأكل الاموات — وهذا النعت الاخير يليق بالشعراء — تتنبأ للانسان ان ليس خلف ضحاه الا دجى ليله . حاول الشاعر ان يعالج مسألة الخلود الهرمة فتوسل الى ذلك بغسالة من المخلوقات كشقّ وسطيح ، وغيرهما من جن وحن ، فأساء الى الفلاسفة الذين يحلمون بحيوات اخرى — لا ادري كيف اجمعها لأرضيهم ، وكيف تجمع واحدة غير كاملة ؟ — ويرون الدودة من قرائبهم . ويقولون للغراب لبيك ، كما فعل قبلهم بهاليل الصوفية .

ثم تجبر العرافة خاطرنا فتقول ان الشعراء يحكون آلهة في السماء ولكنهم يظهرون غير ما يبطنون ، وعبرت عن هذا بكلام

ناشف مثل وجهها :

فهات حتى نرى ما خبأت من هولك
يا ابن السلام اذا ما دسنا على ذيلك

وقد وضع الشاعر (على) بين هلالين ظاناً ان التعبير عامي غير فصيح ، وقد قال مثله الشنفرى اخشن الجاهليين في بيته المشهور الذي استعان بمفرداته المجمع اللغوي المصري لخلق الفاظ جديدة...

دعست على غطش وبغش وصحبتي سعار وارزيز ووجر وافكل

وداس تحمل على دعس فتعدى بعلى مثلها . وبهذا الختام حطّت العرافة الشاعر من مصف الآلهة الى جماعة لا اسميها ، فاستاء شاعرنا وقال لشيطانه :

شيطانَ شعري قم بنا نرتحل عن هذه الارض وغيلانها

فطمأنه الشيطان ولهاه بأغاني « اميرة الجن » الممسوسة . وعندي ان « حسرة الروح » احد العناوين الستة الكبرى المتضمن اميرة الجن ، والشهوة ، واغنية الجنية ، خير مقاطع هذه القصيدة . فهذا المقطع عاطفي ، وشفيق ككل شاعر عربي مجيد بسط العاطفة اكثر من وصف المحسوسات ، فقال وقلت ، ورح وتعال ، وما اشبهها من نظم الاخبار تركها العرب وحايدوها . ولهذا قلنا في صدر هذا المقال : ان المصوّر اجاد رسم اميرة الجن اكثر من الشاعر الذي لم يتعدّ حدود الخيال العادي : الشمس كوّرت من حلقات النور اضلاعها ، رمت الى الارض اعجوبة ، شفافة كالنور ، فجاءت هذه المخلوقة في شعره كالمقول عنه في قانون الايمان : نور من نور .

وارانا الشاعر هذه الجنيّة تحصد الهواء حصداً يثير ويفتن ، وإن بدا لنا كما تروي اساطيرنا من مظالم فرعون :

ثم اراهـــا وهي مأخوذة تطوي على ما لا ارى باعها

فالشهوة التي لا ترى تقيمها وتقعدها فتتلوّى كحية فوق ملة ، لا تدرك الجسد لتشبع فهي جائعة ثائرة صاخبة ، وتغني فتقول لنا :

هل انا الا ذرة من ضياء هل انا الا زفرة الله قد

صعّدها فوق قباب الجلد فلم تزل لاهبة في الفضاء

لا تتمنى هذه المسكينة الا نقطة من ماء الحياة تطفيء لهيبها ، فهي تريد ان تعمل مثل الناس ولا تقدر ، فقلبها محروق . خبرتنا انهم هناك لا يتلذذون ولا يتنعمون مثلنا ، فالارواح في دنيا ممالك الارض وما عليهـــا كقطع الغيم تضمحل متى تعانقت ولا تثبت للعراك البشّاري المغازل الأشِر .

ويفيض الشاعر في وصف تحسر الجنية على ملذاتنا التي يسميها القليلو الذوق منا « بهيمية » وهم ثمرتها المباركة ، ثم يخبرنا بلسانها ايضاً ان النعيم المقيم مضجر . هـذا ، والله العظيم ، شعوري ، فانا خائف من الآخرة وخلودها الهادىء الرصين . انا خائف جـداً من رؤية الكاروبيم والساروفيم ، والملائكة واجـــدادنا الآباء الأبرار والصديقين الهيّبين الذين لا يحولون ولا يزولون من وجهنا ، ولكنني سأتكل على الله ، سبحانه وتعالى ، والبّي الدعوة . وأخيراً ارانا الشاعر بلسان جنيته هذه ان كل الصيد في جوف الفرا ، أي كلّ اللذة في الجسد ، فقال :

ما نفع روح خالد عشت فيه ما زلت لم احضن ولم احتضن

لا نجادل شاعرنا في هذا ، لاننا لا نعلم ماذا ينتظرنا هناك ، فالقول مختلف . نعم لا نجادل لئلا يصيبنا ما اصاب ذلك الفلكي الذي نظر الى النجوم فسقط في الحفرة ...

ولا تنتهي « اغنية الجنية » حتى يسلمنا الشاعر الى « حكمة الكهان » . ان هؤلاء المحترمين هم هم ، كما في السماء كذلك على الارض . هذا سطيح وصفه شاعرنا وصفاً حسناً كما تخيّله العرب ، وجعله لحماً بلا عظم كما يقول في الباذنجان من يحبونه . وزاد عليهم المحيط الجهنمي حتى حيرتني عبقر هذه . ولم اهتد الى حل لها احسن من تشبيهها بالمطهر ...

وهناك ايضاً الكاهن شق ، وهو في نظر شاعرنا اعظم من سطيح . ومغارته — ان جاز لي الاعتراض على المصور — كأنها صنع يد ماهرة ، فاما ان الكهوف الايطالية غير كهوفنا ، واما انه رسمها بديعة هكذا لان بناتها من اولئك الذين بنوا تدمر بالصفاح والعمد ... وشق جالس على باب مغارته كالخيثعور — جني كنيته ابو هدرش — في رسالة الغفران .

٣

وقف الشاعر ببابي الكاهنين الجليلين يصيح :

يا كاهني عبقر هل حكمة اعدها للغد بين العدد

فلبّى سطيح وافتتح الحديث كالكهنة بالدعاء فقال للشاعر :

أقالك الرحمن من عثرتك

هيهات ان يردعك الزاجر مالم يك الزاجر من حكمتك

انها لحكمة اقدم من الخبز ، والبيت ممسوخ – كما عرف ابن الاثير السرقات الشعرية – وهذه صورته الاصلية :

لا ترجع الانفس عن غيّها ما لم يكن منها لها زاجر

وقد شوّه شفيق الكلام بنسخه (ما لم يك الزاجر) فترك النون هنا لا يجوّزه النحاة . ويخبر سطيح الشاعر ان الله حين خلق الانام خصصه هو – أي الكاهن – بمنتهى رحمته ، فسلّ عظامه (وملأ الفراغ من حكمته) كما يفعل الطاهي الاستاذ بالسمكة ليقدمها مع الأدام بلا حسك ، في المآدب العبقرية ... اما الحكمة التي يقول المحترم ان الله حشاه بها فهشّة كالصوفان : الرياح تنام ، ويعقب الليل الصباح ، وتخلف الشمس الشهب ، والخلق حمقى واغبياء ، يجرون كالعميان خلف القدر ، وفوق رؤوسهم سيف القضاء ، وتحتهم الحفر ، وسطيح قابع في مغارته على عرشه الذي

يخلد ، وانه ولى الدهر ظهره فقابله الدهر بالمثل. كان سطيح شاعرنا والدهر كجارية المعري التي حملت ابن القارح « زقفونه » ليجوز الصراط . اما الحكمة الخالدة التي راح بها الشاعر من عند سطيح ليعدها للغد بين العدد فهذه هي :

الحكمة الحكمة في بسمة تمخّض الهزءُ بها في الشفاه

لقد اضحكني هـذا الكاهن الذي يوصي بالابتسام وهو امرط كالوطواط لا مبسم له ..! وان كان هـذا سلاحه في حرب الدهر فلماذا صوره الشاعر يشك في وسطه (مدية نار غمدها من دخان) ؟ واغرب من هذا استعارة التمخّض للهزء والشفاه، اذ لابد للتمخض من طحير وزحير وليس مخرجه من الباب الفوقاني، ناهيك ان الهزء يرتجل ارتجالا .

اما شق فيقول انه نصف انسان (وقد شقّ من اعلى ألى اسفل) ولكي تتصوره جيداً تأمل القصاب حين يقد الذبيحة على الدودة . وشقّ هذا ، كأخوته بالرب يحمد الله على كل حال ، فكأنه يقول بلسان داود : الرب نوري وخلاصي فممن اخاف ؟

اقفز فرق الارض مثل القطا والله يهديني سواء السبيل
لو شئت ان اعلو أو اهبطا اعلو بجيـل ثم أهوي بجيل

انه ينط هذا النط وهو شقفة انسان ، فكيف لو يكون مثل الناس ؟ وشق كما بدا من كلامه مسيحي لا غش فيه ، وشعاره: ان شككتك عينك فاقلعها ، او يمينك فاقطعها ... وهو وان نطق من نصف لسان ونم فقـد بلا دهره ولم يصل الى الحكمة لولا السكوت ، ويكفيه قلب نصفه نيّر (لا كان قلب نصفه اسود)

اما الحكمة التي زود بها شاعرنا فهي :

سبحان ربي وهو رمز الكمال اني لولا النقص لم اكملِ

لو قال المثل: القرد في عين نفسه غزال، لقلنا صحّ في شق، ولكن الامثال لا تتغير عن مواردهـــا . اما حكمة شق فتنقض فلسفة الشاعر التي وضعها على لسان العرّافة. ولو تأملها لردعته عن تعنيف الانسان وسخطه عليه .

ومن حكمة الكهـان المملة ننتقل الى « ثورة البغايا » والضد يظهر حسنه الضد ، فنرى في « غابة الحور » اعشاشاً مطينـة بفتيت المسك ، والحور فيها عاريات شُعث الشعور ، طبقاً للمثل القائل : شعرها منكوت مثل الجنّية . وما رأت الحور الشاعر حتى فررن ووقفن منه بعيداً يغمزنه ، فعرف فيهن بنات الفجور — هن هن في الدنيا والآخرة غمّازات متشيطنات — ويمعن الشاعر في تصوير نهودهن وتشبيهها :

هل النهود البيض الصقنهـــا من نتف الغمام فوق الصدور
والنقط الحمراء في وسطهـــا أهي من الفجر بقيّات نور
أم بقع منـــذ عناق الهوى تؤجّ فيهـــا جمرات الثغور

فلولا (الصقنها) في البيت الاول التي ارتنا النهود ملزقة تلزيقاً لتمّ له ما اشتهى من فن رفيع . ويخبره شيطانه : انهن ثرن على الله وأبرمن الجهنميين ولذلك (زجّ بهنّ الله في عبقر) . وهنا أحتجّ باسم صاحبي جبرائيل ، فشفيق جعله خازناً للنار أو وقاداً لجهنم ، أو لا أدري ماذا ، بقوله :

إن ينفض الرجوم عن سيفه جبرين قهقهن لجبرينـــا

قلت لا أدري ماذا، لأن هذه (الرجوم) مضطربة مثل اضطراب الاسطورة . فجبرين بشير سلام ، ورسول خير ، طرقته دائماً صوبنا لا صوب عبقر ، فهو لا يعرف درب جهنم. اما وزير الحربية في ملكوت الله ، وقامع ثورة الملائكة ، يوم تمردوا على الاب الازلي ، فذاك ميخائيل رئيس الملائكة .هذا هو ربّ السيف الذي وطد دعائم العرش السماوي ، وبلانا ، نحن البشر ، باخوته الذين طردوا من الفردوس . فأي بأس على الشاعر لو صبّ اسمه في قالب جبرين فصار ميخين ، وسلِمَ التاريخ ...

اما ماذا قالت البغايا في نشيدهن فملخصه: انهن فراشات صرفن ازمنة اللهو كما ينبغي ، واقبل الليل وأطفأ الاحداق فتركن الجسد مداساً تحت أقدام العاشقين ، وهنّ لا يأسفن على الكأس المحطمة بعد شربها - كما فعل بشارة - ثم احتججن لثورتهن على الله بانه خلقهن للهوى وجاء يعاقبهن عليه .

المقطع حسن ، يا اخي ، فاقرأه . ان هذا المقال لا يتسع لكل شيء ، وما عليّ انا ان امضع لك ، جرّب انت اضراسك ومعدتك . اقول لك هذا ولا احرمك شيئاً منه ، فاسمع :

ثرنا عليه حينما سامنا عسفاً فلم نصبر على عسفه
قد حشد اللذات قدّامنا وجيّش العذاب من خلفه
افتى بان نقوم في ربقنا بجزية العبد الى ربه
هو الذي أذنب في خلقنا وراح يجزينا على ذنبه

وان تقل لي وهل يخرج هذا الكلام عن قول الشاعر القديم :

الهي ليس للعشاق ذنب لانك انت تبلو العاشقينا

اتخلق كلّ ذي وجـــه جميل به تسبي عيون الناظرينا
وتأمرنا بغضّ الطرف عنـــه كأنك ما خلقت لنا عيونا

قلت لك : ما غادر الشعراء من متردم ... وبعد « ثورة البغايا» يأتي « العبقريون » فيجعل الشاعر محلتهم مقبرة على حدود عبقر ، كما جرت العادة بالمقابر في عالمنا هذا . ولأمر ما خطط ابو العلاء للحطيئة كوخاً في اقصى الجنة وقال انه لم يصل اليه إلا بعـــد هياط ومياط ، فهل من يقول لي لماذا جعل شفيق الشعراء رفاتاً ، ولم يهبهم الحياة في عبقره ؟ ولماذا رآهم رمماً وجماجم باليات؟ أليسأل شيطانه عنها ويقول لنا :

فقال لي وقد لوى ضاحكاً هذا الذي تلده الامهات

إنه لجواب شيطان مكرّار ، ومن حقه ان يقهقه ويستلقي على قفاه ، لا ان يلوي ويضحك فقط ،ولكنه كان رفيقاً بصاحبه هذه في الرحلة بجملتها . اما انا فما ضحكت بل احسست باشمئزاز كثير حين رأيت الجرذ والفأر والجماجم والعظام المبعثرة . اما حديث الشاعر مع هذه العظام النخرة والجمـــاجم المكشّرة فكلام خوري يعظ محدثاً اولاده المباركين عن الموت والدينونة . وكذلك جوابها حين صاحت لتقول كأيوب في بلواه : الرب أعطى والرب أخذ . ثم ينهى الشاعر عن إقامة التماثيل للعبقريين كما فعل موسى من قبل فقتل الفن ، فقال بلسان الشعراء :

احلامنا نحن فقل للألى شادوا لنا الانصاب إكبارا
احلامنا كن لطـافاً فلا تصيروا الاحلام احجـارا

وهل التماثيل حجارة ؟ لا يا استاذ ، فكم من تمثال صيغ قصيدة،

وكم من قصيدة جعلها الفنان تمثالا ناطقاً . الفن شعر حيث كان .
اما ما يريده شفيق لزملائه فهذا :

لكنّ من يهز منا الرفات
فهو الذي كلّ اماني الحياة
يفـــترّ في ثغره
وكل ما في الارض من ذكريات
يغفو على صدره
لا تستطيب النجـــوم
غـــير تهاليله
وليس تبـــكي الغيوم
في غير منديله

ترى هل تمنع التماثيل هز الرفات وبكاء الغيوم في هـذا المنديل الذي هو كجزّة جدعون المحكي عنها في التوراة ؟!

اما الفلسفة الكبرى التي عاد بها الشاعر من هـــذه الرحلة السندبادية فهي ان الحب المعلوم هو كل شيء :

فالارض ان كانت جحيما له وكان فيها تهنأ الارضُ

هذا رأي الناس حتى عوامّهم ، ولذلك تراهم يقرطون الترمس المنقوع حين تكل اضراسهم عن تكسير اللوز ... فليت الشاعر خلق غير هذا الفكر المبتذل فقد اتعب قلبه واجهد قارئه ليقول له ما يعلم . يا ليته غنّى له — كما يفعـل المسافر — لينسى مشقة هـذه الرحلة العمشاء . بل ليته لم يجئه بهذا الوزن المخلع الذي لا يستطيع المسيح ان يقول له : احمل سريرك وامشِ . كنا نتمنى ان تكون

عبقر المعلوف قهوة يلهو فيها العباقرة ، لا مقبرة تبعثر فيها بقاياهم . كنا نتمنى ان تكون عبقره مثل قمقم الف ليلة وليلة ، تنشق عن مارد ينطح رأسه السحاب ويسد زوله الفضاء . ولكنها جاءت بالعكس : الاطار أعظم من الصورة فكانت كالارض في سفر التكوين ، وما هكذا تنظم الاساطير .

ولشفيق فلسفة اخرى تسود قصيدته ، وهي ايضاً مما يقوله عامة الناس : الانسان شرير خبيث لانه يسيء ، فكأنه لا يعلم ان الحياة كذا خلقت ، خلق فيها الشر والخير توأمين معدتهما واحدة . قال شاعر عربي اظنه بشر بن المعتمر في الحيوانات الضارة :

وكلها شرّ وفي شرها خير كثير عند من يدري

فماذا عسانا نقول في الانسان ؟ ان الحياة لذيذة ، فلنعش هذين اليومين بلا فلسفة ، فالفلسفة تطحل الناس . الدنيا حلوة وزينتها الانسان ولو خلت منه لصارت كعبقر المعلوف ... - ولو صار الانسان خيراً بلا شر ، او شراً بلا خير لصار كالخالدين الذين وصفهم الشاعر . « فلو كان الشر صرفاً هلك الناس او كان الخير محضاً سقطت المحنة ، وتقطعت اسباب الفكرة » الى آخر ما يقول الجاحظ (الحيوان ص ٩٥ جزء ١) صدق جاحظنا الجميل ...

الحياة في نظري بحر ، وخير ما في هذا البحر مدّه وجزره ، فما أكره هذه الفلسفة السوداء ، فلسفة الغاضبين على الحياة وسيدها الانسان ! وبعد ، فليقل الشاعر ما شاء فهو حرّ في خلق عالمه وليس لنا ان نسأله إلا عن « الحياة » فيه ، وهذا ما فعلناه في مقالنا الاول اذ وصفنا بايجاز اشخاص عبقر .

اما لغة القصيدة وتعابيرها فلا تحيد عن خطة القدماء ، بيد انها خالية من الكلام الوعري ، وان كان فيها كثير من الرواسم فقد يكون الحوار أحوجه اليها . ولكنه كثيراً ما انطق ابطاله بالفاظ لا يعرفها رفاقهم فجاء الكاهنان كأنهما من أيمة وقسّيسي هذا الزمان.

وخلاصة القول ان عبقر قصيدة عادية مبنى ومعنى وتصوراً ، تزينها فلتات تدلنا على الشاعر المرتجى خيره ، وهي ، على قلة حظها من الخلق ، ستظل وجيهة الى حين ، يتبدّل بعضها بعضاً ، وحسبها هذا . فقلما رأيت شاعرها يفعل كغيره من الشعراء الذين يرجمون البحور الشعرية بالفاظ مهيّأة كأنهم يدكدكون حفرة .

الى الامام يا شفيق ، ولا تقنع بهذه ، بل هات في الغد قصيدة اكبر من اسمها .

٤ – ١٩٣٧

هريستي وزبوني...

شاء صديق لنا ان يدافع عن « عبقر وصاحبها » فكتب فصلاً ذكرنا بقول ابن القارح في مخاطبته المعري : « فاعجبوا من هريستي وزبوني » . انني اشير على الادباء والمتأدبين ان يقرأوا ذلك المقال الكيّس ، ليتعلموا اساليب الرد المدملك ، والنقد المفذلك ، وخصوصاً « الادب » بكل ما تتحمل هذه اللفظة من معان .

طرح صاحبنا شبكته في حوضنا فخرج له اخطبوط وتوتيا وسراطين ، وغير ذلك ، وفزنا نحن منه « بالاسماء الحسنى » ، سبحان من هي له ! فاسمع بعضها ، جلّ شأنك : مجنون ، سطحي ، ضيق الصدر ، بليد ، منهوك الاعصاب ، فج غير ناضج ، حجر ، مكشّر الخ .. فانا كما نعتني هذا الكامل وزيادة ، فمن سمعني قلت انني فرفور ، وكيوسف الحسن في الجمال والبهاء ؟

الخلاصة ما خلّى صاحبنا ولا بقّى . — وكأنه استحى ان يخلع عليّ لقب سميي مروان الجعدي ، فقاله بمعناه لا بحروفه ، وهو لو فطن لكان تهجّاه كما كنا نفعل صغاراً ... رحم الله طريح بن اسمعيل الثقفي الذي قال : « عقول الرجال تحت أسنان اقلامها »

ولكن شيئاً من هذا لم يكن فجلّ ما فعل صاحبنا، انه حاربنا بسلاحنا، فمسخ صورنا، ناسياً قول المثل: الحديث المعاد، والطبيخ المزاد ...

قيل: سأل البحتري ولده ابا الغوث، عن الفرزدق وجرير أيهما أشعر، فقال: جرير. قال: وبمَ ذلك؟ قال: لان حوكه شبيه بحوكك. قال: ثكلتك امك، أوَ في الحكم عصبية؟!

وإلا فلماذا يكتب بديع زماننا بالمسّاس؟ هل ظن جلدي متمسحاً؟ قيل لي انه مسخر، فكدت اصدق، ولكن قوله «انني لا اجد حسنة في الاحياء، وأجدها كلها في الاموات» نمّ عليه وذكرني ما كنت نسيته. لهذا قصة ستذاع في حينها وفيها خير كثير عند من يدري، ويعنى بالادب، فكثيرون منا يرون انفسهم دنيا المتقدمين والمتأخرين، قل:

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ولهذا لا نحمل حقداً على اخينا كما خشي، ومن يحقد على الدنيا جميعا ... كان من المجانين.

عاب عليّ أخي نقدي النحو واللغة فلم استغرب هذا. فكلنا يعلم ان من يعجز عن مصّ العظم يستطيب الحريرة. غفرانك اللهم، أأنا «مغربي» لأعالج الادب بالبخور القاطع، والبخور المانع، والبخور الشافع، والمرار الهندي؟ ثم اخضخض الدواء قائلاً للمريض: اشرب وتوكل على الله، وادع للحاج ابراهيم ...

اننا ندع هذا «للمغاربة» الذين يحملون الاعشاب بالخرج، وينادون في الضياع: دوا للعين، دوا للحبّة، دوا «للربّة».

اما نحن فلا بد للمريض من ان يزور كل مختبراتنا، فهناك فحص

الدم وتحليله ، وتصوير العليل ، ودرس السلالة ، فللأرث عمله في الادمغة كما نعلم . ومن لا يصبر على هـذا فلا يشرّف محلنا . لا ننكر اننا نلجأ الى الفصاد اذا رأينا « الضغط » عالياً ، ثم الى الكيّ ان كان آخر الدواء ، فلا صديق ولا خليل في المختبر .

ان « مبذرنا » يفحص افرادياً ، والبذرة المذرة غير الصالحة للتفقيص تنفى خارجاً . فالنقاد (الصخور) لايحركهم الا ديناميت الفن وان صدق ظني فعندي منه على الرّف ، ويومئذ يرى هـذا المحب اننا لا نجنف عن طريق الحق ، نرذل الاحياء الاموات ، ونمجد الاموات الاحياء .

فهذه الهيصات والهمرجات ، وحُكّ لي احكّ لك ، تذهب مع الهواء السارح . فمهما دافعنا عن احبابنا فهيهات ان نرد قضاء الادب فيهم ، وان وقيناهم فالى حين كما يعالج الطبيب تهوّر القلب . لسنا نلعب بالسيف والترس ، وليس النقد تهريجا وبهلنة والعاباً كالتي يقوم بها داهش وسالمون .. ان إمامة الادب لا تؤخذ بالدعاة والانصار ، وما هي بيعة مساء ...قد يصير الرجل الخامل ملكا ، او امبراطوراً او ديكتاتوراً ، او بابا ، كما حدث ويحدث في التاريخ ، اما ان يصير اديبا معدودا ، او شاعرا كبيرا ، فهذا لا يأخذه الا بحقه . اما حقه فالابتداع . فمن اراد ان يدخل ملكوت الادب فليبدع . ان الصنوج والمباخر لاتفتح بابه لاحد .

لا يكون النقد والرد مهارشة ، والسب والشتم لايدحضان حجة . فدانتي افهمنا في اول سطر ما سوف يعترضه من اهوال ، اما الشاعر شفيق المعلوف فاستعار ابتداء الخيام ، ولكن ابتداء

الحيام يدل على مذهبه ، وكلام شفيق أنبأنا انه سيكون خيامياً فاذا به يصير كما ر بولا اول الحبساء .

هذه الكلمة وحدها استحقت هذا الرد ، ولن نجيب ، فيما بعد، الا من يقرع حجتنا بالحجة . فعمرنا قصير والعمل كثير . نريد ان نفتش عن الادباء الحقيقيين لنجلسهم على كراسيهم ، ونقصي من لا يستحقون الوقوف في الدار . هذا كان في نيتنا ، ولا يزال منذ احترفنا النقد .

واعجباً ، بـــل الف واعجباً ، كيف يفرقعون والمكاوي بالنار ؟! يهولون علينا باسماء اجنبية طويلة ، كأننا نخاف من طول اسماء الاعلام وغرابتها ... ان شيء الغريب حلو ، كما يقولون ، ولكن في عين غيرنا . اما نحن فنحترم هذه المخاخ الكبيرة ونجلّها . اننا نزورها كغيرنا لنستنير لا لنأخذ... فقد نسايرها وقد نعارضها ، فلها كلامها ولنا كلمتنا ، والحكم للتاريخ . اننـــا نشتغل للدهر العتيد ، ولخدمة الجيل الجديد ، نشتد على الكبار لنهذّب الصغار ، فقل رب لا تجعلني عبرة لغيري .

انني اسمع وانظر واقرأ ، واقول كلمتي – كما تفهم بلادتي وبلاهتي – فان اعوججت فحسبهم ان يقوموني لا ان يصارعوني ويناطحوني ... لهم ان يسخروا بما اكتب ما شاؤا ، اما شخصي فليعفوا عنه كرماً ولطفاً ، وهب انهم فعلوا ذلك فلا بأس عليهم ، فانا احمل خشبتي منذ سنوات فلا اجد من يصلبني عليها ...

وعلى كل فالشكر لنقد عبقر الذي نفّس عن هذا الوعاء وإلا لكان انشق ...

محصول الشهر

لن ننقي محصول الشهر كعادتنا بل نجوله جولا كما تفعل ام العيال حين تفرغ خليتها ويستعجلها مكاري المطحنة .

كان بعد ظهر السبت الاسبق مشؤوماً ، فما بلغت العاصمة حتى قطع علي الطريق بائع صحف يرغبني في شراء « الحديث » ثم ماشاني ملحاً ملحفاً كأنه من خريجي مدرسة الحطيئة ، او كأنما له عندي ثأر . استعفيت فأبى ، خبرته ان محرريها اصحابي وانها تأتيني كل يوم ، فزاده اعتذاري تشدّداً وأراني قصيدة من نظم فحل الساحة حليم دموس ، وشوقني الى التمتع من شميم عرارها قبل المساء ، وما بعد العشية من عرار . والتفتّ لعلي أرى من أستعديه فلاح لي خبيث لاطىء بالجدار يكركر في الضحك فعلمت انه غريمي الذي عبث بي هذا العبث فتصافحنا وانتهى المشهد الاول .

وازفت الساعة الخامسة فشهدت مجمع أمين تقي الدين في مدرسة الحكمة فاذا بالشعراء ارفضوا عنه ولم يبق في الميدان الا سعيدعقل ، فسمعت ابياتاً طيبة انستني بعض بلوتي بقصيدة ابن بلده شاعر البردوني . وركب المنبر الاستاذ السودا والقى خطاباً عدد في

ختامه نوابغ لبنـــان ، علمانيين واكليركيين ولم ينس الا شيخهم الشدياق فادركت انني اغنّي في الطاحون .. اما اذا كان الاستاذ المدْرَه قد تقنّع بقول الحريري: والبس لكل حالة لبوسها ، فهذا شأن آخر !

وانصرفت الى حيث واعدت رفيقين صديقين فالتففنا حول الطاولة كيوم كنا في المدرسة ، ولكننا لم نتهنأ بذلك المجلس . جاءتنا قصيدة حليم دمّوس ، وابى ظريف الا ان يطربنا بمطلعها :

فتاة على جمر الغضا تتقلب اليس لها يا قوم ام ولا اب

فقلت اعوذ بالله من شر شيطانك يا حليم ، ان فتاتك هذه مثل سفّود النابغة الذي نسوه عند الشوّاء . قد صارت هـذه « الفتاة » شاورمه ! ان استفهامك من نكبتها .

ظن الخادم اننا نطلب « شاورمة » فجاء بصحن منها وهذه اول مرة يطعمنا النقد... تعوّد القوالون ان يحملوا الريح سلامهم ، اما حليم فجعل الشعر مرساله ووجهه صوب الحجاز والعراق ومصر و .. و .. ولا عجب فشعر حليم من حوامل الاثقال التي حلت بساحة ابن رجاء ...

اما النكبة بهذه القصيدة فقـــد كتبت لسماحة المفتي الاكبر ضيف لبنان ، ولا شك انه استقبلها بصبر جميل مردداً قوله تعالى : قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا. اما انا فتمثلت عند حلولها بقول الشاعر: «كان الذي خفت ان يكونا». قلنا خلت الجبهة الغربية من الابطال – جبهة شعراء المناسبات – فاذا بهذا القرم العنيد يكشف عن رأسه متمثلا بقول ابن العبد : اذا القوم قالوا من فتى ...

ولم يسقط عنا هذا الحمل حتى قال أحدهم : وحليم قال قصيدة عصماء في حماة ، ثم صفعنا بمطلعها :

لاحت عـــلى ضفة العاصي ربوع حما
فانزل بساحتها تنزل بخـــير حمى

فقلت أهو حمل كوسا وباذنجان ؟ واردت أن اقول شيئاً آخر فسبقني وقال : اسمع قوله في مدح السيد موسى عزيز ، احد اركان الجالية الحموية المحتفى بهم :

قلت : قل يا اخي ، قل ! ليلة مشؤومة ! اكتمل النقل بالزعرور !

فقال :

سميه موسى كان الصخر فجّره ماء وموسى يفجر ماله ديما

قلت : هذا الذي يتكلم شيطانه بالهندية لا ذاك الذي خبرنا عنه علم البلاغة ! فحتى متى يقرزم حليم ؟ والله لا أدري . ومتى تتحنّن عليه ربة النظم .. ؟ العـــلم عند الله . كنت اسأت الظن بالراوي ولكن جريد الشباب الطرابلسية اثبتت هـذا الشعر المطهّم الذي استولى على أمد الركاكة فصحّ الصحيـح وانقطع الرجاء .. فالى القوّالين ننعى المواليا والدوبيت والدفن في الحازمية (انفاليد لبنان).

وأشفق عليّ رفاقي لانني في حِمية اوجبها عليّ الدكتور الامير رئيف ابو اللمع ، فنقّسوا عني ، وانا من لحم ودم. اسمعوني قصيدة القاضي الشاعر مراد ابي نادر فطابت نفسي وشربت عليها كما كان يفعل الرشيد ، ناسياً أمر الطبيب . تذكرت نفس لبيـد واطراد ميميته فقلت ما اصدق حديث الامثال : الله لا يبتلي حتى يعين .

وتركت الحانة ابغي عاليـــه فصادفت الصديق الشاعر صلاح

اللبابيدي فلذنا برفرف نتذرّى بظـــله من الطشّ ، ثم انتقلنا الى حيث شربنا القهوة وانشدني ابياته في رثاء امين فسمعت شاعراً يرثي شاعراً ويقول فيه ما لا يقال إلا به . فحمدت من جعل ليلي خيراً من نهاري ... حقاً ان احكامه لا تدرك !

١٢ – ١٩٣٧

١

هذه طريقتي

عدنا وما كانت روحة بلا رجعة ، كما تمناها محبو السلامة ... فكأنما القضاء سخرنا لبقية سهام في جعبته فان اصابت فلهذا بريت ، وان طاشت فلتهنأ المستهدفين العافية . ستقول فيّ قولة العوام حين يدخل شباط وفي وجهه الشر : جاء بطبل وزمر .

— نعم نعم ، وبسيف وترس وتبّان فالحياة نضال وصراع .

من يلومنا ان اشتقنا الى حديث « ادبنا وادباؤنا » . قد وقف قلمنا خمسة اشهر لمرض غلبناه بقوة هيكل — غير هيكل الروح القدس — اقلّ ما يقال فيه : كجلمود صخر حطه السيل من عل ... أما خطتنا فتلك ، ونصيحتنا الى أحبابنا قول بولس الرسول للاغزاب والارامل : من يدفع بتولته للتزويج فحسناً يصنع ، ومن استطاع أن يحتمل فليحتمل ...

قد تقول يا قارئي العزيز : لو عرفنا بدائك لعدناك ، أما جوابي لك فمن جراب الحدقي في سنّته الجاحظية : « العالم محجوج والجاهل معذور » ، فلو كان مارون عبود شقفة موظف في جمهورية أفلاطون لجاءتك بأخبار وعكته الصحف . ولو كان أكثر من ذلك ، وانهزّ

الماء في مصارينه، أو عطس مع الصبح لحسبوا لعطسته الف حساب، ولكن مارون اديب ،وفي لبنان .

وبعد فما لنا وللناس ، ما زال الدم نقياً ، والعقل في الراس ، فانا وانت بالف خير . قد لبطت بعزرايل الارض وعدت الى مهنتي التي أرى فيها لذات الجاحظ ثلاثها .

*

قرأت مؤخراً ، والاصح سمعت واحداً يقرأ ، خبر رسالة — في لندرة كما أذكر - نامت في ادارة البريد سنوات ، ثم فتشوا عن صاحبها فاذا به قد مات . فهل ترى بين موضوعي وتلك الرسالة الكهفية بعض النسب ؟ المرض عذرمقبول ، ودروس الادب ليست اخباراً محلية ، ولا سندات تجارية يبطلها مرور الزمن . فاعذرني اذن ان حدثتك اليوم عن معركتين .

كان للشعر في هذا العام موسمان : الاول مع موسم البلح في مصر ، والآخر مع المشمش اللوزي في لبنان . أما الذي وافق موسم البلح فكان يوم عرس جلالة الملك فاروق ،وخير ما قيل فيه قصيدة المهندس طه ، وهي معارضة لقصيدة الشريف الرضي القافيّة التي عارض بها رائية البحتري : اخفي هوى لك في الضلوع واظهر. أما في النثر فقد جلى امين نخله ، مندوب لبنان الى فرحة صاحب الجلالة ، فأزرت خطبته بالكلام المنظوم وقامت دليلاً على ان النثر يماشي الشعر في لبنان ، وان لنا في كليهما قدحاً أعلى . كانت خطبة امين سلسلة من نور البيان فربطت الوادي بالجبل. طرحها شبكة فوق « بحرنا » فاصطاد كثيراً ولم يقف كثيباً كبطرس القليل الايمان..

وكما كانت تلك « القنينة » بريد العيد بين البلدين يوم كانوا يعبدون معنا ابن بلدنا المرحوم ادونيس ، هكذا كانت خطبة امين تذكرة للقـــاهرة بعهود لا تتناساها :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا
من كان يألفهم في المنزل الخشن

وشاء بشارة الخوري – كعـــادته الحميدة – الا يمر عرس بلا قرص ، فنشر بعد رجعة امين بضعة ابيات هنّأ بها صاحب الجلالة من بعيد ، فعدها الخبثاء تحدياً للامين وافهامـاً للبشر ، وخصوصاً الغلاظ العقول مثلي ، ان مبيّض وجـــه لبنان هو شعر اخيطله العظيم ، وكل ما عداه وساوس وهذيان . ولكن الذين يعرفون يؤكدون ان الاستاذ لا يزاحم في المضيق ... اما الراسخون في العلم فيعرفون ان نثر الامين الفذّ خـير من شعر مبتذل كقول بشارة :

أنزلت آية الهدى في جبينك فاذا الكون كله طور سينك

أرأيت هذه العرائس : آية الهـدى ، وطور سينا وغيرها – كيف يحنّيها الشاعر ويجلوها بخمار جديد ولسان حاله يقول : قومي تخطري يا زينة ... ولكنهـا ويا للاسف لا تخطر ولا تتثنى ، بل تقوم لحاجتها متحاملة كأنّ عظامها من سنديان ... فمـــا اشنع طورسينا متصلة بها الكاف ، ولو هطل الوحي فوقهـــا ميازيب ! وابشع منها نزول الهدى في الجبين فهو يذكرنا الحفر والتنزيل . لا الوحي الذي يرفرف ولا يقع !

ثم تغار الشمس ، وغيرة الشمس محرقة آكلة كغيرة ايليا على

بيت الرب ، ولكنها تعقلت اذ رأت ان ليس في اليد حيلة فوقفت عند حدها ، وقعدت ملومة محسورة تتمنى لو تكون من « عين » جلالته ، ولذلك قال شاعر العرب يصف موقعة ابي قير :

فتن الشمس مفرق زين التاج فودت لو انها بعض عينك

ما معنى (عينك) يا اخي ؟ اعانك الله على ترويض القوافي في هذه الآخرة ..وكأنه قرأ في الصحف عن تقوى الملك الصالح فنظم ذلك شعراً :

ما رأت مصر قبل يومك هذا مثل دنياك في الملوك ودينك

ثم استحلى توتنخامون زاوية لهذه الصومعة المتواضعة ، فاقتطع منها ما احتاج ليقول :

شرفاً عرش مصر تِه وتنقل بين فاروق تارة وأمونك

لا افهم الداعي الى (شرفاً) التي قالها البحتري منذ الف سنة واكثر . قد تكون مثل قولهم : بشرفي ... ان لشاعرنا الاكبر حق كشف الغطاء عن هذه الباذنجانة ...اما المعنى فيذكرني كثيراً قول شوقي حين قرّع امون الملك الوثني قائلاً له :

فؤاد أجلّ بالدستور ملكا وأشرف منك بالاسلام دينا

وتخيّل بشارة الدهر راكعاً يلثم راحتي جلالة الملك او العرش — لا ادري الى من يعيد الضمير — ثم مسخه رجلاً كسيد درويش وهو يغني عبقري الالحان تحت غصون صاحب الجلالة . واذا كان لا بد من ان يكون في الامكان اكثر مما كان — اللهم في شعر المناسبات — قال شاعرنا الاعظم في النيل وشاطئيه ثلاثة ابيات من شعره الخالد ختمها بقوله :

حسدتك الانهار حين أتاهـــا ان فاروق من هواك وطينك

أما هذه الطين فتستحق جائزة القرب .. وحكاية جائزة القرب: ان المدارس ، تعطيها – او كانت – من يقارب الثاني بضع مرات. وبما ان طين بشارة قاربت بكل فخر قول ذلك الاعرابي للامير: وانت كتيس يقرع الحطوب ... اقترحنا اعطاءها جائزة ، وعلى « المكشوف » ان يخلقها مثلما خلقه الله .

نعلم ولا نجهل ان للنيل طمياً خصباً ،ولكن ذكر الطين والوحل يستوحش في آداب شعراء الملوك . وخصوصاً اذا كان ختاماً . قد تعوّدنا القول : مسك الختام لا طينه .اما اذا كان وحل النيل بلون المسك فانني اعتذر . وإن قال احد من رجال الجدل ألا تذكر الآية : خلقتني من نار وخلقته من طين، قلت له : ليس هذا الكعك من ذاك العجين ، والكلام مواضع ، والفن كله هناك .

ليت كلمة امين نخلة في يدي لأنقل منها للقاريء بضع فقرات فيقابلها بهذا الشعر المخيض الذي هو زبدة الحقب ... كما قـــال ابو تمام .

اما ما وافق موسم المشمش فمهرجان الاخ الحبيب ميشال زكور. رحم الله أخاً غره سراب السياسة فغلّ في صحرائها ودفن في رمالها الملتهبة شباباً نقياً كفجر عين كفاع ، وبهياً كغروبها . كان ميشال طيراً يرفرف في آفاق الادب فتدحرج كرة على مائدة السياسة يتلقّفها رجل رجل ...

ليس فينا من ينكر ان يومه كان من ارهب ايام لبنان – فبطرك يجنز في باريز ، ورئيس جمهورية يمنح وسام الارز ، و ... و ... ثم

تجيء ذكراه الاولى فيكون لبنان كله فيها . ومن يمثل لبنان غير رؤسائه الثلاثة ، والثلاثة كانوا بأنفسهم . ولكن أيساوي هذا كله مقالة واحدة يرويها ابناؤنا لميشال حين يؤرّخ الادب ؟

باع ميشال الآجل بالعاجل ، وما ربحت تجارته ... بلى ربحت ، فلو لم يكن ميشال وزيراً ما احتفل به هذا الاحتفال ولكنه احتفال ينساه البشر كما نسوا صولة عبد الحميد وابهة المير بشير ... ولكنه يشهّينا ما نتكالب عليه ، فلو قامت الحكومة ، ولو مرة في رأس الزمان ، بتعظيم ادبائها لارفضّ عنها عشاق الوظائف من شبابنا المتأدب وإن لم تكن غليظة القلب ...

ان « عبدو » و « ديوروسكي » – حصاني سباق – فازا بألفي ليرة ولم يصب الشدياق قرشاً مقدوحاً ... ينفق على يوبيله الخمسيني . ولكن المال آخر مطالب الادباء ، فحسب الحبيس صحن مخلوطة ورغيف يابس يتطاير شعاعاً كشعر بشارة ، فسعادته الكبرى في ان يخال العذراء تبسم له في الحنيّة . ويتململ المصلوب امامه على الخشبة ...

سامح الله اخانا ميشال الذي تركنا وصار حزباً لغيرنا . لسنا ننسى ابتسامته الحلوة ولا شيبته الفتية الفاتنة . كان ، رحمه الله ، شاباً يمشي على الارض ، وكان « معرضه » زمناً ، معرض الادب .

تتناثر ايامي كأوراق ازدرختي ، واحدة خلف واحدة ، فاخواني الذين يتدهورون في الاعماق هم تلك الحواجز التي تحجب عني رهبة الهوة الابدية ، ولكنني ، والله ، مغرور ، أكاد لا اصدق انني سأموت . بل ارى الموت بعيداً مني فلا انفكّ لاهياً عابثاً ،

غير متذكر عواقبي الاربع كما علمني جدي الحوري ، اتبع هواي غير عابيء بمن يريدونني على غير ما اردت لنفسي. ان الحكم للغد ، فلا يمشي بالعكاز إلا كل محلول الظهر ولا يقول : الدرب الدرب ، إلا من ليس في وجهه عينان. ففي الانحراف عن السكة لذات لا يعرفها إلا من ذاقها ، هناك ما يرى وما لا يرى. اما الجادة فلا تريك شيئاً جديداً ، ما اشبه قولهم : نقد علمي ، بحث علمي الخ بقول الكاهن للمعترف : زر كنيسة الرعية يوم عيد السيدة ، وصلّ الابانا والسلام خمس مرات تربح غفران مئة يوم .. ان بونا ونتورا صلى كما شاء وهو اليوم قديس عظيم قاعد في السماء مستريحاً — ويريح من يطلبون شفاعته بحرارة ايمان .. فلندع البحث العلمي لاصحابنا العلماء ، وما انا منهم ، والحمد لله . فلنترك النقد العلمي لحملة البركار والزاوية والفادن والذراع ، فالفنان يصوّر بالمكنسة . اما الناقل عن الصور الشمسية فليس في تأتّيه السلامة ولو استعار ريشة رافايل .

نقد علمي ، نقد فني ، نقد يقطيني ، كل هذه لا افهمها ، افهم طريقتي فقط . فمن اعجبته فليقبلها ، ولست لجنابه من الشاكرين ، ومن لم تعجبه فلينشقّ ... اما من يكلف الناقد ان ينسج على نول المنقود فكالطالب من الصائغ الاستاذ ان يكون في خزنته الف دينار وإلا فكيف ينقد الذهب ويقدر عياره ؟ خذ يا اخي من المخزن ما تودّ ولا تلم تاجراً لان دكانه ليس كمخازن الف باء ثاء ... اقرأ ولا تتحكم .

يعجبني جداً هذا الجمود ، بل هذا التفكير ، فبعد ما كنا نغرق للزنار في شعر المناسبات ، وبعد ما كانوا يقولونه حتى على اللهجة

– المازة – صرت لا تسمعه إلا في موضوع جليل كعرس ملك ، أو موت وزير ... قرأت منذ حين كلمة لصحافة مصر تساءلت فيها : اين الشعراء لا يمدحون جلالة الملك ؟ فارتحت ايما ارتياح . حسن جداً هذا الاحجام وأحسن منه عدّ العشرة قبل الاقدام ، واحسن الاحسنين تنزيه الشعر عن المواضيع التافهة . فملك محبوب كفاروق، اطال الله بقاه، يقال فيه الشعر كما يقال في تصوير اشرف العواطف واصدقها ، ورجل كميشال زكور يستحق ان يبكيه اصحابه شعراً ، فهو رجل مات والرجال قليل . فبحراسة الله يا ميشال ، والى اللقاء ، انما بعد اعادة عهد لبيد ، وسؤال الناس كيف مارون ..

اما الآن فاسمع نقدي لما قيل في رثائك فشد ما احببت هذا النقد ، وحثثت على المضي فيه ، وكان الجواب ان تذكرت : لا توص حريصاً .

فلنبدأ بقصيدة موسى نمور زميلك في وزارة الداخلية والصحافة .

٢

موسى نمور ، خليل مطران ، الملاط ، بشارة الخوري

ضرب موسى نمور صخرة الفن بعصاه فاخرجت نميراً غير غزير . تطيّرتُ – فنياً – من مطلع قصيدته ، فقوله : « احبابنا ، رفقاً بمن خلّفتم » يعيد الى الذاكرة ، على بعد العهد، قول المرتل في الكنيسة المارونية بلسان الانفس المطهرية :

اصحابنا لا تهملوا من يرقد في مطهر نيرانه تتوقـــد

وان تسألني ما الانفس المطهريةاقل لك ، ثاني مرة : هؤلاء قوم يهلكون ، موقتاً ، كما تقف الحكومة الصحف ، فيطهّرون بالنار كما علمتنا امنا الكنيسة الكاثوليكية ، ليـدخلوا السماء انقياء ... ولهولاء البؤساء سفير « رسمي » على الارض هو الاستاذ الغلبوني ، ورّثه المرحوم والده فيما ورث ، الوصاية عليهم ، والعمل البري، لنشلهم من بحيرة النار بواسطة القداسات والصلوات . ولكن سيدنا المطران مبارك شجب العمل اخيراً ، فقطع اللقمة ...

اما ما بقي من القصيدة ، فشعر سائغ محتمل ، بل هناك شعر رصين ما مسّ قط تابوت عهد الفصاحة لولا قوله حين ذكر الصديقين ميشال وامين تقي الدين :

فرسا رهان جلّيا في حلبة لم ندر ايهما الفتى الصنديدا

اقول ان السياسة افسدت لغة صاحب المعـــالي ، ومراسيم الحكومة التي تفوق النمل عداً نسّته مواد دستور الخليل وسيبويه والاخفشين فما ذكر التعليق والالغـــاء ، مع ان مراسيمنا اكثر تعليقاً والغاء ، واظنه لا ينسى واحـداً منها ... وكذلك فعل اذ قال : كفاك صدودا . وكأني بالوزير قد شعر شعوراً خفيفاً بهـذا اللحن فقال فيما بعد :

شرد اليراع فما اطاع وقلّما كان اليراع براحتيّ شرودا

فربما كان هذا الغلط من شرود اليراع فامسكه براحتيه كلتيهما، مع ان القلم من الهنات التي تمسك بيد واحدة ...

في قصيدة نمور شعر ونثر ، والعذر بيّن ، فالساسة يكثرون من قراءة الصحف ، ولغة الجرائد بعيدة عن لغـة الشعر بعدي عن الثروة . لا يغضبن موسى فله أسوة بالمير شكيب عديله في هـــذا النصيب الادبي . كلاهما ترعرع شاعراً واكتهل ناثراً . ان قصيدة موسى هذه متماسكة ، فيها الكثير من الكياسة والوداعة ونكران الذات . فهو يمدح ، غير مستدرك ، رجلا جلس عـلى كرسي قعد هو عليه من قبل ، فحياه الله ، واكثر فينا مثل هـــذه الاخلاق الفاضلة .

اما شاعر القطرين بل شاعر الاقطار كلهـا .. ولا احاشي من الاقطار من أحد ، كما قال النابغة ، فقد القى بعاعه بصحراء الغبيط كطوفـــان امريء القيس . لم يتورع شاعرنا الشهير عن الكلام الرائج بعد ذلك الجديد الرائع الذي قال فيه شاعر ما :

انت مطران دين شعر جديد فتن المسلمين قبل النصارى

فتوكأ على عصا الجناس التام، ولكن بلا مآرب أخرى، فجاء استهلاله بلا براعة كما ترى :

كيف قوّضت يا علم وانطوى ذلك العلم

قابل هذا بقوله في رثاء علي يوسف :

بنات الدهر، عوجي لا تهابي خلا الوادي من الاسد الغضاب

ليتضح لك ان المطران قد أدبر غريره وأقبل هريره .

حدثني الوالد، يرحم الله موتاكم ويرحمه، قال : تشكّى رجل سبعيني من ارتخاء في مفاصله، ووجع في ضهره، وثقل في رأسه، وطنين في أذنيه، وقصر في نظره، وكثرة سعلة وقلة أكل، فقال له الافندي – الطبيب – كل هذا من السبعين...

ثم يشبه الخليل فقيدنا بالطود والاسد .. ثم تصطف الرواسم كأنها تلك الخشيبات التي يصفها الصبيان لتقوم عمارة، وهذا رمز منها :

لهف نفسي على الفقيد فتى الباس والكرم

أروع وجهه أغر وعرنينه أشم

ثم تنضب الدموع وتلين الحجارة، ولا يبقى إلا أن تتفتح القبور وتقوم الموتى وينشق حجاب البرلمان ... كما أصاب الهيكل يوم موت مخلص العالم ... أما الظلمة فوقعت حقاً لان المطران يقول :

ودجا في القلوب صبح الاماني وادلهم

وهكذا يمضي شاعر القطرين على سننه، مقتفياً اثر الذين من

قبله فيدوّن كل بيت استقام وزنه وصح تعبيره ، حتى يسمعنا نصف دزينة من (علمَ الشعب) فيذكرنا بقول المهلهل : قربا مربط النعامة مني ... فهل لقحت حرب شعر المناسبات عن حيال ..؟ ولولا خمسة أبيات بعدها فيها شيء من نفحات شعر الخليل القديم لخلَت القصيدة من الشعر ، وانكرت ان يكون خليلٌ مطرانَ ضيعة لا رئيس اساقفة اقطار ... ثم يعود المطران الى حوك الاول فيقول :

ايها المنكرون ان ينقص البدر حين تم

لست ادري لماذا اتعب مولانا قلبه ، أليحل هذه المعضلة شعراً؟ فاي ذكي ... ينكرها ؟ وكأني بشاعر « سجدوا لكسرى » ، و« هل تذكرين » و« ملحمة نيرون » لم تصعب عليه معرفة نفسه اليوم فما تفرعن ولا تعرّم علينا : ولكن المطران كاسمه يعمل دائماً بقول المرتل : القلب النقي المتواضع لا يرذله الله ، فهو يقرظ نافجاً كل مستعط ثناء ، وكلهم عنده اشعر العرب ، رحم الله النابغة مبدع هذه الحكومة !

وتلي قصيدة المطران قصيدة الشاعر القائل :

انا جذع لبنان القديم فما ذوى ورقي ، ولا لوت المصائب ساقي

فهذا البيت صورة الملاط الناطقة ، فشبلي متنبئيّ الاخلاق ، والنفس ، والحظ ، وشعره نمّ على صاحبه من قبل ، فاسمعه كيف يفتتح رثاءه :

ابا مكرم لولا العلى والمحامد لما كان محسود ولا كان حاسد

إن قصيدة الملاط هذه من الشعر الرصين ذي المستوى الواحد ،

قال مطران
أنا لا أخاف ولا أرجي فرسي مهياه وسرجي
فرد عليه حافظ وقال قل أنا لا أخاف ولا أرجي . كفقي مهياه وخرجي

فلا تحليق ولا إسفاف . يدوم فيها الشاعر كبواشق ايلول ، ولا يغيب غيبات النسر ، تعبر قصيدته عن عاطفة مكبوتة فتقذف الحمم ، ويعلن ألماً يذيب الشحم ويقرض اللحم :

هنيئاً لقبر انت فيه ، وحبذا مكان امين ليس فيه مصائد

وكان شبلي كريماً ، كعادته في هذه المناسبات ، فما أكل حق حزب ولا جماعة ، مدحهم جميعاً على السواء ، ولو تخلص شاعرنا المطبوع من زنجير « للضرورة احكام » لانبثق نهراً عجاجاً لا يخرسه الاندماج بالبحر . لا أدري من يعني بقوله :

نصرنا رجالا ثم عند اختبارهم ندمنا وكم في التجربات فوائد

انني اخشى يا استاذي ، ان تقضي حياتك كلها « داخلاً في التجارب ولا تنجو من الشرير » ، فوالله انت مظلوم ...

ويمر على الشيّاح فتتراكم الذكريات حتى تعود به الى مقاعد المدرسة السوداء – كانت سوداء على عهدنا – فتتدفق العاطفة كماء بركة المتوكل فينظمها شعراً براقاً كالفضة السائلة ، حتى اذا بلغ آخر الشوط وقف وقفة جواد بلغ الغاية ورفاقه لا يزالون في المضمار . وكأنه يتذكر طرفة فلا يكسل ولا يتبلد بل يقول « الحرب لمن يريد الحرب » :

عواذل لبنان اذا شئتم الوغى فلا تفزعوا فالسيف في الغمد راقد

ولكنما في غاب لبنان معشر اذا غاب منا ماجد قام ماجد

في قصيدة شبلي شيء سماه العرب التضمين كقوله : اذا مات منا ... وكقوله : الاكل شيء ما خلا الذكر بائد . وفيها ايضاً طباق كثير يذكرنا صناعة حبيب ، ولكنه جاء عفو الخاطر .

تدل القصيدة على طول نفس قائلها ، والملاط لا يدانيه في هذا حد . إن رئته واسعة المسام ، فهو لا ينخر ولا يشخر فكأنما يتنفس من كير . تنزهت قصيدته هذه المرة عن التشبيب بمحاسن ومكارم اخلاق حبيبه بشارة ، فأين ذهب ذلك الغرام ؟ واين تلك الشرّة والعرام ؟ أما بشارة فأبى عليه طبعه ألا يذكر بالخير احبابه ومريديه فقال :

وربّ اخ رأى فرجاً بذمي فقلت رضيت ذمك لو شفاكا
أتطمع ان تحلق للثريا فتطفئها .. عدمت اذن حجاكا

أرأيت كيف يدجّل بشارة ؟ اننا نشتغل ليل نهار لنهديه الصراط المستقيم ويسمي عملنا قدحاً وذماً ، اننا نسلم امرنا لله ونقول :

ان قصيدة بشارة على الكاف المفتوحة كما ترى ، وبحرها الوافر ، والبحر والقافية كفؤان لهذا الموضوع ، فلنر ما قال . لا ادري ابهاء الدين يعارض ام ابا الطيب ؟ فبشارة هتلري المطامع ولكنه لا يحسن انتهاز الفرص ، ويسعى الى الهيجا بغير سلاح ... ضمّن قصيدته من شعرهما وشعر غيرهما فكأنه يقلد ابا نواس . اما مطلع قصيدته فجيد ، غير انه لا يخطو ثلاث خطوات حتى يتعثر باذيال الغلو والاغراق فيقول :

أجُنّ الموت ، ام هو رام كفؤاً
فهز شباب قومك واصطفاكا

ان هذا (الهزّ) ملائم جداً لموسم المشمش ، وعلى الشاعر ان يطابق مقتضى الحال ، ولكن من يرثي بشارة ؟ ايبكي وزيراً كالجمل الوديع ، ام يندب كبش نطاح ، سفاحاً جلاداً ؟ والا فكيف

يكون الرجل كفؤاً للموت ؟ ويمضي بشارة راسماً على لوحته صوراً سخيفة خفيفة كخربشة الاولاد على دفاتر الخط فيقول: حبيب الارز بوبؤ ناظريه ... ثم يقول :

اذا احترقت حشاه اسى فقدماً حرقت على مجـــامره صباكا

اذا سلمنا باحتراق حشا الارز ، مع اننـــا زرناه ، منذ ايام ، فوجدناه بخير وعافية ، فماذا تقول في (قدمـــا) ؟ أعمر المرحوم ميشال مثل متوشالح ومات عن شيخوخة متناهية ، متزوداً الاسرار الالهية ..؟ قاتل الله الوزن ، بل قلة الذوق والجـــلد ! ثم تسعف الشاعر ذاكرته فلا ينسى لف الفقيد بالعلم اللبناني ، فيبدو له اللواء ذائباً حزناً على المرحوم كأنه امه او ابوه .. الافضل لي ولـــك « ولبراءة » الذمة خصوصاً ، ان تسمع البيت :

ومن شهد اللواء يذوب حزناً عليك يظن امـــك او اباكا

ماذا يعملان يا ترى ؟ المعنى في قلب الشاعر كما يقول العوام .. رحم الله حنا زكور وزوجته فقد نشرا بيرقاً في مأتم ولدهما النبيه . أرأيت كيف تكون الصور صبيانية مبتـذلة ، وكيف يكون التجسيد مضحكاً؟ ان هذا يكشف لك اسرار مخيلة بشارة الواسعة وابداعه العظيم ... ويبسط لك « سفر تكوينه » لتعلم ان هنـاك واحداً آخر يخلق ذكراً وانثى ... فوحّد ربك ما شئت ، وقل : ان تعدوا نعم الفن لا تحصوها . ففي هذه الدرة اليتيمة الفاظ عذبة مثل (صاك وزاك) تذكرك اسطورة البـدء ، يوم كان روح الله يرفّ على وجه المياه ... وفيها الجناس الاجل الاجد مثل (وشاكا ووشاكا) واطرف قوافيها ما تسمع الآن :

اذا وطن اهاب بنابغيه سبقت السابقين وقلت ها كا

اي قال : (اِحهْ) ، كما كنا نقول حين نلعب القفيزى صغاراً ... ولا شك ان عقل بشارة الباطن ادخرها له لمثل هذه الساعة العصيبة . ان في صفاء الاذهان لآيات لاولي الالباب ، وبهذا تتميز الشعراء . وينتقل بشارة الى التعريض بممدوحيه الذين لم يدرّ على مرعاهم اللبن فيقول :

كرهت الشعر يمدح غير حر ولو كان المليك او الملاكا

افي الملائكة عبيد يا ترى ؟ ام في القافية مغنطيس جذب بشارة كما جذب الحليب الخنفشار ؟ انها خنفشارية حقاً ، لا ، قاتل الله النسيان ، اليس جبريل مرسال الله عبدا في الملائكة ؟ اما رأينا شعراءنا كبشارة وغيره يسخرونه في جميع المآتم والاعراس وغيرها من مواكب ، وقد تعجبت كيف لم يمشّوه في مناحة زكور اما مجنّحاً محلّقاً كالطائرات ، او ماشياً خلفه ساكعاً ، منكّساً قوادم جناحيه كما ينكّس الجندي سلاحه ... كيف غفل بشارة عن البطل المغوار رئيس وزارة الله ؟ انه سميّ المرحوم ، والارواح المجنحة صالحة للمواكب الرسمية ، فمخايل صاحب سيف وله في المعركات غبار . كان ولا يزال وزير حربية الرب ، وقد أعاد الامن الى نصابه يوم ثار الملائكة على الاب الازلي ليقلبوا حكومته الدائمة ...

وبعد ، فمن قال لبشارة امدحْ ؟ أما نهيناه وما ارعوى ؟ فالحمد لله على رجوعه فائزاً من الغنيمة بالاياب . لقد صح به قول المثل : خفة الرأس تتعب السيقان . ولكنني أكذب عيني واذني ولا

اصدق أبداً ، فما وجه بشارة وجه من يتوب . فهو مستعد أن يذرّي كلما طابت الريح .

ويحاول في البيت التالي أن يبرىء شعره من المديح فيقول :

اذا غنى حمـــاة الحق شعري فكم غنى البشامة والاراكا
يطل به الزمان على الليـالي شعاعاً من هناك ومن هناكا

إن شعراً يغني البشامـــة والاراك وحوله ما حوله من سحر الكون – حتى في البوشرية التي لا تطلب منها العافية – ليس شعر شاعر يحقّ له القول :

ويا وطناً كسوناه جمالا على العلات انفسنا فداكا

فلندع هذا الان فما هنا محله ، ولنعد الى البشامة . لماذا خصها الشاعر بالذكر وهي بنت عم النقاخ؟ أليس بمعذور لو تركها في ذقن اهلها ؟ انه لم يرها قط ، ولكن التقليد الاعمى أجراها والاراك في شق قلمه ، ولاجلها استحق صاحبنا لقب شاعر العرب . لستأ قول شيئاً في (شعاعاً من هناك ومن هناك) إلا انها تصكّ الآذان حين تنشد ... وشاعرنا يصكّ كثيراً حين يجري في مضمار الاحتيال على الخلود ...

٣

بشارة ايضاً — الدكتور حبيب ثابت

ويبلغ بشارة تصوير العاطفة فيقول شعراً :

خليلي كيف أنسى عهد كنا وقد نسج الزمان لنا وحاكا
تطوف بنا مجنّحة الاماني فتعبث في مفارقها يداكا
وكم افق هناك يفيض سحراً كأنك قد طبعت عليه فاكا

الثلاثة من جيد الشعر لو الاكثار من « قد » التي لا تستسيغها اذني في النظم ويكاد يغص بها حسي . ثم لو قال الشاعر (يوم كنا) بدلاً من (عهد كنا) لأمن شرّ هذا النبو . أما (تعبث في مفارقها) فقد أساء بها الشاعر من جهتين : الاولى لغوية فعلى شاعر العرب الاكبر أن يحسن التعدية ، والثانية فنيّة ذوقية ، فقد شاك مفرق مجنحة الاماني حين جمع . أما البيت الاخير فتصوير جميل لا يضيره النقص في بعض خطوطه وألوانه . وما أجمل صرخة بشارة الصادقة :

فيا ذكرى الاحبة مات قلبي فاني لا احس له حراكا

ففي (مات قلبي) حياة فنية لا حد لها ، والشاعر يصدق دائماً حين يحدثنا عن قلبه ، فهذا الفتور الذي تحسه في شعره اليوم يأتينا بنبأ أكيد عن احتضار هذا القلب الذي أحسن شوقي مخاطبته

أيضاً حين قال :

واليوم تبعث فيّ حين تهزّني ما يبعث الناقوس في النسّاك

ويتذكر بشارة امين تقي الدين فيطريه اطراء يستحقه ادب الامين وذوقه الفني . ثم تسنح الفرصة فيغتنمها شاعر حماة الحق ليقول مثل شوقي القائل :

رواة قصائدي فاعجب لشعر بكل محلّة يرويه خلق

فيسمعنا :

ذكرتك تملأ الآفاق باسمي فتنفحني الزهور شذا شذاكا

اذا انشدت قافية بقطر جعلت طراز بردتها ثناكا

كان البيت الاول حسناً لولا ركوب الشذا على الشذا . اما الثناء المطرز البردة فزمنه مضى وراح ، ذاك كان يا أخي يوم لم يكن نقد ولم يكن تجديد ، يوم كان التقريظ يكال بالمدّ للشعراء ويقولون : أحشفاً وسوء كيلة ؟ أما اليوم فالفأس ملقاة على اصول الاشجار ... أما بلغك ان الدنيا تغيّرت ، وان الحرب العظمى قلبت الارض بالطول والعرض ، فماذا تبتغي منا يا حبيب القلب.. وانت اللاهج بالبشامة والاراك بفخر جزيل ؟ اذن ليس الحق علينا . تحرّك قليلاً ، قم من فرشتك نقم معك ، فكل ما في الكون يردد في مسامعك « ديوغراسياس » . أنسيتها ؟ تذكر فجر مدرسة الحكمة ، وحنجرة قسيس الليل .... ولم نلومك فمناخ البوشرية لا يساعد على القيام الباكر ...

يعلم الله يا عزيزي ، اننا لانرى فرجاً بذمك – فرّج الله كربتك وكربتنا – اما ان هناك ثريا نطمع ان نحلق (لها) فنطفئها .. فما

نظن . ليت هناك مسرحة كالتي رثاها الشاعر العربي ... وان كنت لا تصدقنا فعما قليل سنوجه المجهر صوب ثرياك ونريك ان وراء هذه النجوم السبع عشرات مثلها ، قاتل الله خـــداع النظر ، كم يرينا الاسود ابيض !

ويتذكر بشارة قول زهير : يعز عليّ حين ادير عيني . فيضعه في محله . اما شطر المتنبي فجاء كقوله : ووضع النـدى في موضع السيف بالعلى . فقول بشارة :

وتدعونا البلاد فلا نبالي (انمشيها اذاة أو هلاكا)

لا يصح إلا اذا كان محـل بشارة من الاعراب « مضافاً » الى ميشال زكور .. واذا كان قوله هـذا كقولي ، مثلا : انا والمستر فورد اغنى خلق الله ، فبشارة لا يجازف في السياسة ولا يغامر ، فهو في اقل حساب نصف إمّعه ... وهناك بيت آخر لا بد من التعليق عليه وهو ختام قصيدته :

ويا وطناً كسوناه جمالا على العلات انفسنا فداكا

اما المعنى فمتى كسا بشارة هـــذا الوطن جمالا وهو القاعد كالزبرقان ؟ فشعره كما حدده لنا ، إما مديـح للذين يسميهم حماة الحق ، وإما غناء للبشامة والاراك . واذا نظرنا الى المبنى رأينـــا (على العلات) تعل القلب ، ولو قال : على علاته نفسي فداكا ، لكان الخطب اهون . وانا اضمن له تسامح ميشال . قد فداه ميشال واستراح ، فالله نسأل ان يطيل بقاء بشارة ليغني البشامة والاراك ، وحماة الحق عند اللزوم ، واياه نعظم لهذا الجمال الذي خلعه ويخلعه كل يوم على هذا الوطن المحتاج الى خلع امير شعراء العرب ...

وان قلت ايها القارىء العزيز: ما هذا التعنّت ؟ وأي فرق بين قولنا : على العلات ، وعلى علاته ؟ قلت هذا ينبئك به ابن الاثير فاقرأ المثل السائر ، فليس في مكنتي قول كل شيء .

والآن قد بلغنا « مسك الختام » أي قصيدة الدكتور حبيب تابت . انهـــا من الشعر الطري الناعم كغزل البنات وشباب المرثيّ . فيها من طرافة ملبسه شيء كثير ، ومن اناقته ما لا يحد . لسنا نغالي اذا عددناها قصيدة الموسم بل قصيدة العام ، فلقد سبق الدكتور ثابت شعراء مهرجان زكور. في قصيدته خيال الشاعر وفن الناظم ، وفيها حمّى العاطفة — والابداع حمّى — ولكن بلا انتفاض كحمّى الربع ولا هذيان كالدور الخبيث . والخلاصة ان قصيدة ثابت بريئة من عواء النادبات وهرير النادبين .

بكى حبيب صاحبه ميشال كما بكى داود صديقه يوناتان بن شاول ، بيد انه لم يقل كقاتل أوريا: قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يوناتان ، لقد كنت شهياً اليّ جداً ، وكان حبك عنـدي أولى من حب النساء ، وقد أحببتك حب أم لابنها الوحيد ...

أدرك الدكتور ان الشعر صور والوان ، ومعـــان راقصة كالفراشات حول ثغور الازهار ، فسار عـــلى رسله لا هادئاً ولا متعسّفاً فشبه صاحبـه بالامل ، وذاك الامل أشبه بالفراش يرف ويلعب حتى :

هبت عليه من الرياح سمومها فاذا الفراش مشرّد ومخضب

ويطل هذا الامل على الوجود هنيهة فيشعشع ويكوكب ، فتغمر المنى الروابي الخضر ، ويلهب الوهج الرمال الحمر ، ويذوي الربيع

المعشب . في القصيدة وحدة ، وفيها الوان الطراز المعلم ، وهـذا الذي سماه العرب تدبيجاً ، وقد أجاد الذي قال :

بيض صنائعنا ، خضر مرابعنـا سودٌ وقائعنا ، حمر مواضينـا

لقد عرفنا التلوين قبل الذين اتخذهم شبابنـا مثلاً أعلى وسموهم رمزيين ، ولكن القدماء لم يذهبوا فيه الى أبعد الحدود فلوّنوا ما لا لون له ، حتى انهم لم يقنعوا بتلوين الماء.. انهم لم يقولوا كمتطرفة شعراء الفرنج : صراخ السنونو الازرق ...

وفي القصيدة بحر شباب يعجّ ويصخب ، ومركب ضال – غير سكران كمركب ملرمه – يتنكر له الشاطيء. وهناك كف الموت تحمل منجلاً وتضرب حيث ميشال :

فهوى كفرخ النسر من عليائه لا يشتكي ألمـاً ولا يتعذب

ان (فرخ النسر) هذه لا تعجبني ، وليت الشاعر نزه قصيدته عن معنى مبتذل كهـذا ، كما انني ارفض (يتعذب) رفضاً باتاً ، فالشعر العالي لا يقبل الزغل ...

ويدخـل شعر حبيب نَقْعَ السياسة فلا تفسده ، ويغبّر في السرايا تصونه لغته الشعرية التي يتعمّدها ، وتتغلب صوره والفاظه على سرد الاخبار المحلية التي تهتك حرمة الشعر ... احترم حبيب بقرعات الفن ، وألقى نفسه في العباب فنجا ولم يغرق ، وبلغ شط الختام غير عاجز عن الخلق والابداع ، واليك هذه الصورة الرائعة :

ارايت بلور النهـار محطما يبكي عليـه بمقلتين المغرب

ام راعك البدر الذبيح مجندلا بين الغيوم السود وهو معصب

ام راعك الليث المصور مصفدا لانت ملامسه ولان المخلب

ام راعك الطفل الصغير ميتا لا الأم تسمع مشتكاه ولا الأب
خفّف عليك فكل حيّ في الورى
يأتي الى وادي الدموع ويذهب

الابيات مطمئنة هادئة ، واكاد اراها باسمة ، رغم ما صوّر الشاعر من اهوال . انها كصاحبة عمر حين افرخ روعها . ما خلع عليها هذه الحلّة القيصرية الا الفاظها التي أحسن الدكتور تزويجها ، وشفاها من « الامراض الجلدية » التي تذهب بالكثير من الحسن ، ولكنها لم تخل من (لو) فقد كنت افضل ان يقول : يبكي عليه بمقلتيه المغرب ، فالتعريف أولى لئلا يظن ان للمغرب اكثر من عينين وما بكى على ميشال الا بثنتين .. بينما أصحاب حبيب أقاموا الارض واقعدوها ، وبشارة حرق الارز ...

ثم لو قال : كلّ المخلب ، او لفظة اخرى مشدودة بدلا من (لان) لتمت له الموسيقى ، فالفنان لا يتكل على الوزن وحده . وكنت افضل ايضاً ان يقول : لا أم تسمع مشتكاه ولا أب ، إذ لا حاجة الى التعريف ، وفي التنكير غنى عن « لل ولل » التي تخفف من شدة التقطيع ، فاللام رخوة واللامان أرخى اذا اجتمعا . اما وادي الدموع فهذا لقب خلعه الاباء اللاهوتيّون على امنا الدنيا ليستروا عورتها . اما الشعراء المرحون ، حتى في الرثاء ، فلا مبرر لاعتناقهم هذا اللقب . ان الفن وقح لا يستحي ...

مسكينة الدنيا مأكولة مذمومة مثل خبز البخيل . اما انا فلو سئلت التنازل عن سنة واحدة بوادي الدموع لقاء الف أعطاها في الاخرة لما رضيت . ومن يقل غير هذا فهو موسوس ، او معطل

المحرك فلا بد له من الوقوف ... فيا لله من هؤلاء الذين يحببون الينا الموت . انهم يريدوننا حيوانات مغامرين ...

وشاء حبيب ان يرد العجز على الصدر فتجاوز هذا المقطع ليقول:

ونعيش بالامل النضير ونرتوي من مدمع الماضي البعيد ونشرب
ونموت بالألم المرير يلفّنا أمل بألوان الغمام مذهّب

وهذه موتة الابرار والصديقين التي بشرنا بها بولس الرسول بقوله : ان الذين يموتون بالرب لا ينبغي ان تحزنوا عليهم كسائر الناس الذين لا رجاء لهم . ليت حبيباً وقف على شفار وادي الدموع ، فما نفع الجناس والطباق قصيدته شيئاً . كما انه ليس في رد العجز على الصدر بلاغة سحبان ، فدعه لغيرك يا حبيب ، انت لا تحسنه . واذا طبعت ديوانك وأثبت فيه هذه القصيدة الجديرة بالبقاء فاحذف هذين البيتين ، كما أنني الفت نظرك الى (وهو معصب) ففيها رائحة الطبّ ومطهراته وأضمدته ، فدع هذا لمرضاك وأعف منه قراءك .

هذا شعر نحب ان نقرأه ، ونحبّ ان يحتذى ، فلا هو بالغامض الممقوت ، ولا بالواضح المكشوف العورات . انني اهنئك يا حبيب فقد ربحت المعركة وبيّضت وجه الفن ، كما اهنيء زميلك الدكتور ابا اللمع ذلك الاديب الذي يزج نثره في معترك الشعر فلا يقصر عنه بل يسبق الكثيرين من ناظميه.

وبعد فلنقف . فلنقل كلمتنا في شعر بشارة عامة ، فشاعر العرب ينتظر ...

قد سئمت الان فلينتظر ايضاً !

٤

غذاء الخلود

قال امرسون : يجب ان أفعل ما يعني شخصيتي ، لا ما يفكر الناس ان أفعل . وقال ريمي غورمون رداً على غوت : ان النقد السلبي ضروري ، فكثيراً ما نضطر الى تحطيم تماثيل غير محكمة الصنع ، وطرحها في البوتقة .

أعجبت العرب خطة شعرائهم فلم يميلوا عن طريقهم ، وأّلهوا أصنامهم الادبية ستة عشر قرناً ، لم يشكوا قط الا بالصفات الزائدة على هذه الالهة فقالوا : هذا شعر منحول ، وهذا مسروق ، وهذا مسبوق اليه الخ . أما الصفات الاصلية فما عرضوا لها بخير ولا بشر الا قليلاً ، بل قدسوها تقديساً وجعلوا خطأهم قواعد فارتبكنا بها . وهكذا عاش الابناء على ملة آبائهم يعبدون ما عبدوا ، وان خالفت معتقدهم بكلمة قالوا لك : أدينك يأمرك ؟..

ما شعر بشارة في القرن العشرين الا هُبَل الجاهلية ، فهو تقليد شعر خلا من العناصر التي تشبع مجاعتنا الروحية . وبشارة ، في نظر المنصفين ، آلة ذات وتر واحد ، اما في نظر نفسه فكآلة الفارابي الغريبة الشكل ، يبكي ويضحك وينوّم مثلها ... يريد ان

ينطق بألسنة عديدة كالرسل الاطهار حين حلّ عليهم البارقليط ... وعدّته أكلها العث ، وديباجته حلّة غسلت وكويت .

يطمع بشارة بخلود هذا الشعر الذي يقوله، ولايدري انه كجبن الزكرة لا يسلم طويلاً .. فليته يتدارك بملح الشخصية الذي يضاد الفساد والتعفن .. ولكن من اين له هذا الملح وهو شاعر تفكير لا شاعر الهام ؟ ترعرع بشارة وفيه كثير من ملامح البهاء زهير ، فقال في عنفوان شبابه شعراً لا أدري كم يعيش . فبعضه شعر حي ان فاته التجديد لا يفوته حسن التقليد ، فيه شعور حار والحرارة تضمن الحياة الى اجل ما .

اما اذا استثنينا العاطفة المتقدة فبشارة أضعف الشعراء في صوره ، فقير في ابداعه ، وموسيقاه موسيقى دفّ مخشخش .. أما هو فيرى انه أغنى خلق الله ، على مائدته الف لون ، والخمور المعتقة تتدفق كنبع أفقا . يصدق بشارة كل هذا ويشكره تعالى ويبوس الارض . وهو يظن ان نعمة ربه حلت عليه بشكل حمامة ولا يبعد أن يكون الله قد صاح ولم نسمع : هذا هو ابني الحبيب ..

ان بشارة قانع ، والقناعة كنز لا يفنى ، وما للدرويش وللناس فهو راض بما قسمه الله ، لا يطمع بالزيادة . يرى في كشكوله دنيا لا حد لها ولا طرف ، يسكن كوخاً يحسبه قصراً من قصور الف ليلة وليلة .

اذا استعرضنا شعر بشارة كله – ما خلا المأخوذ عن الفرنجة – رأينا صوره من عاديات العرب ولكنه جدّد فرنيشها ، فهمه ان يلتقط من أقبية القدماء بعض الدمى فيجلوها برماد التعمل ويجعلها

آيته للناس . فبشارة يعدّ ، في عالم الادب ، عالماً أثرياً ينبش الاثار الدفينة ويعرضها في متحفه ، ولو كانت تصلح للمتحف اللبناني لأغناه وكساه جمالاً كما كسا الوطن ...

قال بشارة شيئاً يوم كان قلبه ينبض ، اما اليوم فقد مات — كما قال — ولحق به الشعر . اعاضنا الله بطول بقاء الامير والهمه الصبر الجزيل .

لا يجمل الشعر اذا كان كلّه حركات هندسية ، ولا يصلح للبقاء ان عافته يد الفنان ، فشعر بشارة يحدثنا عن متاعب يزيدها بؤس التفكير وفقر التعبير ضنى وشقاء . وكيف يثري مقعد لا يؤمن بفوائد الاسفار الخمس ؟ فلا تعجب ان قال في رثاء زكور : حبيب الارز بوبوء ناظريه ... أي يا حبيبي ، يا بصبوص عويناتي ، ولو كان بشارة من دير القمر لقال له : يا غلاتي ، فالحنطة اليوم عزيزة غالية . ولا تعجب ان سمعته يهنيء فخامة رئيس الجمهورية — اده — بالعود قائلا — وهو يهنيء كلّ راكب وقادم —

هنيء الارز فالرئيس أطلا يا حبيب القلوب ، اهلا وسهلا

فاذا كنت جبلياً عتيقاً مثلي تتبادر الى ذهنك تلك الاهازيج اللبنانية — التراويد وتتذكر :

طل القمير على العربان رحّلم يا سعدمن لو مع العربان رحّالي

فهذه الترويدة الحافلة بالصور الشعرية يستقبل بها اللبناني القادمين عليه في افراحه . اما بشارة فبدون هذه الصور يقابل الرئيس ... ولاجلها يطلب ان نضفر له اكليلا من غار لبنان ، بينما نراه كأمّ نوح ينتقل من « طيّونة » الى علّيقى .

كم استغلب عليّ الضحك اذ سمعت هـــذه الترويدة المنظومة شعراً ! شاء من قرأها علي ان يبلوني كما بلا لبيداً قومه قبل أن يهجو لهم النديم الذي يولج فيها اصبعه... فعرفت دونما تردد انها من بضاعة شاعر العرب والعجم . ان اغنية العوامّ التي ذكرتها أغنى منها فناً ، واخصب اسلوباً فناظمها يرحب بزائره الكريم مستعيناً بالخيال ويشبهه بالقمر المطل ، وهو لم يصغره اضطراراً ، كما يفعل الشعراء الرسميون ، بل للتحبب أيضاً ، ناهيـك انه يقول حقاً . فالقمر الذي يطلّ يكون قميراً ، ثم يصف عاطفة صادقـة فالقمر ينتظر وتنفتح له القلوب حيث الزيت شيخ الانوار ، والسرج زينة الديار .

ويا ليت شعري، هل في بيت بشارة شيء من روعة قول العامي: « يا سعد من لو ؟ » ففي هذا النداء الرمزي المغري ما لا تجد بعضه في قول بشارة : «يا حبيب القلوب ،اهلا وسهلا »قال الشاعر العامي ما شاء وتركك تفكر ، اما بشارة فبقّ كلاماً معربا يذهب جُفاء لانه لا ينفع الناس ...

لا ننكر ان شعر بشارة هذا من السهل الممتنع فمن يستطيع غيره ان يقول :

هنيء الارز ، فالرئيس اطلا يا حبيب القلوب ، اهلا وسهلا

فيجمع التهنئة والارز والرئيس ، وطلته ، وحبيب القلوب ، واهلا وسهلا ... ان هذا لمن جوامع الكلم في زمن فسد فيه لسان العرب : إنا اعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر . لو كان الكلام من بحر الطويل أو البسيط لحدّثت احـداً نفسه ان يأتي بشعر من

مثله ، ولكنه بحر الخفيف ، والخفيف ضيق ، لا يلجه إلا الفحول العتاق المذاكي .

فما اسعد عصرنا بشاعره القـــائل للرئيس أيضاً :

ايها الشاعر الذي ينظم المجـــد قصداً بكل حسن تحلّى
حسبك الشاعر الذي ينظم الخـــلد وما ضرّ ان يكون مقلا

اظنهـا (قصيداً) لا قصداً كما كتبت ، ومهما يكن من شيء فالبلاغة تسكره ففي (بكل حسن تحلى) الف جمال تجلى . فكأن المتنبي عنانا وشاعرنا بقوله :

فتى ما سرينا في ظهور جدودنا الى عصره إلا نرجي التلاقيا

فيا لسعادة عرب القرن العشرين بشاعرهم الذي ينظم الخلد في مسلخه ، ويصنع من فرائه جبة لامارة الشعر .. وقـــد اجتمعت لبشارة في هـــذه القصيدة مرافق لم تجتمع لآكل الرؤوس الذي وصفه الجاحظ ، فهي اخر ما استنبطته القريحة العربية ولن تبلغه عبقرية فرنجي مهما طحر وزحر .

راجـــع قصيدة بشارة في زكور وافحصها فحصاً افرادياً كما يفحصون بزر القز في كورسكا ، او في عينطورة كسروان ، فان عثرت بمعنى ليس من مترادف احاديث العوام فلك مني ما تتمنى ، ان كان في مكنتي ...

ان الاشياء لا تقول شيئاً لشاعر العرب ، فعيناه في قفاه ، فهو شاعر غير نباتي . الجمال البشري وحده يوشوشه فيقول الشعر تارة حيّا وتارة نيّا ، وهو في كل حـــال قال الذي عنده فمن البغي والعدوان ان نسأله تجديداً .

حدد ادغار بو الشعر بقوله « يجد الشاعر غذاءه المخلد في الكواكب المتلألئة ، وفي ثنايا الازهار ، وفي الاشجار الضخمة المنحنية صوب الشرق – كخرّوب كفرعبيدا – وفي الانجم اللاطئة بالارض ، وفي تموّجات الحصاد ، وفي قمم الجبال المزرقّة ، وفي مواكب الغيوم ، وفي لمعان الجداول المظللة ، وبريق الانهر الفضيّة ، وفي هدوء البحر ، وفي اعماق الينابيع المعتزلة حيث تتمرأى النجوم .

انه يراه جلياً في اغاني الطير ، وعلى معزف Eole ، وفي تنهدات رياح الليل ، وفي اصوات الغابة المؤثرة ، وتموّجات الشاطيء ، وفي صفير الاحراج ، وفي عبق السوسن الشهي ، وعبير المساء الساحر ، وفي الجزر البعيدة المجهولة .

انه يجده في كل تفكير سام ، وفي كل الغرائز النقية ، وجميع افعال البطولة ، وفي نكران الذات . انه يحسه في جمال المرأة ، في ملاحة مشيتها ، في تألق عينيها ، وموسيقى صوتها ، في ضحكتها العذبة ، في تنهداتها ، في حفيف ثوبها ، ووسوسة حليها . »

أرأيت اين يجد الشاعر غذاء الخلود ؟ فبشارة لا يعنيه شيء من هذا ، فهو جشع ملهوف لا يحيا بالروح ، وحياة الجسد قصيرة العمر ...

فسنة بشارة في الحب : نقل فوادك . ولكنه سرعان ما ينسى الحبيب الاول ! اذا رأى أحبّ وتحرّق ، وقد شهد هو على نفسه بقوله :

افحتم عليّ ارسال دمعي كلما لاح بارق في محيا

أرأيت كيف يشط رياله كلما رأى طلعة ؟ فلو رافق بشارة في حبه شخصاً واحداً او اخلص لمحبوب لوصف لنا تطور هذا الحب ، وقال شيئاً جديداً ،ولكنه ميال مع الهوى يراجع الدرس لكل طالب جديد يدخل مدرسته ... ان بشارة كالحجل لا يخرج من منطقته مهما تكاثر عليه الصيادون . اما اليوم ففي لبنان شعراء تجاوزوا التخوم المحبوس بها شاعرنا الذي غنّى شعره حماة الحق والبشامة والاراك . ولكنني اشهد ان بيت بشارة السابق لم يقل احلى منه شاعر غزلي حتى اليوم .

الشاعر هو من يدل على ما عنده كما يدل النبات على النبع الدفين في القاع . لا اعني بذلك هذا الغموض الذي مُني به شعراؤنا الجدد حتى انتهوا الى ادغال الاحاجي والالغاز ، وبدت حاجتهم القصوى الى المواد الاولية . فهم يرددون كلمات بعينها ، وتعابير مرت بها رياح الصيف . آثروا بمحبتهم الفاظاً خاصة فأقبلوا عليها كالغوغاء في سوق النبطية . واللفظة كالمرأة متى كثر عشاقها لا تبقى تلك العقيلة المصونة . فتنهم الاب بريمون والشاعر فاليري فتهافتوا على الوان وانغام واحدة فاصبحوا كأنهم واحد . ما سموا حتى انحطوا . نقرأ قصيدة احدهم فنجد مفرداتها وتراكيبها عندهم كلهم ، وصورهم هي هي كأنهم يستقون من بئر واحدة وبدلو واحد ... وقد نصحت زعيم هذه المدرسة ان يخرج من هذه الدائرة — دائرة اللفظ والكنى والرموز المعلومة — لئلا يصبح شعره طقطقة ووشوشة ، وان يفتش عن ذات أخرى يستقل بها ، أما الآن فقد اجتيحت بلاده ، والعوض بالله .

لست اقول ان الكلمة دابة معلوم حملها ، بل أقول ان على الشاعر ان يحملها ما تطيق . فعلى شعرائنا ان ينتبهوا للحروف فموسيقاها معدومة عندنا ، وكل اتكالنا على الوزن وعلى عبارات مترجمة عن فرلين ومالرمـــه وبودلير ورمبو وسامان وفاليري وغيرهم . فلنتقن علم فسيولوجيا اللغة لنحسن تركيب الاجسام ، ولنعدل عن اخذها مركبة كالعقاقير الطبية التي تصدرها الينا اوربا . انما يداوى المرء باعشاب بلاده كما قال الحكيم العربي .

انهم يريدون الشعر موسيقى بلا فكر ، ولهذا قلت منذ ثلاثة اعوام : ان هذا الشعر كثير الفوسفور ، قليل الفيتامين . فالشعر عندي فكرة موسيقية تضاف اليها طراوة النفس التي لا يكون الشاعر بدونها . والعوامّ يقولون : نفسه خضرا ... وهذه النفس الخضراء هي التي تقول شعراً اذا أمدها الخيال اما خضرة النفس فلبشارة منهـــا حظ غير قليل ، أما الخيال فليس له أثر في شعره الذي يطل به الزمن على الليالي ...

لقد صرفنا سنوات ونحن نقول له كخّ ، كخّ ، وهو مهاجم مستقتل ، فهل يتسبب بهذا الشعر يا ترى ؟

قال رنان : « ان نفسي ستحوم بشكل طائر البحر حول ابواب كنيسة مار مخائيل ، ويقول عنها الفلاح اذ يراها إنها نفس كاهن يطلب الدخول الى الكنيسة لتـلاوة قدّاسه » فعلق محرر الديبا على هذه الكلمة بقوله : « ولكنها ويا للاسف ، لا تجد ابداً اولاداً يخدمون هذا القداس » . اما نحن فاننا نتمنى لصديقنا بشارة قدّاساً احتفالياً ، وبالعصا والتاج ، ايضاً ، ولكن نحـــذّره ،

شمامسة اليوم ستمحوهم الايام ، فهل يجد حينئذ من يحمل له المبخرة ؟

ان هذا الجنون في الادب العربي وليد عصور ، انمته المنافرة ، يوسرى في عروق الذرية حتى انتهى الى بشارة الذي تخيل شعره تطاير شعاعاً من هناك ومن هنا كا . اما انا فيظهر لي ، والعلم عند الله ، انه لا يبقى منه الى حين غير بعيد الا ابيات كثيرات الضرات . واننا نصارح بشارة وامثاله ان تاريخ الادب لا يخلّد الا الشخصية والتجديد ، فهل عند بشارة شيء من هذا ؟ ليفحص ضميره !

سيعلم التاريخ يا عزيزي اننا لا نرى فرجاً بذمك . وعلى ماذا نحسدك ؟ اننا لا نطمع ان نحلّق (للثريا) فنطفئها . اننا نبحث الثرى حيث انت ونحن مقيمون .

انني اعرف نفسي واثق باخلاصي للادب والفن . اما هذا العنف الذي تضيق به أنت فهو جبلّة ، فلومك على المرحوم والدي الذي فطرني ، فسبّ دينه ، او ترحّم عليه ، فما قدّر كان ...

ثلاثة دواوين للعقاد

وحي الأربعين

نمط (مرديل) ٣٣

لا أدري لماذا يحلّ بنا الفزع الاكبر وينخلع قلبنا كلما ذكر أدباء مصر الفرعونية . أغولٌ هيَ ؟ أتضرّ الادب العربي شيئاً هذه الفرعونية التي يتبجّح بها بعضهم ؟ يا ليت شعري أين هي ؟ ومن يدلني عليها وله مني دنيا اعرض من الجنة ؟

ومن يخلقها ؟ أهؤلاء الذين يفتشون عن دفاتر جدودهم العتيقة ؟ أليست اكثر منسوجاتهم اكفاناً مغسولة مبسّطة ؟ انهم لم ينبشوا بعد ناووساً واحداً مصرياً لانهم عاجزون عن الخلق ، وهذه آثارهم تدلّ عليهم .

سألني واحد كيف تجد فرعونية طه حسين . قلت : لا اهتم ولا انصب مما يقوله الاستاذ ويدعو اليه لانه هو لا يعرف ماذا يريد . فأقصى امانيه ان يذكره الناس ، وخير زلفى للشهرة عنده هذا البدع . ليته يرينا نموذجاً من هذا الادب الفرعوني الذي يحلم به فنجعله فرعوناً جديداً في دولة القلم . وهل اذا ذكر المصري رع ،

وأبيس العجل الاله ، واللبناني ادونيس وقدموس والزهرة نسمي ادبها فرعونياً فينيقياً ؟ اذن الفرد دافيني عبراني فقد نظم موسى ، وبنت يفتاح ، وشمشون وغير ذلك . والاخطل جاهلي وثني لانه حلف برب الراقصات ، بالهديّ المحمرة مدارعها . واذا شئنا الرد على كل ما يقوله طه حسين فني الزمان وما انتهينا . ما لنا ولطه ، هذا عارض من حمّى الشهرة يعاوده كل سنة . لقد صدق المتمشرق التركي – اسمعيل ادهم – حين شبهه بولد ورش يخرب آنية البيت ويشوش نظام متاعه حتى اذا غضبت امه وهز له أبوه القضيب استدار وقبع في الزاوية يضحك كأنه يبكي .

لا أنكر أن الاستاذ طه دكتور بلدي من الجامعة المصرية ، ودكتور سربوني من الحي اللاتيني ، وامس حاز واحدة اخرى ويحوز ايضاً . الله كريم . ولكنه ولو نكح من هؤلاء الجامعيات ما طاب له رباع وخماس يبقى خير ما عنده أنه شيخ ازهري يستطعم كلام العرب . ربما صار طه رئيس الجامعة المصرية لا عميد احدى كلياتها ولكن كل ما خلق الله وما لم يخلق من القاب لا يمنعني من أن أعده مشاغباً في دولة الادب يشغلها بما لا طائل تحته . إن قلت أزرق قال احمر ، وهلم جرا . فخير البر السكوت عن شنشنته .

لا تعجب ان ذكرنا طه في معرض كلامنا عن العقاد فقد كان بينهما – في ايام العزّ – محالفة هجومية دفاعية . اما اليوم فلا ادري ماذا فعلت بهما الايام .

موضوعي اليوم العقاد الشاعر . خبروني أن له ، غير دواوينه الثلاثة التي بيدي ، أربعة اخرى سمّاها الديوان كما سمي نحو سيبويه

الكتاب . إذن للعقاد سبعة دواوين . لك ان تسميها ضربات بني اسرائيل السبع . أو سبع بقرات فرعون العجاف ، أما انا فهي عندي كرجال الكهف تحسبهم أيقاظاً وهم رقود،لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فراراً ، ولملئت منهم رعباً .فاياك ان تفعل كمعاوية..

وبعد ، فلنعد الى الثلاثة وأوّلها «وحي الاربعين » وإخاله سماه كذلك تيمناً بالانبياء الذين يكلفهم الله برسالته في هذا العمر ، لا عملا بقول الشاعر : وماذا تبتغي الشعراء مني ...

فالعقاد ، متّع الله الادب بطول بقاه ، سيلزم باب ربة الشعر ولو فات المئة والاربعين ورده الله الى ارذل العمر . فهو شاعر برغم انفي وانفك وانف كل من نطق الضاد ، يرِدُ الفراتَ زئيره والنيلا ....

اما الديوان الثاني « هدية الكروان » فالاستاذ يستسفر فيه نفسه عنا الى عالم الطير. جعله «بعض الهدايا التي يتصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء . » (ص١٠) فعسى ان تذكر الطيور ان الهدايا على مقدار مهديها فتقبلها منه وتؤوّب معه ...

اما ثالثة الاثافي فآخر ما انزل على قلم مولانا الجليل ، وعنوانه « عابر سبيل » . اتضع الاستاذ في مقدمة هذا الديوان وافهمنا انه يؤدي رسالة الحياة الحاضرة ، تلك رسالة هذا الديوان الجديد « عابر سبيل » وهو اسم يدل على مرماه . ولست اقول انه ادى هذه الرسالة ولكن ارجو ان يقنع القراء بانها رسالة قابلة الاداء (ص ٨) .

ولكنها يا سيدي المتصابي ، ستظل في شباك البريد بشرط

التأدية حتى يقيض الله لها من يؤديها . العقاد ككاهن ذرب اللسان يحفظ التوراة والانجيل والكتب البيعيّة كلهـــا ، فيحسن الوعظ والارشاد ولكن غرائزه تعوقه عن العمل بما يعـــلم ويعلّم . انه الاستاذ القدير حـــين يضع دساتير الفن بمرسوم أو إرادة سنية ، ولكنه يعجز عن المطابقة لأن الشعر سليقة . وان صقـــله المرن بعض الشيء ، كما توهم العقاد، فلا يجعله شعراً ، وبرهاني ان الاستاذ الجليل بلغ الخمسين من عمره المديد ولا يزال نظمه كما كان .

كان بشار بن برد جالساً امام بيته وبيده مخصرة ، وامامه طبق تفاح ، فحاول أحدهم سرقته فضربه عـلى يده ، فقال له الرجل : انت اعمى ؟ فتكشّر ابو عبـــدة ضاحكا واجابه : يا احمق ، واين الحس ؟ ان في الشعر شيئاً ادركه ادراك بشار ولا ادري كيف اعبر عنه ، ولكنني اشهد انني لم احس بشيء منه عند العقاد .

اقرأ مقدمات دواوينه فاصيح : يا بارك الله! احسبني امام شاعر لا يجارى حتى اذا تجـــاوزت الوصيد رأيت شعراً هزيلاً كذئب البحتري ، وظننتني أقرأ دفاتر المتمرنين في الصفوف الوسطى لا نظم اديب كبير . اننـــا لفي زمن كثرت فيه « الاصول » فاكثر الشعراء يضعون لنا في صدور كتبهم خريطة دنيـــا وحيهم لئلا نكون من الضالين . والعقاد اول من فعل هذه الفعلة . يقول في مقدمة وحي الاربعين ان « التعبير الجميل عن الشعور الصادق » هو حدّ الشعر . فلنجعل هذه التميمة في اعناقنا لعلها تنفع وتقينا شرّ توابع العقاد .

هذا كلام احلى من العسل ولكن هل استطاع العقاد شيئاً

من هذا ؟ نعم ، لقد طبّق مفصل الشقّ الثاني ، أي الشعور الصادق ، اما الشقّ الاعلى – التعبير الجميل – فيعجز عنه ولو عمّر مثل نوح .

لست اشك بشعور العقاد الصادق ولكن هذا لا يكفينا . ان هذه الحجة لا تقلي عجة . كثيرون جاؤونا بها فما غفرت لهم وزراً . ليت للعقاد شيئاً من التعبير الجميل فيستر به هذه العورة ! اما الاخلاص وحده فلا يفتح باب الخلود . لا بد من الفصاحة وحسن التصوير في الفن ، والا فهيهات ان يدخل العبد ملكوت العبقريين .

قال العقاد في كتابه الفصول : « الكلام العاطل ليس ادباً ، وانما الذي يستحق ذلك هو الذي يكسو الفكرة ثوباً من الجمال والجلال . »

فأين الجمال والجلال في هذه الكتب التي يسميها دواوين شعر ؟ هذا نسل معوّه يحتاج الى وقف ذرية ليعيش .. فليوص به الاستاذ أميناً من بعد العمر الطويل ... لست اجحد تجديده في العناوين فوحي الاربعين وهدية الكروان وعابر سبيل اسماء لا يستهان بها ، وليست بالشيء القليل . قد فعل العقاد كشعراء العالم اليوم ولكن الملبوس لا يصيّر القسوس . لا يغضب العقاد ان نصارحه بما في نفسنا ، فهذا شعر جـــاف كأنه الحطب اليابس ، ويا ليته الحطب فيخرج نارا ونوراً ! فما هناك الا دخـان يعمي الابصار قبل ان تأتي السماء . . .

كأني بهذا الفقير حين وضع حدود الشعر والشعراء للناس قـد وقف امام المرآة فوصف لنا ملامح تخيّلها في ذاته الكبرى ، فقال « ولكن المبتدع من يكون له ينبوع يستقي منـــه كما استقوا –

اي القدماء – ولا قبل بذلك الا لمن كان له سائق من سليقته يهديه الى مواقع الماء ، وبصر كبصر الهدهد ، يزعمون انه يرى مجاري الماء تحت أديم الارض وهو طائر في الهواء » .

يتوق العقاد ان يكون الهدهد او زرقاء اليمامة ، وهذا هو « الشعور الصادق » ، ولكن العين بصيرة واليد قصيرة . فتجمّل يا صاحبي ولا تنس ان الله مع الصابرين ! ان نيتك حسنة جداً فلعل الآلهة ترقّ لك وتعرف بابك فتزورك ولو مرة ، فلا تروح من هذه الدنيا وفي قلبك شيء من حتى .. انظم ولا تيأس من رحمة الله ، فلولا تسمع مني وتسهر ليلة القدر لعل الفن يهبك من لدنه وليّا .. !

ويقول العقاد : « لكل ذهن جلوة ولكل طبع بارد سورة ، والريشة الميتة قد ترفعها الريح الى حيث تحوم اجنحة الكواسر » ثم يقول : « نحن عسيّون ان ننظر الى ذلك الشعر ، فان كان صادقاً مؤثراً فهو من شعر الطبع ، والا فهو من شعر التكلف » .

هذا بعض ما قاله في مقدمة ديوان حليفه المازني ، والعقاد كما قلت من افهم كتاب مصر للفن . انه لم يغفل شذرة مما قاله الاجانب فيه ، ولكنه ، واحسرتاه ، غير فنان ، فهو حريٌ بأن يوثى له ، وماذا يصنع ان كان شيطانه حروناً ؟

والعقاد يحدد الشعر في «خلاصة اليومية» هكذا : «ليس الشاعر من يرصع قصائده بما يبهر ويخلب من الخواطر البرّاقة ، والمعاني الخطابية المتلألئة ، وليس من يزن التفاعيل ولا صاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ، ولا من يأتي برائع المجازات وبعيد التصورات فالاول ناظم او غير ناثر ، والثاني كاتب او خطيب ، والثالث رجل

ثاقب الذهن حديد الخيال . انما الشاعر من يشعر ويشعر » .

ونحن نقول : ان الشاعر غير من يحب الشعر . والعقاد يحب الشعر حتى الاستشهاد ... ولكن ما الحيلة وجنة الشعر مفتاحها البيان ..؟ ما قول الاستاذ بجميلة مزينة نظيفة، وبأخرى تحاكيها جمالا ولكنها منخرقة السربال علقت باردانها روائح القتار ، صفراء الوجه من وقود الادخنات كقوم جرير ؟ يضحكني جداً أن أراهم ينشدون خمرة التجديد من معصرة الاوزان والقوافي والاغراض ، فما هناك الشعر . ان النفس واللسان يخلقان الفن لا المدارس والدرس . فما بضاعة العناوين التي ترعب الا طلاسم ورُقى . وما أشبهها بصرر اليوم المغشاة بورق القصدير البراق .

لا يراود آلهة الفن الرفيع عن نفسها الا العبقري ! وما أحلى البله والجنون اذا كانا عبقريين . وان يعجبني في العقاد شيء فهو هذا الايمان المكين بفنه ، انه كأولئك المتهجّدين في دنيا الفن يقومون الليل الا قليلاً ، على رجاء الساعة التي يحملون فيها كتابهم بيمينهم .

كاد العقاد يكون منقطع النظير ، فهو كثير الاطلاع ثاقب الفكر ، يناقش أكابر مفكري العالم . ولكن تعبيره الشعري ليس كما يجب فانحطت منزلته قليلاً عن شكسبير وغوت ، ولا نقول راسين وهيغو لانه يرى الشعر الفرنسي جلجلة ، وهو لا يجب ان يقعقع بالشنان .

اذا طالعت دواوينه الثلاثة التي انفق على تحبيرها برميل حبر وقنطار من الورق وغابة من الاقلام تحسبه ممساراً يصدر شعراً في

دواوين ، وبضاعته أشكال وألوان ، فكأنه دكان الضيعة فيه جميع حوائج البيت ... وليس الذنب ذنب الاستاذ فهو عارف بأصول الفن ، ولكن الكلام يتعصّى عليه ، وفنه كقناة عمرو بن كلثوم لا يلين ويشج قفا المثقف والجبين . نفسه تطلب ومعدته لا تقطع ، فيقعد ملوماً محسوراً .

خذ هذا العنوان الرائع « عيد ميلاد في الجحيم » فماذا ترى في تلك القصيدة وهي من خير وحي اربعينه ؟ بياناً دون الوسط ، وشعراً أجشّ تغلب عليه صنعة النثر وصبغته ، وعلى ضوء قوله : « انما الشاعر من يشعر ويشعر » ، رحت أفتش في جحيمه ولا فرجيل يهديني ، فما وجدت خيالاً يرضيني ، ولا شعوراً يسلّيني فعدت بخيبة أردد : ما لي لا ارى الهدهد ..

القصيدة غراء فرعاء مصقول ترائبها ، ولكنها مقعدة ، تخلو من الاهتزازات والنبرات والصدى البعيد ، كأنها الشوحة في إسفافها . أنكون في جهنم ونبرد ؟ أنحضر عيداً ونحزن ؟ ثم نقول : ان الشاعر من يشعر ويشعر ..

اذا تصفحنا وحي الاربعين رأيناه مبوباً أحسن تبويب ، فيه تساوق أكّد لي ان العقاد يفتش عن مواضيعه تفتيشاً بل هو ينظمها ليسد بها فراغاً ، ويملأ بياضاً معلوماً من الورق يخرجه كتاباً للناس . وللاستاذ فلسفة بل الاستاذ يحب الفلسفة جداً ، وفلسفته لا مطّ فيها ولا عطّ . من شاء فليؤمن .. اقرأ فلسفة حياة (ص ١٧) فهي تتناول الكون وما وراء الكون : الاله ، الخلود ، السعادة في الدنيا ، الخير والشر ، الحلال والحرام . كل

هذه المعضلات يدرسها الاستاذ الاعظم في خمسة عشر بيتاً فقط ، وهذا كثير ، فخير الكلام ما قـــل ودل .. وهأنذا أذكر لك الخاتمة لتذكرني بها :

شرعك الحسن فما لا يحسن فهو لا يحلو وان حل الحرام
ليس في الحق اثام بيّن غير مسخ الحسن او نقص التمام
ما عدا هذين مما يمكن فاستبحه وعلى الدنيا السلام

بخ ، بخ ، الا اثنتين فلا تقربهما ابداً . هـــذا هو الكلام ، وهذا هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق ، حـــد الشاعر العظيم والشعر الرفيع ...

هذه آية صغرى من الباب الموسوم « تأملات في الحياة » وهناك اشياء غيرها لا تحصى . في هذا الباب خمسة وثلاثون عنواناً في ست وعشرين صفحة منها هـــذا العنوان : « انذار الغضب الى الحق المحتجب » ، وقد فهمت معناه فما هي اللفظ إغراب . ذكرني هذا السجع بطالب اسمه كنعان . سأل رفيقه ان يكتب له سجعة في اول كتابه كعادتهم في ذلك العهـد فكانت : يا رب يا رحمن احفظ عبدك كنعان. فزاد عليها صاحبنا اسم والده الكريم وضيعته فصارت : يا رب يا رحمن احفظ عبدك كنعان ديب من دلبتا . اما العقاد فحافظ على روعة السجع وبلّغ الحق المحتجب هـذا الانذار الخطير :

ان جئت طوعاً فجيء او لا فلا تبرح خفاءك

فأي وليد لا يستحي بشعر كهذا ؟

وفي هذا الباب ثلاثيات ورباعيات كرباعيات فيلسوف العراق

المرحوم الزهاوي ، اسمع قول العقاد :

الموت طرّاق على الأ بواب عافٍ كالعفاة
الموت أخّاذ فخـذ ما تستطيع من الحياة

وعندي ان الزهاوي قال احسن من العقاد الف مرة يوم نظم :

لا تقف قـدام لذاتك مكتوف اليـدين
انت لا تـأتي الى دنياك هـذي مرتين

وتحدث الامام عن النور فوفقه الله الى بيت عليه مسحة شعرية، ولكن بعد زحير كزحير إمام عصبة ابي نواس في محرابه ، فقال :

عجبت لأرض تخطر الشمس فوقها
وتشرق فيهـا كيف يطرقها الغم

فكأنها خمرة ابن الفارض فما سكنت والهم يوماً بموضع ...

ها نحن على وصيد الباب الثاني وعنوانه « خواطر في شؤون الناس » . فلنقف قليلاً عند ثلاثة أبيات عنوانها « عدل الموازين » ، ولا تعجب لكثرة العناوين وقلة الشعر فالحياة قصيرة ، والاستاذ يريد ان يقول في كل فنّ ومطلب :

إنا نريد اذا ما الظلم حاق بنا عـدل الاناسي لا عدل الموازين
عدل الموازين ظلم حين تنصبها على المساواة بين الحر والدون
ما فرقت كفة الميزان او عدلت بين الحليّ واحجـار الطواحين

اما عدم عدل الموازين بين الحليّ واحجار الطواحين فلا يكون الا اذا كان ناصبوها بهاليل . ليت الاستاذ وضع هذه السفسطة في ميزان منطقه ووضع قبالتها العيار ليعرف قيمتها . وقد اضحكني بعدها بيتان عنوانها « شطور » :

دليل على ان الكمال محرم اناث خلقنا بينها وذكور
فما المرء في جسم وروح بكامل ولكن كل العالمين شطور

اتقول لي ماذا ينظم الاستاذ؟ واية فكرة يخرج لنا هذا الهدهد المتوّج ..؟ اللهم اين انت ، أأخرجت ابوينا من الجنة لتنزل بنا هذه الدواهي ؟

وكأنه يعارض اخاه ابن الرومي بهذين البيتين ، فاسمع لعلك توافقني :

من ساء بالناس ظناً دون ما ألم احقّ عندي بسوء الظن والتهم
أسيء ظنونك لكن مكرها ابداً كمن يظن ببعض الآل والحرم

ثم لا يحجم عن نظم الكلمات المأثورة مثل : اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه ، فيقول :

تعلم كيف تستغني اذا ما شئت ان تغني
فمن يجهل ما يلقي فقد يجهل ما يجني

رحم الله ابا العتاهية وساحة الملوك... وليسمح لي الاستاذ ان اذكره انه وقع هنا بما خطّأ به جبران من ترك الجزم بمن ، ولكن فلينعم بالا فهذا جائز ، كما قلنا منذ اعوام .

وفي شعر الاستاذ كثير من الرجع المعدّ والرواسم البالية ، وإن لم تكن هذه جاء بكلام كأنه الحديث كقوله في تكاليف العظمة :

تنصف الامة الضعيف ولا تنـ ـصف يوماً عظيمها المظلوما

قلت ان العظماء لا يحتاجون الى من ينصفهم ، فهم يأخذون حقهم غلابا لا التماساً . انهم يفرضون انفسهم فرضاً على الناس كما قال بودلير .

وقال الاستاذ بيتاً في العبوسة ينمّ عن نفسه الكبيرة :

قطوب كريم خاب في النـــاس سعيه
احب من البشرى بفوز لئـــيم

اما حكمته في مصائب النخوة :

وأخِف ما استطعت منهم يخالوا أمنهم من اذاك غنما يعـــد

فنيتشيّة عربية ، والاستاذ ممن قرأوا الاثنين .

وهـــذا باب ثالث عنوانه « قصص واماثيل » افتتحه الاستاذ باسطورة اكاروس اليونانية فقال في هذا الموضوع قصيدة هي اطول منظومات وحي الاربعين تدل على طول نفس الناظم ، وان ذكرتنا بعض قوافيها بيوم عصبصب وهلوف . وما عليها ، فللشعراء العظام مثل المتنبي وغيره هفوات بلاغية كهذه . لا تخلو القصيدة من شعر رصين ينسينا بلادة ما سبق من الفلسفة الرخيصة الركيكة . وقد لفت نظري منها بيتان لسبب اذكره لك ، البيت الاول :

وسر قدماً ، ان المطار لواحد ولكن سبيل الأوج ليس بمقرب

شرحه العقاد هكذا : أي انك اذا طرت الى الامام أو الى فوق ، فالمطار واحد . ولكن المطار الى فوق لا يقربك الى قصدك ، وانما يقرّبك اليه ان تطير الى الامام :

والبيت الثاني :

وللأمس شوق ان يرى الغد طالعاً
فان مات يوم قبل ماضيه فاعجب

وهذا شرحه : لا يحب الاب ان يموت ابنه قبله فيكون كالغد الذي غرب قبل امسه .

قد رأيت العقاد في هذه الشروح والتعليقات يفعل فعل المكاري حين يسعف بغله اذا اسند في الجبل وركّ تحت الحمل ... فيا لضيعة التعب !

ثم تأتي قصيدة « هو وضميره » فاذا بها حوار على طريقة الشاعر الانكليزي هاردي . ثم تليها خير قصائد الديوان تفكيراً وتعبيراً وتلويحاً وايماءً ورمزاً، عنوانها « كعبة الاصنام بعد الزلزال ». انها خير ما قرأت للعقاد بعد تلك اللعب التي ضيّع وقته في نظمها وقتلنا بقراءتها ، فهنا مسرح خيال وفكرة شاعر . ولكن اذا قسنا الاستاذ على قوله السابق : لكل ذهن خامد جلوة ، ولكل طبع بارد سورة الخ . وجدناه لا يستحق لقب الشاعر . لينتظر لعل الله يفتح عليه بشيء آخر .

ليته يقلل من ادخال المضارع على المضارع كقوله : لم اشأ اهجرها ، فهذا قبيح .

وتليها قصيدة بين الشاعر وعروس شعره فيزجرها بقوله :

كفى ياعروس الشعر خيّبت آمالي وكذبت احلامي وأشمتّ عذالي

انعم بالاً يا استاذ فليس في الموت شماتة . ان عروس شعرك عانس ولا ادري أعليك الحق أم عليها ، فلا تفلتها متى أقبلت ، ولا تقل لها كأبي تمام : ليس ذا وقت الزيارة . فاعذب الأكل القنص . افعل ولا حرج .

أما الحيم فمخمّة في الشعر ، ومثلها « أنجع نفسي حزناً كمن بخعا .. » ألا تراها بنت عمّ الهمخع ؟ وان جاء ، فلعلك باخع نفسك ، فالشعر غير النثر .

وأثقل منها هذه الـ « حفزت » وحفزي في قولك :

ان منعت لذة حفزت لها فكيف حفزي من لم يكن منعا

ان هذه الزعارير في الشعر العقّادي فوق العدد والحساب ، ولو شئنا استئصالها جميعاً من شعر « امير الشعراء » لاستعنا بحَكَم الاستاذ كافور ...

وحي الأربعين ايضاً

كدت مرات أكفّ يدي عن قصاع العقاد فنفسي لا تشتهيها . والغريب ان نفسي ما كانت قط عيوفاً، فلماذا هذا الغنج والدلال؟ انها غير ملومة ، اما قطعت جهيزة قول كل خطيب ، واختارت معارف مصر ديواناً لعلي الجارم ولم تختر للعقاد غير النثر ؟ يا ليت امر هذا الاختيار يصير اليّ لأوجب على معاهد العالم العربي جمعاء تدريس دواوين العقاد ثلاثتها فيكون لنا منها الفيّات فلسفية علمية تفوق حقاً ألفية ابن معطي . وهكذا يتكافأ عصرنا وعصر ابن مالك والشيخ ناصيف اليازجي !

اليس عجيباً ان أخرج من هذه الدواوين كما تخرج الشعرة من العجين لا يعلق بذاكرتي بيت واحد ؟ وان تحلفني حلفت لك ، غير آثم بربة شعر العقاد . فيا ضياع تعب سيّد قطب ! لقد خسر قوة تذكر في تمشيط الاستاذ وجلوته ... فتعمقه في درس «غزل العقاد» لا يقل عن تنطع مار توما في تحقيق الثالوث الاقدس واثباته .

لا يستبعد ان يكون في « غزل العقاد » تلك الشخصية التي كشف عنها الغطاء سيد قطب فأرانا ستة وجوه لو يشتد اكثر لسبّعها

وكان لعصرنا رؤيا جديدة وتنين جديد ... قد يكون لشخصية العقاد هذا المدى البعيد ، ولكنها، يا ويحها ، شخصية بلا شعر . فبيانه لايطاوعه ، ويده لا تؤاتيه ، وهو شاعر بعينيه فقط، والحرب هيّنة على النظارة .

هذا رأينا في العقاد . اما العقاد فيحلم ، وهو راقد في الظل الخلف البنفسجي، بأن سيقوم في أعقاب الدهور، عند ظهور الامام الذي يملأ الدنيا عدلا ، عقاد آخر ينتبه لمحاسن عقّادنا الحاضر ، ويفلي شعره كما فلّى هو شعر ابن الرومي . فان صح هذا الحلم واصبح الشعر رصيناً يزدري الموسيقى والرقص لانهما يخففان الوقار ، صار عباس محمود العقاد اول الشعراء الاربعة والا بقي ثالثهم — لا اقول رابعهم — لا يبرح مكانه الذي وضعناه فيه حتى تقوم ناقة صالح ، ويهب كافور للمتنبي ضيعة او ولاية ...

نحن الان عند باب « وصف وتصوير » من وحي الاربعين ، وفي وصف العقاد غنّة دموسية حلوة ، يطالعك بها الفتح المبين في مشروع حليم الجديد ، اي تحويل شعر القرآن نظماً واليك منه نموذجاً بلا ثمن . قال حليم ينظم سورة البلد :

اقسمت في هذا (البلد) وبوالد وبما ولد
أتراه لم يره احد حتى تمنّع بالعرين ؟

ليت صاحب الملحمة الجديدة تعقل « فلا اقتحم العقبة » فدونها ما جاء في الآية الثالثة عشرة من هذه السورة ، أي فكّ رقبة ، — بالمعنى الاصلي اللبناني .

اما مولانا العقاد فيصف خليج ستانلي او حمامات البحر في

الاسكندرية على النمط الدمّوسي فيقول في وصف المستحمات :

تلق الطويلة كالقصيرة والسماحة كالصلف
برق السحاب طوالها وصغارها برق خطف
والسهم يقصد ان جثا رامي السهام او اشترف

ومنها :

ألقى لهن بقوسه قزح وادبر وانصرف
عيد الشباب فلا كلا م ولا ملام ولا خرف

قد افاض غيري في تحليل القافية الاخيرة فلا ادنو منها بل ادبر وانصرف كقزح ، وان اهاب بي العقاد :

قف في عبورك (غير مأ مور) ومن يعبر وقف

اجبته : تعذرني وانت كريم ، فقافيتك تستغيث بموت المتنبي وعوده ...

أرأيت الخرابيش التي يسميها هذا الفقير تصويراً ؟ ان الشاعر يجسد الجماد ويريك الاساطين عذراى مائسات كقول شوقي في « انس الوجود » :

ايها المنتحي بأسوان دارا كالثريا تريد ان تنقضا
قف بتلك القصور في اليمّ غرقى ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين في الماء بضاً سابحات به وأبدين بضّا

لا فرق بينهما سوى ان احمد شوقي يحيي ، وعباس العقاد يميت . سيحشرني العقاد مع الذين مدحوا احمد شوقي لانه هو نقده ، اما انا فأتلو عليه آية الاعشى :

وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم
وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

او ترى الحياة ، يا امير نفسك ، مائجة صاخبة في حمامات الاسكندرية فما تزيد على ان تنصب قلبك هدفاً ..؟ الفنّ يا معلم ، هو امرك هذه المشاهد الهاربة وحبسها الى الابد بين دفتي كتاب او صلبها على لوحة . اما انت يا صاحبي

فهتفت فليحي الجمال وقد يعاقب من هتف

فبدلاً من ان تصف لنا الجمال الزاخر الذي تغنّيت به في نثرك وناقشت اكابر المفكرين رحت تسجل نظماً ماجريات رخيصة تذهب مع الدويّ ، وما تفيد الا الدلالة على انك تفهم الشعر كلاماً أبعد غاياته مطابقة الصرف والنحو والعروض . فما عذر زورقك الشعري ، والرياح تجري كما تشتهي ؟ اذا كنت تضحي وتخصر كعمر صاحب نعم ، فهلمّ الى قطرنا ، الى حمامات طبريّا ، فلعل قريحتك الجامدة تسيل .

وتحت عنوان « القمراء » يعارض العقاد صاحبه ابن الرومي في : تبرّجت بعد حياء وخفر ، فيقول بيتين جيدين :

كلما اشرق في الليل القمر وسها الناس ولاذوا بالحجر
خلت ارواحاً تداعت للسمر زمرا تهمس من حول زمر

لقد قللت « في الليل » من وقار البيت وجلاله ، والعقاد يعلم ان القمر سراج الليل المنير ولا يطلع نهاراً ، ولكن الوزن استقام بها وهو لا يرمي الى ابعد من « التعبير الجميل » في الفن .

ان للفن فتنة الشبكة على وجه المليحة ، والعقّاد لا يحسن حبك

هذه الشبكة . يطوف حول أسوار اريجا نافخاً في أبواقه، والاسوار لا تسقط لان زمن سقوط الشمس قد انقضى . فالشاعر شاعر يتمثل أغراضه ويخرجها من نفسه كما تصنع النحلة شهدها . لا حياة فنية بدون هذا الهضم ، فالعشب لا تخرجه الدرة لباناً صريحاً الا بعد أن يمر في الف مأزق ، وكذلك الفكرة لا تحول شعراً إن لم تمر بخلايا النفس الشاعرة . والذي يزعم ان العقاد يجهل هذا يأثم ولكنه يحاول الاندغام بالاشياء فتتنكر له وتنفر منه وتقوم العداوة بينهما ، ولا إكراه في الحب . فما يسمونه رقة وحناناً لا أثر له عند العقاد، ولهذا يرسل الشعر معقداً كذنب الضب . لا شدّ ولا لزّ في نظامه كأنما هو حياكة الخوص .

اقرأ باب « غزل ومناجاة » . ففي هذا الباب تصوّرٌ لا بأس به لولا حبسة في لسان ناظمه بل لولا تلك اليبوسة التي تجفّل المحبوب. في القصيدة الاولى « مباراة بين الشفاه » يصطنع العقاد الاسطورة ويجعل الرب حكماً في هذه المباراة فيحكم ذو الجلال لشفاه الملاح غير مبال بشفاه العباقرة والجبابرة لانه ، عزّ وجلّ ، جميل — كما خبرونا عنه — ويحب الجمال . ورب العقاد هذا عنده ما عندنا نحن البشر ، فسجّل حكمه ومهره اذ دعا اقرب الملاح اليه :

وقبل مبسمه قبلة تضرّم منها مكان الحجل
وقال اجل تلك أغلى الشفاه فأصغوا جميعاً وقالوا أجل

أما العقاد الذي هو اشد عارضة من الرب ، ففوراً اعترض واستأنف وميّز ونقض وأبرم قائلاً :

بذا حكموا بعد طول المطال فليسمعوا رأيي المرتجل

اذا التمسوا مثلاً للشفـــاه قلت لهم شفتـــاك المثل
لثمت الحيـــاة بلثميها وعـاودت بعد السلو الغزل

يظهر لي ان صاحبي العقاد يحب شيئين في الدنيـا : الضيـــاء وخصوصاً اليوم المشمس ، والقبلة وهي اولى لباناته من الحياة . إنه يؤثر القبلة على كل هنات الحب والله اعلم ... ولكنـــه لا يحسن التحدث عن مفعولها ، فمكان الخجل الذي تضرم حين قبل الرب مبسم المليح غير بارعة .

وتلي هذه المباراة الطريفة قصيدة « المعاني الحية » :اي الوجوه. في هذه القصيدة بعض الشعر فعليك بها في الديوان ولا تنس أن عنوانها أشعر منها .

ها قد بلغنا أشهر قصائد العقاد وعنوانها الكبير « غزل فلسفي » وعنوانها الصغير « فيك من كل شيء » قد شرحها سيـــد قطب في الرسالة شرحاً لاهوتياً ، واليك مطلعها :

فيك من شمس الضحى العين التي ترسل اللمح مضيئـاً في الظلام
فيك من بدر الدجى احلامـه حين يسري نائماً بـــين نيـــام

لا اناقش نظم العقاد كلمة كلمة ولكنني اتعجب لتوفق العقاد الى لفظة شعرية هي (احلامه) ، فقد كادت تقيم البيت لولا عجزه الذي يكوكي كدابة اصابها البيطار .

وماذا ايضاً في حبيب العقاد ؟ فيه من كل ماخلقه الله في التوراة في ستة ايام ، واليكه جدولا مطعميّا ، فيه : من طلعة الربيـع ، وبرق وغمام الشتاء ، وغناء الطير ، ونوح الحمام ، وخرير الجدول ، ونظر الوحش ، وانفتال الحوت ، وسطوة النسر ، وخوف النعام ،

إذاً هذا الحبيب بر وبحر كما يقول العوام. ان الامانة الفنية تقضي عليّ الآن بايراد الكلام بحذافيره بل بنصه وفصه كما عبر السلف الصالح:

فيك من نار الحيـــاتين الهوى هل حياة الحي الا من ضرام

إن عجز هذا البيت فلسفة طبيعية فتفهّمه جيـــداً. اما عجز البيت التالي:

والذي أرهبه واأسفـــا هجرك المدعو بالموت الزؤام

فقد قصر فيه العقاد عن بيت البارودي، فأين قوله: هجرك المدعوّ بالموت الزؤام، من قول ذاك: أخو فتكات بالكرام اسمه الدهر ...

قيل ان احدهم نادى غلاماً باسمه عبد الله فما ردّ عليه حتى نسبه الى أبيه، فقال له: أطرش أنت؟ أدعوك مرات ولا تردّ علي؟ فضحك الفتى وقال: كلنا يا سيدي عبيد الله. فأجازه معجباً بذكائه. وسمعها غلام آخر اسمه حمزة فخزنها يحلم بالجائزة، ولكن جوابه المدّخر: كلنا حماميز الله لم يطعمه خبزاً.. وكهذه قول العقاد: هجرك المدعو بالموت الزؤام ...

فلنعد الى الجدول لئلا يفوت القاريء شيء من هذا المحبوب، وفيه: من نقص الدنيا وتمام الآخرة، وطيب المـــلائكة، وغيّ الشيطان وآثامه، وسكرة الخمرة، وغذاء القوت، وريّ الماء، وهيام الجوع، وحظ وافر من الارض، وحظوظ من سماء لا ترام:

أجديد؟ إي نعم قال الصبـــا أقديم؟ إي نعم قال الوسام

ولا تعجب إن رأيت اسلوباً افرنجياً في القول فشاعرنا يحب التجديد ... وفي هذا الحبيب شيء من هندسة علوية لم اذكرها لك.

وفيه من الشاعر ومني ومنك ، ومن جميع الناس ، ومن كل موجود وموعود توأم — هذا شعر — فهو إذن أزلي أبدي وسع كرسيه السموات والارض .. فليت الشاعر لم يسه في هذه القصيدة « النورانية » عن ذكر كل ما في هذا الحبيب اللذيذ . ليته نظم لنا شعراً كل المقادير التي فيه من كربون ، وكلسيوم ، وحديد ، ويود ، ومغنيزا ، وفوسفور ، وكبريت ، وسود ، وبروم ، وفليور ، وسليسيوم ، واكسجين ، وهدريجين ، ونيتروجين ! بل ما ضره لو ذكر ايضاً المواد المركبة مثل كربونات البوتاس ، وكلورير السوديوم ، ليرى الغناء العظامي ، والكرماتين ، والنيكلايين ليثق من متانة خلاياه ونشاطها ، والالبومين ، وغيرها ليرى كيف دهنه وشحمه ، والفلوكوجين ليرى كيف تكون كبده أرقيقة أم غليظة ، فيأخذ حذره ويأمن غدره ... ناهيك بما في هذا من فائدة جزيلة للطلبة إذ يتعلمون أهم « دروس الاشياء » بسهولة . فالشعر سهل حفظه ..

رجاء — ليت الاستاذ الجليل يشبع هذا الموضوع درساً وتحليلاً فيحدثنا عن نفس ذلك المخلوق العجيب ، أحلّت فيه عند الولادة كما يزعم افلاطون ، أم بعد الحبل باربعين يوماً ان كان ذكراً ، وثمانين ان كان انثى ، وهذا رأي ارسطو المعلم الالهي وعليه مار توما ... فالاستاذ يحب الفلسفة وله فيها جولات تذكر فتشكر ..

حقاً ان الشعراء في كل واد يهيمون ، ولكن العقاد يهيم وهو غير شاعر .. انه يقول الشعر كالزجل وهاك البرهان : يبدأ الزجال اللبناني كل دور بآخر شطر من الدور السابق ، وكذلك يفعل العقاد ، وان كنت تتهمني فاسمع قوله :

هذه الروعة هل تجمعها في مدى يوم لحوم وعظام
لا وربي بل دهور غبرت قبلما تتقنها الايدي الكرام
قبلما تتقنها الايدي التي نسقت انواعها وهي حطام

انتبه جيداً فهو يهدي اليك رأي دروين منظوماً ، ثم يقول :

ان نفوني اليوم من دنياهم واباحوا لي من الزاد المرام
ثم قالوا ما تشا منا فخذ قلت هذا وعلى الدنيا السلام
قلت هذا وتقدمت الى هوة الغيب وفي الثغر ابتسام

أليس هذا كأسلوب الزجل ؟ وما في فصاحته هذه خير ، فهو دون عروضنا البلدي شاعرية وتصوراً وعاطفة ، وزاجلنا لايقول: قبلما تتقنها الايدي الكرام ، ولا يذكر حبيبه كالقصّاب فيقول : لحوم وعظام .

ونمر بأربعة أبيات عنوانها « مائدة » احسن الشاعر الرمز اليها والتعبير عنها :

مائدة اسرف في طهيها عشرين عاماً عبقريّ الزمان
مدت لنا طوعاً فما عذرنا اذا تركنا لقمة في الخوان

فللاستاذ تهنئاتنا الحارة بهذه المائدة الدهرية التي اوحت بيت شعر . أما « سعادة في قمقم » فاسطورتها تافهة ، ومثلها « عيد ميلاد » التي الف بها العقاد ثالوثاً من الشمس والمسيح والحبيب صاحب العيد ، وقد وصف الشاعر ثالوثه الجديد بمنظوم دون النثر الوسط . واليك نموذجاً منه لتحكم عني :

النور والحسن واليقين تحتفل اليوم في مكان

اما فكّ هذه الرموز الهيروغليفية فهكذا : النور للشمس

والحسن لصاحب العيد ، واليقين للمسيح ، والثلاثة ولدوا في يوم واحد . فافهم ولا تنشغل عما بقي من بلاغة ساحرة :

احدى وعشرين من سنين قد تم في أوجها القران

اي عمر صاحب العيد ٢١ ربيعاً ..

ثالوثكم تمّ بعد حين فليمض ما شاء في أمان

وليهتف المنشد الفصيح بالحمد في العيد والغناء

كلاهما مغنم ربيح لعاشق الارض والسماء

قد لا تصدقني وتقول في قلبك : هذا كلام منحول . لا والله ، انا شككت مثلك ، وقد فركت عيني مرات وحملقت جيداً لأنني كدت لا اصدق ان أديباً كبيراً كالعقاد يذيع شيئاً كهذا على الناس ، ولكن وحي الاربعين حي يرزق فافتح (ص ١٣١) .

ونمر « بنبضات جديدة » فنهفو اليها ولا نقع الا على سراب . وتسير قافلتنا في هذه الصحراء فنبلغ فصلاً جديداً عنوانه « قوميات واجتماعيات » اوله قصيدة عنوانها « الى المحسنين » القيت في احتفال سنوي لجماعة بطنطا سنة ١٩٣٠ ، فاسمع بعضها :

يا جيرة الاحسان والمحسنين لبّيكم لبيكم أجمعين

من يسمع الملهوف حق له لاريب ان يسمعه السامعون

من عين شمس جئتكم ناهلاً من عين شمس لاتراها العيون

حييت في محفلكم اخوة بناتها في الخير صنو البنين

مريمكم أخت عيساكم وكلكم آمنةٌ أو امين

ومن روائعها :

يا غارسي الاحسان في طندتا ما خصبكم فيها بماء وطين

وطندتا لغة في طنطا ، وقد تهم علماء اللغات القديمة ، والمولعين بالآثار .. وللشاعر ما لا يجوز لغيره . ويلي هذا البيت الاخير نظم بعض آيات الكتاب العزيز ببراعة يقصر عنها حليم :

ظل ظليل وجنى رحمـــة ريّان يؤتي أكله كل حين

ويعقب هذه أبيات وجهها الى غاندي يوم افطاره ، منها بيت يعلمنا فيه العقاد نظرية التلقيح للجدري وغيره اذ يقول لغاندي :

خذ من قرارة دائهم لدوائهم بعض السقام من السقام ضمان

ومن يقول بعد هذا لا جديد تحت الشمس ؟!

وتلي الدرة « الطندتاوية » قصيدة « الاستقلال السوري » وقد قضينا لها ما يجب منذ ثلاث سنوات واكثر . وها اناذا اسرد لك ختامها البديع لاذكرك بذلك الجمال الفني :

وخذوا التهاني من مهنّيء نفسه بغـــد يطالعكم بالاستقلال

اما رأيت انوار الجمال الفني تتدفق من : خذوا التهاني ، ومن مهنّيء نفسه ، ومن يطالعكم ؟ امـــا المعنى فليس ظاهره كما تسمع وتقرأ كل يوم : نهنيء أنفسنا ونهنيء بكم الوظيفة الخ ، بل هنالك اسرار دفينة لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم من شرّاح العقاد. عاب العقاد على شوقي شعره القومي الاجتماعي وانتقده انتقاداً غليظاً ولما حاول هو ان يقول مثله وقف حمار الشيخ في العقبة ...

اما باب « فكاهة » فيتألف من عشر صفحات لا فكاهة فيها . شبهت فكاهة العقاد بفكاهة صاحب لي كان يقول في نهاية نكتته : انتهت اضحكوا ! فليت عقادنا يلحق بديوانه ليدلنا على ما يحسبه فكاهة !

اما وقد أعييت ولم اجـــد تفكهة واحدة فخذها من قصيدة الاستقلال السوري فتكون فاكهة في غير أوانها ، كما يقال :

بوركت من وطن يجل شهيده في حيثما القى عصا الـترحال

هل طرق سمعك قبل الآن مثل (في حيثما) ؟ هذا هو السحر الحلال بعينه فتعلمه ولا تعمل به ...

أما « متفرقات » وهي عشر صفحات ايضاً ففيهـــا ، والحق يقال ، بيت جيد وهو مطلع رثاء حافظ :

أبكاء وحافظ في مكان تلك احدى طوارق الحدثان

ولو أرجعنا تفاريقه لاصحابه لم يبق للعقاد شيء . وهنا ينتهي وحي الاربعين ،اعاننـا الرب واياك على احتمال هدية الكروان ، وعابر سبيل .

انني لأرحم العقاد رحمتي لقبيحة تحشر نفسها بين الحسان وهي مؤمنة بجمالها .. فما اكثر المغرورين في الدنيـــا ، واولهم العقاد الشاعر الذي يردد بينه وبـين نفسه : والله متمّ نوره ولو كره الكافرون .

هدية الكروان

نمط ٣٣

موضوع بحثنا ، اليوم ، هدية الكروان ، وهذا صنع كوحي الاربعين ،عام ١٩٣٣، والغريب ان يكون « هدية الكروان »له ما قبله وما بعده . وهو خير نظما من « الوحي » و « العابر »، فبعد ما ظهرت مخايل النجابة على عقاد هدية الكروان امحقت في «عابر سبيل» الذي تحسن قراءته تحت مصباح السكة الحديدية الاحمر خوفاً من التصادم ...

ما افلحت سفارة هدية الكروان الى عالم الطير بل كانت كرحلة ملائكة الله الى قوم لوط ، رضوا من الغنيمة بسلامة الجلد... فدواوين العقاد ثلاثتها بيضات دجاجة واحدة . كلها طرح. لا احدثك اليوم إلا عما لا يجوز السكوت عنه . العقاد طماح وفي نفسه آمال وليس في القدر فطانة ... يريد ان يكون امير شعراء بل يريد ان يكون فاتحاً ، وهذا هين عليه فهو جد مطلع على الشعر العالمي ولكن القريحة حرون لا تسعفه ، وموسيقاه موسيقى صنج مشقوق .. واغرب ما في شعره أنه كله باج واحد . اروعه تحت الوسط ، ورذله دون كل رذل ، فهو بهذا يبذّ الشعراء طراً ..

والعقاد يؤيد قولي ويشير اليه من حيث يـــدري أو لا يدري اذ يقول مخاطباً الكروان :

زعموك غير مجـــدد الألحان ظلموك بل جهلوك يا كرواني

اننا لا نظلم ولا نجهل ، وقـــد آلينا ان نقول للاعور : انت اعور ! فليطرطر العقاد ما شاء فليس له غد في عالم الشعر .

ويقول في قصيدة أخرى :

وانك مفرد في الطـــير لحناً وما استفردت في تلك الحصال

اذا شابهتنـــا في النقص حيناً فاين (المشبهاتك) في الكمال

هذا رأي العقاد في نفسه ، وهو يحدث الكنة لتسمع الجارة . اما نحن فما نراه يشبه الشعراء إلا في النقص ، ويقصر عنهم في الكمال ، وما اكثر الادلة على ذلك . خذ مطلع قصيدة عنوانها : على الجناح الصاعد :

حادي الظلام على جناح صاعد يا ارض اصغي يا كواكب شاهدي

وقابله بشطر بيت لشاعر وسط هو ولي الدين يكن :

وهـــذي بحمد الله مني براءة فيا أفق سجلها ويا أنجم اشهدي

لترى الفرق بين شطرين تكاد تكون الفاظهما واحدة . وحسبك هذا دليلا على ذوق العقاد الفني . اذا كان العقاد يصأى كالفرخ على الجناح الصاعد فيقول :

انا صائد لصداك لست بصائد لك انت يا كروان فأمن صائدي

فكيف يكون على الجناح النازل ... وللاستاذ ابيات يشفع فيها للغراب فعسى ان يقوم ، بعدنا ، من يشفع له بين طيور الشعر ، ويرق لفاقته الروحية ومجاعته الفنية ، فهو كما قال عن نفسه :

شاعراً عاشقاً وقاريء كتب قرأ الكتب دارساً فأطالا

ولكنه عاجز عن تحويل تلك القراءة شعراً لانه لا يستمريء ولا يهضم . والقراءة ، وحدها ، لا تعمل الشعراء .. الشعر يحتاج الى الكيمياء التي تخلق من اتحاد عنصرين عنصراً جديداً وهذا لا يحسنه العقاد .

والاستاذ يحب القبلة على رضا لا قنصاً كما يأكلون « التبّولة » عندنا . يريد على كبر هامته ان يزق كالفرخ ، ولهذا قال :

ويزعمها قبلة من أخ ففيم إذن قطفها في حذر

وفي (ص ٥٨) يقوقي كذلك الشاعر في :

يا مبرماً أهدى حمل خذ وانصرف الفي جمل

ومن اين له طرافة تلك ؟ فهل من يقول لي ماذا يعني بقوله :

طلع الصبح حزيناً عاطلا أتراه كان بالقرب يزان

وسرت انفاسه يا حسرتا اين انفاسك يا زين الحسان

ان يا زين الحسان رقيقة ناعمة لا تشكو من شيء ولكنها ليست كزين الشباب لابي فراس . ان للكلام مواطن يدركها الشاعر الملهم ويرشده اليها ذوقه الفني ، وهذه الغريزة ضئيلة جداً عند العقاد . لم نبلغ بعد ما نعني فاسمع غير مأمور :

وتجلى الباب لي عن زائر من أودائي كأنا أخَوان

اسمعت قبل اليوم بتجلّي الباب ؟ وهل حلمت بركاكة كالتي تلي هذا التجلي ؟ وان سيقوم في القرن العشرين من يسميها شعراً في في ديوان ؟ لم ينته الشوط بعد فاسمع :

فتعلمت ولبّي شارد . . . كيف يكسى الود ثوب الشنآن

قال لي الافق : جميل . قلت لا بل دميم، قال : زاه،قلت: قان
قال: زيد قلت : حاشا ، فانثنى نحو عمرو، قلت : كلا بل فلان
فمضى يعجب مني قائلا : أسلام ؟ قلت بل حرب عوان

الاستاذ ينظم نظرية اختلاف النظر باختلاف الاحوال والاخلاط فافهم ان كنت لبيباً ! اما قصيدة « ساعي البريد » فصالحة جداً للترتيل الكنائسي وهي على لحن :

ان ساعدت عذرايا فزت بكل منايا
يا عين ذات الطهر اسعي بمحو خطايا

واليك قول العقاد للموازنة :

لو لم يكن خطابي في ذلك الوطاب
لم تطو كل باب يا ساعي البريد

ليت شاعرنا « العالمي » يطالع رواية ايفان بونين – ضحية الحب ليعرف كيف يتحدث الادباء الكبار عن الخطاب – (المكتوب) في العرف المصري .

ويحدثنا في صفحة (٦٥) عن قبلة بغير تقبيل ، اي قبلة لاسلكية ، او لحس الفرن على ريحة الكبة :

تمت القبلة التي نشتهيها كلها غير ضمّ ثغر لثغر
تم منها شوق ورفّ شفاهٍ وهوى نية وخفقة صدر

حدثنا ابن خلدون عن احدهم قال : ذاكرت يوماً صاحبنا ابا العباس بن شعيب ، وكان المقدم في البصر باللسان لعهده ، فانشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم انسبها له ، وهو هذا :

لم ادر حين وقفت بالاطلال ما الفرق بين جديدها والبالي

فقال لي على البديهة : هذا شعر فقيه . فقلت له : ومن اين لك ذلك ؟ فقال من قوله : ما الفرق ، اذ هي من عبارات الفقهاء الخ . ونحن نرى في اكثر دواوين الاستاذ نظما لا ندري بمن نلصقه كقوله مثلاً :

هكذا الحب دواليك فمن لم يكنه لم يكن قط حبيبا

وعلى ذكر ابن خلدون نقول : ان في شعر عقادنا شيئاً كثيراً من نثر ابن خلدون ، والعقاد متأثر جداً باسلوب صاحب المقدمة وعلومها ، وقد تكون هي التي اوحت اليه « عدل الموازين » فقد جاء فيها ما يشبه ذلك (ص ٤٦٠ طبعة بيروت)

وهناك قصيدة « تسلّم » يبيع فيها العقاد الكون كله من حبيبه بيعاً صحيحاً باتاً تاماً بالتسلم والتسليم .. فاين هتلر وموسوليني يقصداه ويريحا المستر تشمبرلن من متاعبه ومظلته التاريخية ...!

لسنا نطالب الاستاذ بلات نظم ، ولات نثر (ص ٥١) فاخوه المتنبي قال حتى لات مصطبر ... وعليه ان يفوته . ولكننا بكل حشمة ووقار ننبهه الى قوله عند تسليم الزهر :

تسلم زهرك المحبوب في السهل وفي النجد
تراه ضاحك العينين تراه ناضر الخد

فجزم (تراه) واجب هنا وهو لا يحتمل التعليل والتأويل ، وان رأى فعل أمر غير جازم الجواب فيكون من غير هذا الضرب . وللعقاد قصيدة في « المنديل » يفضّل فيها الكتّان على الحرير زاعماً ان « الحرير نسج الديدان التي تذكر الانسان بالموت والقبر فيجمد من يذكرها » . هذا الشرح نثراً اما النظم فهذا :

فماذا تنسج الديـــدان من ذكرى لمن سعـــدا
ومـا الديدان والذكرى ومن ذكر اسمها جمـــدا

وما ذكر (يجمد) في نثره الا لقوله جمـدا في شعره . قلت ، اذن ومن ير التفاحة يذكر الزبل ، ومن يأكل البيض يذكر مـا يذكر ، واخيراً ، والذي يراني ويرى العقاد مثلا يـــذكر أشياء كثيرة . . . فما ابشع تقليد العقاد واثقل فلسفته ، يريد ان يجاري ابن الرومي بهجو الورد ، وابن المعتز بهجو القمر ، والا فما يدرينا انه شاعر كبير . .؟

وتمر نفحة شعرية في صحراء العقـاد لا ادري من اين هبت . احب ان تستنشقها معي لتفرج عنك وتقول ، سبحان محيي العظام وهي رميم . العنوان « حلم اليقظة » :

اين مضى الحلم الذي كنت اراه ههنا
اذا صحوت والتفت عن شمالي موهنـــا

*

وكان عندي حلماً في يقظة الليل المديد
اسمـع من انفاسه نسمة فردوس بعيد

والعقاد معاشه هين تكفيه بوسة . إقرأ قوله في ثرثارة (ص٨٠) ألا تراه كقول الزجال المصري الذي حدثنا عنه الاستاذ المـــازني وروى من قوله في الرسالة (عدد ٢٧٧) :

يا بتّ انا بـــدّي أبوسك بسّ أبوسك
واطرب واحظى بكؤوسك رقّـي شويّة

وفي « النجوم السواغب » يوزع العقاد البوس بـلا حساب ،

يهب نسيم الليل عشرين ، والروض كذلك ، وهلم جرا :

وخذيا نسيم الليل عشرين قبلة وخذ مثلها يا روض ،انك غاضب

اي لا تزعلش ، وهكذا يعدل الاستاذ ويجبر الخواطر كلها ، وما على الكريم شرط . .

اما هذه الواو في : ومسكينة هذي الكواكب (٨١) فخطأ شنيع من كاتب حريص على اللغة وقواعدها ، ونحن لا نغفر له ما دمنا نعلم أولادنا : البلاغة معرفة الفصل والوصل .

أما « كلماتي » فقصيدة حركتها خذروفية كمكفوف بديع الزمان . واذا شرح ابن الرومي بيتاً ببيوت ، فالعقاد يشرح كصاحبه نثراً وشعراً ، مفردات ومعاني حتى مثل : عن كثب ، وشتات ، وكوى ، وكثيراً ما يكتب فصلاً في هذا الديوان وينظمه شعراً ، وهو على حق لان نظمه كما قلنا لا يؤدي فكرته كنثره . إقرأ (١٣١) .

لا أحدثك شيئاً عن قصيدته (صنوف حب) بل احيلك على الرسالة لتسمع الاستاذ سيد قطب ينادي عليها كصاحب صندوق الفرجة – صندوق الدنيا بمصر – : تفرج يا حبيبي على عنتر ،صاحب السيف البتار ، عنتر ابو الشوارب . . والعقاد يغزو صاحبه ابن الرومي احياناً فيؤوب بالنهاب وبالسبايا ، مثل صبغة الله ، ومثل :

علق الله في عذاريك مخلاة ولكنها بغير شعير

فيقول :

أليس كفى هذا السواد فزدته سواد غراب في لحاك معلق

كم يكون للرجل ، لحية او لحى يا ترى ؟ العامة لا الشعراء عندنا

يقولون : تضرب في لحاك ، فهل أخذها المعلم من هناك ؟ ويزيد بيت العقاد رونقاً وبهاء وفناً وجمالا قوله : أليس كفى . فيا ضيعة التعب في الدرس وقراءة الكتب الطويلة .

اما قصيدة : البيلا ، البيلا ، البيلا ، فقد ذكرناها بما تستحق في غير هذا الموضع ، وليس هنا الا تصفية الحساب نهائياً بيننا وبين هذا الفاضل .

وللعقاد هجاء ولكنه لا يقرأ ، لان الهجاء يحتاج الى شاعرية فذة ، والعقاد لم يكن يوم قسمة الحظوظ على الشعراء . ويختم هدية الكروان ببعض الرثاء . والذي عندي ان قصيدته في رثاء حسن الحكيم تشبه الشعر الرصين .

حاشية طاووسية :

كان الذي خفت ان يكون ! وسألني احد ادباء العاصمة ، وهو لا يصدق ، ان الشعر الذي رويته من نظم العقاد . ظن انني نحلته اياه تهكماً به فنفيت التهمة عني فقال : اذن اخترت لنا اردأ النظم ، قلت ، من ذا وذا ، ولو تعلم أن « فيك من كل شيء » آية العقاد الكبرى لما قلت هذا . لقد نشرتها ارصن المجلات واخطرها كما نشرت غيرها من آياته ، وكلها بعون الله من هذا الحوك . إن دواوين العقاد فوق الارض لا تحتها فاطلبها ان تشكّ بامانتي .

وافترقنا على ان انشر له في اول مقال نماذج من خير ما نظم العقاد . وعدت أقلب الدواوين الثلاثة ، فرأيتها كأبناء بنت الحوشب بالمقلوب . وبعد حيرة غير قصيرة خطرت ببالي العودة الى ما نشره مار توما العقاد — سيد قطب — دليلاً على شاعرية صاحبه

وأسلوبه ليفقأ حصرماً في عين (الرافعيين). ووفاء بوعدي لصاحبي ذاك انشر هنا شيئاً من ذلك الشعر وادع الحكم للقراء ، ولا حق للعقاد عليّ فشاهده من اهله . ولا بد لي – قبل نشر نماذج سيد قطب من شعر العقاد الرفيع – من ان أعود الى الوراء ، الى سنة ١٩٣٤ فبين يديّ عدد من مجلة الاسبوع اهداه اليّ احباب العقاد في ذلك الزمان . العدد رقم ٣٥ وتاريخه ٢٥ يوليو سنة ١٩٣٤ واليك ما كتبه سيد قطب تحت عنوان معارك النقد في مصر :

« فأما هدية الكروان فقلت عنها انها منتهى النضوج الفني للعقاد . انها سلمت من بعض اشياء كانت تغض من الجمال الفني الكامل لبعض شعر العقاد ، وهي ما اسميته « قسوة القالب » ، وعنيت به ان يحتجن الشعور الطليق في ثوب أضيق واقسى مما يلائم هذا الشعور الطليق .

تلك كانت آرائي التي ابديتها بعد دراسة كاملة والتي لا زلت اعتقدها ، رغم ما دار من الاحاديث بشأنها ، ولكن فليسمع الناس ما أعقب هذا النقد من احاديث ومن غضب ومن عتاب . فاما العقاد فهو ساخط حانق ... ساخط لانني جمعت بينه وبين ابي شادي في مقال ، وحانق لانني اقول شيئاً عن قسوة القالب في بعض شعر العقاد . واقابله فيعلن هذا السخط ، وهذا التبرم ، ويذكر انه لا يفهم معنى للجمع بينه وبين ابي شادي في مقال ... وهو كذلك لا يسلّم بقسوة القالب في بعض شعره ولا يبيح لي ان أوجه هذا النقد لان منشأه هو قصوري عن فهم شعره . وان على الناقد ان يرتفع لمستوى الشاعر وليس على الشاعر ان يهبط

لمستواه .

وكان العقاد مهتاجاً ولكنني كنت هادىء الاعصاب فشرحت النقطة الاولى بما اعتقد . واما النقطة الثانية – قسوة القالب – فكنت فيها عند موقفي الاول كذلك . وذكرت ان الناقد الذي يكتب محاضرته عن ديوان وحي الاربعين للعقاد فيفهم دقائقه فهما يرضى عنه العقاد لا يقصر عن هدية الكروان وهي أسهل من وحي الاربعين . (. . . كذا) وافترقنا وفي نفس العقـــاد شيء احسه ولكنني آسف لهوان كنت لا أنوي التأثر به » (الاسبوع عدد ٣٥)

وتمر الايام فيكتب سيد قطب، بعد اربع سنوات وثلاثة اشهر وستة ايام بالضبط (الرسالة ٣١ اكتوبر ١٩٣٨) مدافعاً عن اسلوب عقاده فيقول :

« بل انني لأريد ان افهم كيف يكون الاسلوب العربي الرصين المشرق ، اذا لم يكن كالقطعة الاولى من الديوان الاول بعنوان « فرضة البحر » حين يقول :

قطب السفين وقبـــلة الربان يا ليت نورك نافـــع وجداني
يرجى منارك بالضيـــاء كأنه ارق يقلب مقلتي ولهـــان
وعلى الخضم مطارح من ومضه تسري مدلهـــة بغير عنان
تخفى وتظهر وهي في ظلمائها باب النجـــاة وموئل الحيران

بل كيف يكون الاسلوب العربي المشرق اذا لم يكن مثل قصيدة « عزاء » حين يقول :

يا شاكياً وصباً احاط بنفسه اربع عليك لكل يوم كوكب
حمل فؤادك ما يؤودك حمـــله اني لاجـــلد للهموم واصلب

فاما حين يطلبون الرصانة وقوة الأسر وجزالة الاسلوب وفخامة التعبير فان الجزء الاول من ديوان العقـــاد يجيبهم الى طلبتهم في عدة قصائد اذكر منها « وقفة الصحراء » وفيها يقول :

هضابك أم هذي أواذيّ عيلم وهل فيك من ود لغير التوهم
تخايلت كالدنيا وأقفرت مثلها فلا تخدعيني انني لست بالظمي
ايا ربّة الآل الخـــلوب وانمـــا
الى الآل ركب الناس جمعاء فاعلمي

واما حين يطلبون السلاسة والعذوبة فما أكثر ما يجيب ديوان العقاد الاول وحده الى ما يطلبون :

يهنيك يا زهر اطيار وافنان الطير ينشد والافنان عيدان
طوباك لست بانسان فتشبهني اني ظمئت وانت اليوم ريّان
هذا الربيع تجلّى في مواكبه وهكذا الدهر آن بعـده آن

وبعد سرد هذا الشعر الذي نقلت بعضه لك اثباتاً لامانتي الفنية يقول : (الرسالة ص ١٧٨٠) :

« تلك نماذج مختلفة من اسلوب العقاد . فاذا استغنينا بالجزء الاول وحده فنحن واجدون للعقـــاد كثيراً من شعر الاساليب الفخمة الجزلة والاساليب الرصينة المتينة والاساليب العذبة السلسة وكل ما يعنيه الاسلوبيون ببدائع الاسلوب . ودع عنك ما وراء اسلوب العقاد من معان وفكر واحاسيس وعوالم واسعة من الفن الفريد » .

هذا ما كتبه الاستاذ سيد قطب رداً على الرافعيين وقد زالت ، والحمد لله ، « قسوة القالب » العقّادي التي انتقدها ، وصار اسلوب

العقاد عربياً ، رصيناً ، مشرقاً ، قويّ الاسر ، جزلا ، فخم التعبير سلساً ، عذباً ، متيناً ، في لغة قطب ، وناعماً ، ليناً ، كفراء القطط والثعالب في لغتي .

قد يكون الشعر كالفحم يصبح الماساً اذا طمر زمناً طويلا ، فليطمر العقاد دواوينه ولينتظر ...

اما صاحبي البيروتي فلينظر في هذا الشعر الذي سردناه له فهو خير ما في يدي من نظم العقاد . والعقاد ممن يرفعهم الله الى اسفل — في النظم .

عابر سبيل

نمط ٣٧

عابر سبيل احدث ما اخرجه معمل فورد الشعراء ، يتوخى فيه الاستاذ عباس كعادته مواضيع ينظمها كلاماً موزونا مقفى لتكون أدباً مصرياً . ومثله كنا ، في ايام الولودية نخطط المدينة ونبني الشوارع والبيوت .. رأى العقاد كما قال في نقده أحمد شوقي : — «وقد نظرت الى العصور الحديثة بعد الاسلام فلم اعثر على شاعر واحد أنبتته مصر يذكر بين أعاظم الشعراء وتسمع له رسالة من رسالات الحياة ، فكل شعرائها عرب أو مقلدون للعرب ، وكل هؤلاء وهؤلاء عالة على الادب ونفاية ضئيلة أولى بها ان تنبذ وتهمل .

ونظرت الى العصور القريبة فأحصيت من نظم شعراً في مصر منذ خمسين سنة ، فاذا هم كلهم — الا قليلا — يرجعون الى أنساب غير مصرية ويحسبون في المصريين وليسوا منهم في غير النشأة والاقامة . وأغرب من هذا انك لا تجد في هؤلاء واحداً يثابر على النظم بعد الثلاثين او الاربعين ، كأنما هي شاعرية الشباب التي تخفّ بهم الى النظم والغناء في إبانها ، وليست هي بشاعرية البيئة وسليقة القومية التي تفتأ فتية في الانسان طول الحياة» (ساعات بين الكتب ص ١٠٣) .

لعلك أدركت مثلي ان العقاد ينظم «عن سابق تصور وتصميم» كما يعبر المحامون ، ويظل ينظم حتى يقتل الكثيرين من قرائه فتحل عليه عقوبة المتعمد ..

ليتني اترجم لك نقد جورج ديهامل لشعراء فرنسا الذين يفتشون عن مواضيعهم في قاموسهم لاروس ، كما يفتش العقاد عنها في السكة . ارجع الى هذا الفصل الطريف في كتابه الشعر والشعراء (ص ٦٤) واذكرني بالخير . فالعقاد يلتقط مثل اولئك، مواضيع « عابر سبيل » ليؤدي رسالة مصر التي لم يؤدها شاعر مصري - فكل شعرائها عرب او مقلدون للعرب - فهو اذن « عابر سبيل » حقاً في أزقة الادب ، يموش كروم مصر بعد ما نامت النواطير عن ثعالبها.. حاول تمثيلَ الكنانة المحروسة في مدينة الشعراء فكان نموذجاً غير مرغوب فيه .. والا فما هذه المواضيع العجيبة الغريبة التي يعجز عنها الفحول فكيف بالثنيان ؟ .. قال النابغة الذبياني :

واستعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات اخبار

هكذا يكتفي الشاعر العربي بايقاظ شعورك ويتركك في شغل، فشعارهم خير الكلام ما قلّ ودل. اما العقاد فركب كتفي «البيت» كأنه غريمه ، وانطقه بالكلي والجزئي حاسباً أنه يخلق أدباً مصرياً، كأنما ليس في بيروت وحيفا ودمشق وبغداد وجدّة بيوت تؤجر ، وفنادق فيها الناس من كل الاجناس ، ودكان كواء وواجهات دكاكين ، كما سترى إذ نعرض عليك حوائج « عابر سبيل » .

أنطق العقاد البيوت بكل رخيص مبتذل كما فعل في قصيدته « فيك من كل شيء » التي ازعم انه استوحاها من زميله شكسبير

في قصائده الغزلية Sonnets رقم ٥٣ و ٩١ ، كما استوحى «ربة شعره» من رقم ١٠٣ ، و « طلع الصبح كئيباً عاطلاً » من رقم ٩٧ و «الظن بالاهل والحرم » من رقم ٩٣ . راجع أناشيد شكسبير هذه لتعلم كيف يجني الشاعر العظيم أضاميم الزهر ، وكيف يحشّ من يجمع العلف ...

خبرنا النابغة ان الدار عندها اخبار كثيرة وما سألها شيئاً ، اما العقاد فكان مستنطقاً بليداً . افتتح «عابر سبيل » بقصيدة عنوانها « بيت يتكلم » فوصف السكان الذين تعاقبوا عليه وابقوا فيه مخازيهم كالذي ردّ مدح ابن الرومي . وكان العالم احد المستأجرين فقال فيه العقاد :

حشا بالورق اليابس والاخضر حيشاني

اظن (حيشاني) خطأ صوابه حيطاني ، الا اذا كانت من غريب العقاد ... او لوناً من الوان الادب المصري الذي يخربشه ... اما نظرية النشوء والارتقاء التي اقام نفسه وصيّاً عليها - بعد الزهاوي - فتجدها في « أمام قفص الجيبون » . قدم لها بصفحتين الا ربعاً من النثر كانتا اشعر من قصيدته . فتعلّم الجلد مني واقرأها . ثم يعطف على الجيبون بقصيدة اخرى لانه لم يصدق قوله فيه حين زاره احد اصحاب العقاد فكانت هذه كالخيار عند رخص السعر ينفخ البطن ولا يغذّي .

وينتقل الى « واجهات الدكاكين » و « اصداء الشارع » ، و « عصر السرعة » و « عسكري المرور » فيقول في هذه كلها شعرا يستحي الوليد ان ينسبه اليه . وشر من هذه كلها قوله في «طيف من

حديد » أي السيارة ، فاسمع بعضه :

ذاك بعـــد وانسياب وظـلام وانسجـــام
اي شيء ثم يجـــري هو طيف لا كلام
اي شيء ذاك الا الـ طيف يسري في منام
يطرق العـــين وهايهـــات بالسمـــع يرام

ان تعقد المعنى فاقرأ الشرح ، فنثر العقاد وشعره متكافلان متضامنان.. اما هيهات فشرحها لنا : بعد جداً ، لئلا يفوتنا معناها. فكأنما زيادة الالف الهاوية احتملت زيادة جـــداً . لقد اضطرت عبقرية العقاد الى هذه اللغة في هـايهات والا فكيف يرزأ الادب المصري بهذا البيت الفريد ولا يغيض النيـل ويزلزل الهرم كما قال بشارة الخوري ؟ واحب لك ان تعلم ان الصغاني روى في هيهات ستا وثلاثين لغة ، وصاحب القاموس اوصلها الى احدى وخمسين ، فليت العقاد يستعملها كلها في نظمه العتيد فتكون ادباً عقادياً حقاً! اليس من التجني ان تموت مثل هيهاه وأيهاه وأيهان وهايهات ؟

ويرى العقاد في مصر فنادق تتجمع فيها النـاس من كل جنس فيقول :

ففيهـا يافث حينـا وشبث وفيها تارة حـــام وسام

هكذا يؤدي كبار الاساتيذ رسالة بـلادهم ويخلدون امتهم في كتاب ... اما قصيدة « بعد صلاة الجمعة » فلا بأس بها ، وهي خير ما عمل العقاد من شعر حتى الان . فيها وصف جيد وتعبير مقبول ودرس وتحليل لأشكال المصلين ، وكلهم في نظره ذوو رياء :

لعلهم صلوا له ارتجـــالا فاختلفوا مـا بينهم سؤالا

فلو اجاب السائلين حالا صب على رؤوسهم وبالا
وألحق المخطيء بالمصيب

قوام الشعر شيئان : شخصية عامرة مسيطرة تسوقك بعصاها ولا تسأل الى اين ، وموسيقى وخيال فاتنان . وفي هذه القصيدة تسيطر شخصية العقاد فتحسّ انك امام مشهد حيّ .

ثم يصف « القطار » و« الحي » و« الدينار » فيرى المال يجر المال كما يقول العوام . ولا يحرم « كوّا الثياب ليلة الاحد » من قصيدة تضحك المجدلية تحت الصليب، وسأحكمك هذه المرة فاسمع بعضها وهو خيرها – بذمتي يا اخي :

لا تنم . لا تنم انهم ساهرون
سهروا في الظلم او غفوا يحلمون
انت فيهم حكم وهم ينظرون
في غد يلبسون في غد يمرحون

قلت : وفي غد يأكلون ويشربون ويتكلمون ويضحكون ويهضمون و... الى آخر كل ما انتهى بواو ونون . رحم الله توفيل غوتيه ونونيته الشهيرة .

وفي « بابل الساعة الثامنة » يصف صراخ الباعة وهي قصيدة تقرأ ايضاً ، اذا استعنت بالله ، ويقبح في « وليمة المأتم » اشنع عاداتنا فيجيد اذ يقول :

ثقيل على الحزن أكل الطعا م ومن يشتهي أكله اثقل
فيا ايها الناس لا تولموا على ميّت واحزنوا واعقلوا
فليست مجاملة الراحلين اذا انقطع الزاد ان تأكلوا

وينتقل الى « سلع الدكاكين في يوم البطالة » فيقول فيها هذا الشعر الذي اعجز عن نعته :

مقفرات مغلقـــات محكمات
كل ابواب الدكاكين على كل الجهات
تركوها ، اهملوهـــا
يوم عيـــد عيـدوه ومضوا في الخلوات
(البـــدار) (ما لنا اليوم قرار)
أي صوت ذاك يدعو النا س من خلف الجدار
ادركوها اطلقوهـا
ذاك صوت السلع المحبو س في الظلمة ثـار

ماذا تقول ؟ اما في مصر عاقل ينصح هذا الرجـــل ؟ المروّة يا ناس ! انقذوا أخاكم و كفوا عنا شعروركم !

راجع « عابر سبيل » فالقصيدة هناك بجلدهـا وعظمها . وفي مكنتك ان تضيف الى هذه ايضاً كل ما انتهى بألف وتاء مثـــل ثوثرات شعوذات و... فتصير شعراً عقادياً مثلها وتزيـد في ثروة الادب المصري .

الهم الله اختنا القديمة اجمل الصبر على رسالة يؤديها باسمها هـذا البافنوس الجديد ، وطواط اناتول فرانس .

تعذرني ان عدت بك الى الوراء لمحة لأنقل اليك ابيات « عصر السرعة » فهي مصرية عالمية . قال لا فض فوه ولا عاش من يشنوه ، واولهم هذا المارون عبود الغاشم الجائر . اسمع :

طار في الذرى هام في السهول

مسرع الخطى حينما يجـــول
ما له عـــدا عـدوة الوعول
ما له سطـــا سطوة السيول
في صعـــوده يشبـه النزول
تلك سرعة الها رب العجـول
تلك سرعة الحا ئر المـــلول
تلك سرعة الآ ثم الخجـــول
اين سرعة الـ سعي والوصول

واين مار توما العقاد – سيد قطب يشرح لنا هذه الدواهي؟ فوالله ، وحق من نفسي بيده ، لو قدم لي احد تلاميذي ورقـــة كتب عليها مثل هذا الحكي لصفعته بها واعطيته صفراً ... وما انا في ذا يا لهمدان ظالم . امثل هذا يتهكم بشعراء العرب ويقول ما قال ...؟

ويصف « المنـــازل في الشتاء » و « الطريق في الصباح » و « معرض البيت » و « متسوّل » و « بعد الغروب » وكلها من الباج العقّادي الفريد .. والغـــاية تأدية الرسالة العظمى ، رسالة الادب القومي ، رسالة البيئة ، رسالة الفرعونية . فياخجلة الذي طغى من هذه المومياءات ..

اما « اناشيد واغاني » ففيها رائحـــة الشعر . فالنشيد القومي والنشيد الآخر « على مقتضى الحال » والاناشيد التي نظمت للآنسة نادية تشبه الشعر لانها تقليد للعرب . ولا غرو ان اجاد الاستاذ في « على مقتضى الحال » الذي طعن فيه على وزارة كانت مولعـــة

« بمكايدته » كما قال فهو ابلـــغ ما يكون حين يكتب بالنبّوت فتغطي عاطفته عورة فنه .

وفي « عابر سبيل » قوميات ايضاً احسنها « يوم الجهـــاد » . و « عيد بنك مصر » قصيدة حية فيها ابيات تجري مجرى الامثال! كقوله :

ومن قال يا امتي وفّري كمن قال يا امتي جنّدي

اما قصيدة « نقل سعد » والرائية التي اولها : احسنتم الصبر ، فقد اشبعناهما درساً وتحليلاً .

وينتقل الى باب « تأملات » فتعاوده النوبة .ثم تقرأ ستعشرة صفحة كل كعكها من العجين العقّادي فترثي لناظمهـا لانه قاسى اهوالاً في صبها بقوالب شعرية لا هندمة فيها ولا ذوق ، ولكنـه ان لم يغنم بها اعجابنا فقـــد غنم ثناءنا على ثباته في محنته تلك . والثبات فضيلة فعسى ان لا يكف عن قول الشعر فيكون شاعر البيئة ، ويعرب عن سليقة القومية التي (تفتأ) فتية ، كما توهّم فعبّر .

وفي عابر سبيل لون جديد عنوانه « ربيعيات » فيه قصيدة على الحاء عنوانها « عودة الكروان » . لقـــد صدق القائل : من صـــبر نال ومن لج كفر ، ولولا وقـــار الادب لزغردت كالنساء في جلوة العروس .. قد بلغت قصيدة فيها شعر على غـير عادة العقاد الرزين الرصين صاحب البرج الحصين ، كما سماه الدكتور اسمعيل ادهم المتمشرق التركي :

مرحبـــاً ايها البشير ومرحى بعد طول السكوت ليلاً وصبحا

جاءنا رائد الكراوين في جنح من الغيب يفتح العام فتحا
فاذا الليل خافق وظلام الليل طلق وآية الليل فصحى

لا فض فوك يا سيدي الشاعر الكبير ، فآية الليل الفصحى تسوى ديواناً كاملا .

فكأن الربيع معنى قديم في طويل الزمان يزداد شرحاً

عشت ونعشت يا استاذ :

مرحباً بالذي قد ارتجل الساعة اوحى في الدهر ما ليس يوحى
المعيد الزمان جيلا فجيلا وهي في ضحوة من العمر أضحى
ويرينا الحياة وهلة حلم تنجلي عالماً وتعبر لمحا
امة الطير لا عدمنا نصيحا منكم يبهج الخواطر نصحا
كلّ من بشروا من الناس بالخير عيال على العصافير طلحى

ان كلمة العصافير لا تملأ البيت الاخير ، فليت للعقاد ديواناً صغيراً – حتة ديوان – من هذه البضاعة ، ففي قليلها غنى عن كل صرره وبقجه . وهنا ايضاً يدرك الاستاذ انه لا يقول شعراً الا اذا كان عالة على العرب .

وليعذرني العقاد ان استرد ما وهبت ، فبناء على دستوره للشعر والشعراء – راجع مقالنا الاول – لا نستطيع بقصيدة ان نسميه شاعراً كبيراً . ولهذا نستعيد لقب الشاعر الكبير الذي خلعنا عليه ، فقانونه حرمه هذا الميراث الادبي . وقديماً قالوا : على نفسها جنت براقش .

والعقاد نظّام متفائل يرى العيش جميلا وهذه طبيعة مصرية فيناديك :

قل ولا تحفل بشيء انما العيش جميل

ويجد متاعه الجديد في الشتاء والخريف :

من جديد المتاع يوم خريف تحت وهج السماء عاد ربيعا
ومحيا في الاربعين وديع تحت بث الغرام شب سريعا

ولكنه وحي من يحبو الى الخمسين ، وهذا ايضاً خلق مصري يرضى بما قسمه الله له ويضرب الدنيا « صرمه » . أما في باب « رثاء » و « متفرقات » فيعود الى نهج الحليّ وغيره من شعراء عصر الانحطاط فيقول للذي اسمه « موفق » :

عش يا موفق دائم التو فيق مقروناً بسعد

ثم يجانس ويورّي في « تحية موسيقية » الى ملك العراق ارسلها ليكون له « شراع وراء دجلة يجري » كشوقي فقال : « غازي قلوب الشعب ... غازي العدى . كعهد اخيك مأمون . في موطن بهداك مأمون . » وهذا ، كما تراه ، على صديء .

ويقول في رثاء صديقه غانم محمد :

اغانم اني في مصابك ذاهل قليل التعزي سافر الحزن مضمر
عرفت ابا فتح تولاه رمسه اخا في وغى الايام لا يتقهقر

لقد انقضى زمن البهلوان ، اما أراحتك منه مطالعة نيتشه يا استاذ ؟ مضت ايام كان الشاعر من يقول :

عباس عباس اذا اقتحم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

ويختم العقاد ديوانه بفكرة دلت على عقله الراجح ، وعلى طبيعته المصرية التي سماها الدكتور ادهم فرعونية ، فهو ليس كبعض ادبائنا الذين لا يريدون ان يموتوا . هو عقاد واحد لا غير ، اذا راح

راح ، بعكس صديقنا الاستاذ نعيمه الذي هو في الوجود كالوكيل الدوري : كلما عزلته فهو وكيل . وهبنا الله قدر حبة خردل من هذا الايمان الذي يقول للجبل انتقل فينتقل .

أسمع كلمة العقاد المنطيقي في « على اطلال الدنيا » وبرهانه ذا الحدّين قال :

« اذا انطوت الدنيا ولم يبق من ابنائها احد فليس هناك خسارة وليس هناك من يشعر بالخسارة . الى ان قال : واذا حسبنا ما للدنيا وما عليها فالنتيجة صفر ، لان النتيجة هي العدم . » واليك هذه الفذلكة وهي خاتمة الكتاب :

اليك ومنك من وجدوك حينا ومن فقدوك بعد ضياع عمر
حسبنا جانبيك على استواء فيا لك خيبة ختمت بصفر

انتهى الديوان .

ليست حسبتنا تختم بصفر بل ارى العقاد يستحق ثلاثة من عشرين — المعدل المدرسي اللاتيني — او ١٥ من مائة في المعدل الانكلوسكسوني . وما اخاله الا راسباً في امتحان القريض ولو عمّر كلبيد ...

*

لقد عدّت مجلة الهلال الغراء في تقويمها سنة ١٩٣٨ ديوان «عابر سبيل» حدثا ادبياً جديداً ، فهل دفعها الى ذلك بعض مواضيعه مثل : « كوّا الثياب وواجهات الدكاكين » وغيرها ؟ اراد العقاد ان يؤدي رسالة مصر شعراً فهل أدى شيئاً ؟ وهل تكون الرسالة في هذه المواضيع ؟ وهل يكون التجديد بالتعبير عن الاهرام :

بالآطام المخلدة ؟ يرى العقاد التعبير لا شيء ويحاول خلقه فلا يقدر. فهل نفعه بنافعة هذا الشعر ، بل هذه المواضيع التي يلمّها ويضعها في كشكوله ؟ يقوم الشعر على الحق والجمال – كما قال شلي – وصاحبنا ان عرف الحق فشعره بريء من الجمال كنسوان تغلب في عين جرير . وشلي يقول ايضاً : « للغة الشعراء لون خاص وصدى موسيقي يوافق الصوت وبدونه لا يكون الشعر » فهل للعقاد شيء من هذا ؟ ليفحص شعره في غرفته كما فعل الخليل يوم وضع علم العروض ...

يعلم العقاد ان المفاجأات من عناصر الشعر الجوهرية فيحاول خلقها فتأتي صوره رخوة متأثرة بحرارة الاقليم . فليس لخواتيمه زخم المضخّات ، وهو يبقّها بقاً فعل الاطفال حين يتراشقون بالماء .. اما الموسيقى التي يقلد بها الشاعر اصوات الطبيعة وحركاتها كما فعل المتنبي ، والتي يعبّر بها المعنّى عن عاطفته فلا يعني العقاد منها شيء . كل الفاظه وضعية حقيقية لا تتسع لأخيلة الشعراء . فالشعر عنده انطباق اضلاع وزوايا ..

قال بول كلودل : « لا يعرف الانسان الطبيعة حين يمتزج بها بل حين يضيف ذاته اليها ». والعقاد يعرف الدنيا ويريد ان يضيف ذاته اليها ولكنهما يظلان كالماء والزيت .

يقول هازلت: « الشعر لغة الخيال والعواطف ، وهو اللغة العالمية التي تصل القلب بالطبيعة . ليس الشعر فرعاً من فروع التأليف ، وكلّ شيء يسمو في الحياة بمقدار ما فيه من شعر . »فهل في دواوين صاحبنا شيء من هذا ؟

لا ، ان شعره حكي لا اكثر ولا اقل . واغراضه تخرج من شق قلمه هزيلة كالمسلول . يريد ان يخدع ابصارنا بعناوينه لتقوم الساعة ، بيـــد ان الساعة لا تقوم لان العقاد لا يقول شيئاً . « فالوصف المجرد للاشياء الطبيعية ، والافصاح المحدود عن الشعور الطبيعي مهما كان قوياً فعالاً لا يستطيع ان يحدد الشعر وغرضه دون ان يسمو بالخيال » فهل للعقاد شيء من هذا ؟

قال ديهامل ايضاً : غاية الشعر هي التعبير عما هو خالد ، وليس كل من حمل قلماً خليقاً ان يخلد اية مادة كانت . هؤلاء نادرون ». اما العقاد فالشاعر في نظره من يعلن انه يحب الحق والجمـــال ، وكفى . كأنما الشعر هو فعـل الايمان — نؤمن — في المسيحية ، او كلمة الشهادتين في الاسلام . فمثل ابن عمنا العقاد يقوم الف شاعر في كل دهر ، ولكن العشب ييبس ولا يثبت للقيظ الا القمح .

لقد اكثرت من كلام هازلت لان الاستاذ يؤثر اليرد على المتر ، ويرى الشعر الفرنسي جعجعة وجلجلة . فليسمع ايضاً مايقول هازلت : « وخشونة النثر وهلهلته وركاكته قاضية على فيض الخيال الشعري . ولكن الشعر يقضي على هذا ، فهو موسيقى اللغة مجيبة لموسيقى العقـــل » .

فليت العقاد يأخذ من نفسه ساعة نشاطها ولا يبلّ يده بكل موضوع . على كل من يؤدي رسالة كما يتمنى العقاد ان ينتظر الوحي ، فهذا الشعر العقادي الذي هو كنضو الطغرائي لا يؤمّر احداً ، ولا يجعل الشاعر قومياً . والحمد لله ان بشارة وعديله العقاد المتزاحمين على الامارة ، قد انقضى حلمهما الذهبي وانقلبا على الجانب

الوحشي ...

ان طابع العقـاد منطقي وجدلي لا يعرف الالوان والظلال ، يحب النور والضياء ولعل هناك سببا اجهله انا . قد يكون المزاج الفرعوني الذي دلني عليه الدكتور ادهم، فالجماعة عبدوا الشمس...

والعقاد يؤمن بالمران ، فليتمرّن لعله يفلح ، ولكن أيهان — لغة في هايهات العقاد — ان يخلق التمرين جبارا . والغريب ان يحلم واحد كهذا بشاعرية عالميـــة . فقد قرأت في مجلة الامام - التي تكرم بها عليّ محبّوه — انهم ترجموا له قصائد الى اليونانية لتقابل بشعرزميله هوميروس ... (الامام ، اول ديسمبر ١٩٣٤) .

وعلى هذا القحط والمحل والقحل يعده سيد قطب ، ولا يستحي فوق عشرة من شعراء العربية مجتمعين، وفوق هيغو وموسيه وبيرون وشلي (الرسالة عـــدد ٢٢٨) . ويرى ايضاً في مكان آخر أن الشعر العربي في كل اطواره ليس فيه ما عند العقاد . واليك نموذجا ممـــا علقه هذا القطب على احدى آيات عقاده التي سماها « يوم الظنون»:

« يا للهول ، لكلما قرأت هذه القطعة سرت رعدة في مفـاصلي وقشعريرة في كياني ، وأحسست امامي بانسان يعتصر نفسه قطرة قطرة في ألم مبرح عظيم » .

ولكن أيقول لي قطب ماذا خلف الجبل بعد هذا المخـــاض ؟ كأن سيد قطب خال نفسه امام ذئب الفرد دافيني .. فهنيئاً لمن له في الدنيا سيد قطب ، وان كان هذا لا يجدي فهو يسلي ويضحك ، رحم الله المتنبي ...

ماذا يجدي تعدد الاحباب وتلبد الافكار كخضرة الدمن والشعر

نظم تذهب بنضرته لفحة حر ؟ وهل يناز الادباء الا بالاسلوب ؟ ان العقاد ينظم بعقله ، والعقل لا يعمل الشعر الخالد .. وعنايته بالوحدة التي اكتشفوها عند صاحبهم جورجيس – ابن الرومي – لا تعمل الفن . فالشاعر الملهم يخلق الوحدة دون ان يفكر بها . العقاد كطفل يلعب بالفراشة ويتصيدها كأصحاب المجموعات ليحللها علمياً بينما الشاعر يتأملها ويصفها ويعجب بها .

« العالم –الكلام لهازلت– يحمل الحباحب الى بيته ليراها على ضوء العلم فلا يرى في الغد الا حشرة رمادية اللون . اما الشاعر فيزورها مساء عندما تشيد لنفسها قصراً من النور الزمردي تحت فروع السوسن العطرة واشعة الهلال الباردة » .

اما العقاد السياسي الجريء فأثره ضئيل في دواوينه الثلاثة . انها تصور العقاد المحب القاعد الذي يأتيه رزقه رغداً ولا يخرج من البيت . وقد خفت أشواقه وبردت همته القعساء في « عابر سبيل» . والعاهة الكبرى في هذا الكلام الذي يسميه العقاد شعراً أنه كله من طراز واحد ، ولو كانت وجوه الناس هكذا لاشمأز الناس من رؤية الناس . وبالاختصار ان العقاد الفنان نائم منذ ثلاثين سنة حول البركة – بركة حسدا – ينتظر الساعة التي يحركها بها الملاك ليلقي بنفسه فيها ، فياليتني مسيحٌ لأقول لهذا المقعد المسكين : احمل سريرك وامشِ .

واذا صح تشبيه شيء بصبيرة طمسون فذاك شعر العقاد . لا اقابله بناجي وابي شادي وطه والصيرفي والخفيف وبشر فارس وصالح جودت ومبارك وكل من يقول شعراً بمصر . فكل هؤلاء

حتى زكي مبارك خير منه – في الشعر – وان عدلت شعراء هـذا العصر فهو سكَيت الحلبة . ودواوينه كانابيب اللقاح تصلح لوقت محـــدد ..

مالي اقول هذا ؟ فمن يدريني ان العقاد لم يرشح نفسه لجائزة نوبل الادبية كما تقدم طنطاوي جوهري لجائزة السلام ، فالبـدار البدار قبل انصرام شباط اللباط ...

الى الدكتور طه حسين بك .

يا صاحب العزة

فتشت كثيراً في منظومات صاحبك العقاد فما رأيته ذكر اماً او اباً ، فما تراك تقول فيه بعـــد خمسمائة عام – لو عدت الى الدنيا – اكما قلت بالمتنبي ؟؟

٢ – ١٩٣٩

انتهى

فهرست الأعلام

آدم ٨ ، ١٤٩
آرجو (في الاسطورة) ١٢٥
ابراهيم (النبي) ١٠٢ ، ١٤٥
ابراهيم ، حافظ ١٦ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٩٥ ، ١٤٣
ابن ابي عتيق ١١٣
ابن الاثير ١٥٠ ، ١٧٧ ، ٢١٣
ابن الاعمى ٥٦
ابن خلدون ٢٥٥ ، ٢٥٦
ابن الرومي ٣١ ، ١٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٢٦ ، ٢٧٨
ابن سينا ١٠٧
ابن عباد (الصاحب) ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٨
ابن عباس ١٦٤
ابن عقيل ٦٤ ، ١٥٩
ابن الفارض ١٠٨ ، ٢٣٥
ابن القارح ١٧٨ ، ١٨٥
ابن القدوس ٤٣
ابن مالك ٣٨ ، ٤٣ ، ٢٤٠
ابن المعتز ٢٣ ، ٢٥٧
ابن معطي ٢٤٠
ابن النحوي ٢٥٥
ابيس ٢٧٧
ابو بكر (الصديق) ١١١
ابو تمام ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ١٢٠ ، ١٣٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٥
ابو سليمان ٧٥
ابو شادي ، زكي ١٢ ، ٢٤ ، ١١٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٨
ابو شبكة ، الياس ١٢ ، ١٣
ابو العباس (بن شعيب) ٢٥٥
ابو عبيدة (بن الجراح) ٩٩ ، ١٠٠
ابو العتاهية ٢٧ ، ٤٤ ، ٢٣٦
ابو الغوث (بن البحتري) ١٨٦
ابو فراس (الحمداني) ٩ ، ٣٧ ، ١٢٦ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤

ابو القاسم الطنبوري ٦٧
ابو كرب (من اقيال اليمن) ١٢٠
ابو اللمع ، الامير رئيف ١٩١، ٢١٦
ابو نادر ، مراد ١٩١
ابو نواس ٢٨ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٧٣ ،
٧٩ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٧
١٤٨ ، ٢٠٦ ، ٢٣٥
احشورش (التوراة) ١٨
الاخطل ١٢ ، ١٣ ، ٢٨ ، ٨٧ ،
١١٩ ، ١٣٦ ، ٢٢٧
الاخفش ٢٠٢
اده ، اميل ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ١٠٥ ، ٢١٩
ادهم ، اسماعيل ٢٢٧، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٧
ادوار (الملك) ١٠٣ ، ١٠٤
ادونيس ١٩٥ ، ٢٢٧
ارخميدوس ٩٩
ارسطو ٢٤٧
ارسلان ، الامير شكيب ٢٠٢
استير (التوراة) ١٨
اسحق الموصلي ١٦٦
الاسمر ، محمد ١١٦
الاشعري ، ابو موسى ٧٩
الاعشى ٣٥ ، ٤٩ ، ٩٧ ، ١٥٤، ٢٤٢
اغوسطينوس ١٧ ، ٥١ ، ١٦٣
افلاطون ٢٤٧
الياس (النبي) ، ٩٤
ام المحسنين ١٢٠
امام ، محمد ٥٥
امرؤ القيس ٧ ، ٢٧ ، ٤٢ ، ٤٨ ،
٥٤ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٢٩، ١٤٩
١٥٦ ، ٢٠٢
امرسون ٢١٧
انطونيوس (القديس) ١٦٢
ايليا (النبي) ١٢٥
ايوب (النبي) ١٨١
البارودي ، محمود سامي ٢٤٦
البارودي ، فخري ١٠٠
الباعونية ، عائشة ١٠٨
البحتري ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٩ ، ٥٣، ٥٨،
٦٨، ٧٧ ، ٨٧ ، ١١٨، ١٤٨،
١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ،
٢٢٩
بدوي الجبل ١٢
بريمون (الاب) ٢٢٣
برونتيير ٤٧ ، ٤٩ ، ٧٥ ، ١٢٢
بريدوم ، سيللي ٣١ ، ٤٧
باستور ١٠٠
بشر بن عوانة ١٢٦ ، ١٥٠
بشار بن برد ٣٢ ، ٦٥، ١١٦، ١٣١
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ،
١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٢٩
بشير (الامير) ١٩٨
بطرس (الرسول) ٢٥ ، ١١٠ ، ١٩٤
بولدوين ، ستانلي ١٠١ ، ١٢٧
بلفور ١١٣

البهاء زهير ٢٨، ١٥٧، ٢٠٦، ٢١٨
البهائي ١٨
بو ، ادغار الن ٢٢٢
بوانكاريه ١٠
بودلير ٢٢٤، ٢٣٦
بولس (الرسول) ١٩٣، ٢١٦
بونين ، ايفان ٢٥٥
بيرون ٢٧٧
تأبط شرا ٢٨، ١٥٠
تشمبرلن ٢٥٦
تقي الدين ، امين ١٨٩، ١٩٢، ٢٠١، ٢١١
تقي الدين ، خليل ١٣٩
توتنخامون ١١٦، ١٩٦
تين ١٢٢
ثابت ، حبيب (٢١٣ - ٢١٦)
ثابت ، ايوب ٨٣
الثقفي ، طريح بن اسماعيل ١٨٥
الجاحظ ١٥٧، ١٦٢، ١٦٤، ١٨٣، ١٩٣، ١٩٤، ٢٢١
الجارم ، علي ١٠٨، ١٢٦، ٢٤٠
جبرائيل (الملاك) ١٠٤، ١٧٩، ١٨٠، ٢٠٨
جبران ، جبران خليل ٢٥، ٢٣٦
جرير ١٢، ٢٨، ٨٧، ١٠٩، ١٤٠، ١٨٦، ٢٣٢، ٢٧٥
الجميّل ، انطون ١١٤
جنان (صاحبة ابي نواس) ٧٩، ٩١
جودت ، صالح ٢٧٨
جورج (الملك) ١٠٣، ١٠٤
جوهري ، طنطاوي ٢٧٩
جيد ، اندره ١٤
حبيقه ، يوسف ١٤١
الحجاج ١٩، ١١٥، ١٤٥
حسين ، طه ١٠، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٣٦، ٣٩، ١١٦، ١٦٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٧٩
الحسيني ، الحاج امين ١٩٠
الحريري ٩، ١٩٠
الحطيئة ١٨١، ١٨٩
الحكيم ، حسن ٢٥٩
الحوراني ، الشيخ ابراهيم ١٠٧
الحوماني ، محمد علي ١٢
الحويك ، الياس (البطريرك) ١٠٤
خالد بن الوليد ٩٩، ١٠٠
الخطيب ، لسان الدين ١٥٩
الخفيف ، محمود ٢٧٨
الخليل بن احمد (الفراهيدي) ١١٦، ١٦٣، ٢٠٢، ٢٧٥
الخنساء ١٥٥
الخوري ، بشاره (الاخطل الصغير) ١٢، ١٣، ٣٢، ٤٨، ٥٣، ٦٣، (٦٥ - ١٠٠)، ١٠٤، ١١٠، ١١١، ١٢١، (١٢٣ - ١٤٦)، ١٤٩، ١٨٠، (١٩٥

ـ ١٩٨) ، (٢٠٦ـ٢١٢) ،
٢١٥ ، (٢١٧ـ٢٢٥) ، ٢٦٧
٢٧٦
الخوري ، يوسف مراد ١٣
الخياط ، محي الدين ٨٤
الخيام ، عمر ١٨٧ ، ١٨٨
دافيني ، الفرد ٥٠ ، ٢٢٧ ، ٢٧٧
دانتي ٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧٠
داهش ١٨٧
داود (النبي) ١١٦ ، ١٤١ ، ١٧٨ ، ٢١٣
درويش ، سيّد ١٩٦
دعبل (الخزاعي) ٢٩ ، ٧٦ ، ٩١
دموس ، حليم ٨٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ،
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٤١
الدندشي ، عبد الرزاق ١٣٧ ، ١٣٨ ،
١٤٢ ، ١٤٣
الدؤلي ، ابو الاسود ١١٣
دوستويفسكي ٥
دوميك ، رينه ٤٥
الدويهي ١٢٥
دي ريني ، هنري ٧٥
دي سان بيار ، برنردين ١٦٥
دي موسيه ، الفرد ٣٠ ، ٥٨ ، ٢٧٧
دي نواي (السيدة) ٣٢ ، ١٣٨
ديهاميل ، جورج ٢٦٥ ، ٢٧٦
راسين ٢٣٢
رافاييل (المصور) ٧٢ ، ١٣٩ ، ١٩٩
الرافعي ، مصطفى صادق ٧٢
رامي ، احمد ١٢١
رستم ، اسعد ٥٦
الرشيد ، هارون ٩١ ، ٩٣ ، ١٩١
الرصافي ، معروف ٤٤ ، ٥٨ ، ٨٦ ،
١٠٠ ، ١٠١
الرضي ، الشريف ١٩٤
رع (الاله) ٢٢٦
رمبو ٢٢٤
رنان ٩ ، ٢٢٤
رنتجن ١٧١
روزفلت ٣٠
روستان ١٢٧
رومانوس ، انطون ١١٩
الريحاني ، امين ٤٨ ، ٥٩ ، ٧٧ ، ١٤٥
الزبرقان بن بدر ٢١٢
زرقاء اليمامة ٢٣١
زغلول ، سعد ٦٩ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٨
١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥
زكرياء (النبي) ٩٠
زكور ، حنا ٢٠٧
زكور ، ميشال ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠
٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ،
٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ،
٢٢١
الزهاوي ، جميل صدقي ٤٤ ، ٥٠ ،
٦٥ ، ٨٥ ، ١٢٢ ١٢٨ ، ١٥٤ ،
٢٣٥ ، ٢٦٦
زهير بن ابي سلمى ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٥

٣٧ ، ٨٧ ، ١١١ ، ٢١٢
زياد بن ابيه ١٣ ، ٢٨
سالمون (المنوّم المغناطيسي) ١٨٧
سامان ٢٢٤
سحبان وائل ٢١٦
سطيح (الكاهن) ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٦
١٧٧ ، ١٧٨
سليم ، سامي ١٣٦
سليمان (سفر الامثال) ١٤١
سنت بيف ١٢٦
السموأل ٧ ، ٤٩
السودا ، يوسف ١٨٩
سيبويه ٢٠٢ ، ٢٢٧
سيف الدولة (الحمداني) ٨٨
شاول ٢٢
شبنهور ١٧
الشدياق ، احمد فارس ١٤٧ ، ١٥٥ ،
١٥٩ ، ١٩٠ ، ١٩٨
شق (الكاهن) ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩
شكسبير ١٧ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ،
٧٠ ، ٢٣٢ ، ٢٦٦
شلر ٣٠
شلي ١٩ ، ٣٨ ، ١٢٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧
شمشون ١١١
الشنفرى ١١٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤
شو ، برنارد ١٤
شوقي ، احمد ٩ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
٣٢ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٣
٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ،
١٢٦ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٩٦ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ،
٢٦٤ ، ٢٧٣
شولمية ٣١
شيخو ، الاب لويس ١٠٥
الصافي ، أحمد (النجفي) (٤١ — ٦٤)
١٥١ ، ١٥٢
صالح (النبي) ٢٤١
صخر (اخو الخنساء) ١٥٥
الصليبي (الدكتور) ٦٦
الصيرفي ، محمود كامل ٢٧٨
طرفة بن العبد ١٢٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٥
الطرماح بن حكيم ٣٠
الطغرائي ٧٥ ، ٢٧٦
طمسون ٢٧٨
طه ، علي محمود ١٩٤ ، ٢٧٨
عباس (عم النبي) ٩٢
عبد الوهاب ، محمد ٢٤
عبد الحميد (السلطان) ٦٩ ، ١٩٨
عبده ، محمد الامام ٢٩
عبلة (صاحبة عنترة) ٢٨
عبود ، مارون ١١٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٦٩
عبيد ، مكرم ٣٨
العجاج ٣٠
عدنان (جد العرب) ١٣٤
العرابي ، زكي ١١٢
عريضة ، البطرك انطون ١٢٩

عزرائيل ١٢٩
عزّام ٩٦
عزيز ، موسى ١٩١
عفيفي ، حافظ ٩٧
العفيفي ، عبد الله ١٠٦ ، ١٠٧
العقاد ، عباس محمود ١٢ ، ١٦ ، ١٩ ،
٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ،
٣٢ ، ٣٣ ، (٣٤ - ٤٠) ،
١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٢٨ ، ١٤٩ ، (٢٢٦ - ٢٧٩)
عقل ، سعيد ٥٠ ، ١٨٩
عقل ، وديع ١٢
العظم ، ابراهيم ١٥٢ ، ١٥٣
العظم ، اسعد ١٥٣
عمر بن ابي ربيعة ٢٨ ، ٣٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
١١٣ ، ١٤٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
٢١٥ ، ٢٤٣
العمر ، قدري ١٥١
عمرو بن كلثوم ٢٩ ، ٢٣٣
عنترة بن شداد ٥٥ ، ٩٩ ، ١١٨
غارنيه ، شارل ١٧٣
غازي الاول (الملك) ٩٧ ، ٢٧٣
غاندي ٢٥٠
الغزي ، فوزي ١٥٨ ، ١٦٥
غصن ، الخوري مارون ١٥٠
الغلبوني ٢٠١
غوت ١٩ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٢٣٢
غوتيه ، تيوفيل ١٧٣ ، ٢٦٨
غرمون ، ريمي ٦٨ ، ٢١٧
فؤاد الاول (الملك) ١٠١ ، ١٠٦ ،
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٩٦ ،
الفارابي ٢١٧
فارس ، بشر ٢٧٨
فاروق الاول (الملك) ١٠٨ ، ١٩٤ ،
١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠
فاغيه ٤٨
فاليري ، بول ١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
فرانس ، اناتول ٧٤ ، ٢٦٩
الفردوسي ١٤٣
الفرزدق ١٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٨٧ ،
١٣٨ ، ١٦٤ ، ١٨٦
فرعون (مصر) ١١٢ ، ١٧٥ ، ٢٢٨
فرلين ٢٢٤
فرنكوشيني (الرسام) ١٦١
فرويد ، سيجموند ٥٥ ، ٨٠
الفغالي ، حنا الخوري ١١٠
فغالي (الدكتور) ٧٨ ، ٨٠
الفضل بن الربيع ٩١ ، ٩٣
فلوبير ١٦٢
فورد (المستر) ٢١٢
فوش (المرشال) ١٢١
فياض ، نقولا ٦٥
فيصل الاول (الملك) ٩٧
قدموس ٢٢٧
قطب ، سيد ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ،

٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ،
٢٧٧
الكاظمي ، عبد المحسن ١٢٨
كافور (الاخشيدي) ٦٥ ، ٧٦ ،
١٠١ ، ٢٣٩ ، ٢٤١
كبلنغ ١٤ ، ٦٧ ، ١٥٩
كسرى ١٢٠
كسيب ، خليل ٨٣
كاودل ، بول ٢٧٥
الكميت ، بن زيد ٣٠
الكيلاني ، محمد اسعد ١١٠ ، ١٤٧
الكيلاني ، نورس ١٥٩
لافونتين ٢٣ ، ٧٣
لامتر ، جيل ٤٥
لامرتين ٤٣ ، ٤٨
لبابيدي ، صلاح ٨٣ ، ١٩١
لبيد بن ربيعة ٣٥ ، ١٩١ ، ٢٢٠
لعازار ٦٨
لوط ٢٥٢
لويس ، بيار ٨
المأمون ٢٨٣
مار انطون ١٣٠ ، ١٣٤
مار انطونيوس ٧٢
مار بولا ١٨٨
مار بولس ٨٧ ، ١٧٠
مار توما ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠
مار جرجس ٢٩
مار شليطا ٢٩ ، ١٠٥
مار شينا ٨٩
مار يوحنا مارون ١٤١
مار يوسف ٩٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢
المازني ، ابراهيم عبد القادر ٢٤ ، ٢٥
٢٣١ ، ٢٥٧
ماسينيون ، لويس ١٧ ، ١٨
مالرمه ، ستيفان ١١٤ ، ٢١٤ ، ٢٢٤
مايسفيلد ، جون ١٠٣ ، ١٠٤
مبارك ، زكي ٢٤ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤
١١٥ ، ١١٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
مبارك (المطران) ٢٠١
المبرد ١٤٧
المتنبي ، ابو الطيب ٩ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٧
٤١ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ،
٧٦ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠١
١٠٣ ، ١٢٠ ، ١٣٦ ، ١٥٥ ،
١٦٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢٢١ ،
٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩
المتوكل (الخليفة) ٢٠٥
المجدلية ٢٦٨
المحلق (ممدوح الاعشى) ٩٧
محمد بن عبدالله ٧٠
محمد علي (مولاي) ٨
محمد ، غانم ٢٧٣
مراش ، فرنسيس ٥٣
مروان (الجعدي) ٧٣ ، ١٨٥
مريم (العذراء) ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٩٨

المسيح (يسوع) ٨ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٨٢ ، ٢٤٩
مطران ، خليل ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
معاوية بن ابي سفيان ٢٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢٢٨
المعري ، ابو العلاء ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٥
معلوف ، شفيق ١٦١ ، ١٧٦ ، (١٧٧-١٨٤) ، ١٨٧ ، ١٨٨
المعلوف ، عيسى اسكندر ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٦١
مكرزل ، نعوم ٨٢
الملاط ، شبلي ١٢ ، ١٣ ، (٦٥-٨٥) ، ٩٨ ، ١١١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦
ملتون ٣٨
المنذر ، ابراهيم ١٣
المنذر ، صلاح ١١
المنفلوطي ، مصطفى لطفي ٢٥
المهلهل بن ربيعة ٢٩ ، ٨٤ ، ٢٠٤
موسى (النبي) ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٨١
موسى ، سلامة ١٠ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٥٥
موسوليني ٢٥٦
ميخائيل (الملاك) ١٨٠ ، ٢٠٨
ميشال (الاخ) ٨٨
النابغة (الذبياني) ٢٨ ، ٤١ ، ٦٢ ، ١٢٣ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦
ناجي ، ابراهيم ٢٤ ، ١١٤ ، ٢٧٨
ناصف ، حفني ٢٥
نخله ، امين ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧
نظيم ، رمزي ٢٤
نُعم (صاحبة عمر) ٣٩
نعيمة ، ميخائيل ١٠٨ ، ١٧٤
نمور ، موسى ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢
نوح ١١ ، ٥٦ ، ٧٠ ، ٢٣٠
نيتشه ١٧
هابيل ١٤٩
هاردي ٢٣٨
هازلت ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨
هاسكل ، ماري ١٠٨
هامان ١٨
هتلر ٢٥٦
الهراوي ، محمد ٢٣ ، ٢٤ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨
الهمذاني ، بديع الزمان ٢٨ ، ٧٢ ، ٢٥٨
هنانو ، ابراهيم ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١٣٦
هوفمان ١٧ ، ١٩
هوميروس ٢٧٧
هيار ، كليان ١٧
هيغو ، فكتور ٨ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٧٧

هيكل ، محمد حسين ١٠ ، ١٧
والبة بن الحباب ٨٤
ولز ، ه. ج. ١٤
اليازجي ، ابراهيم ٣٨ ، ١٠٧
اليازجي ، ناصيف ٢٤٠
يحيى ، عمر ١١٠ ، (١٤٧ - ١٦٠)
يشوع بن نون ١٥٣
يعرب (جد العرب) ٩٣ ، ١١٠
يعقوب ٦٢ ، ١٠٢
يكن ، ولي الدين ٢٥٣
يوحنا ٥١
يوسف ، علي ٢٥ ، ٢٠٣
يوسف بن يعقوب ٢٢ ، ١١٢
يونان ٦٩

فهرست

أنقد ام حسد؟	٧
إمارة الشعر	١٦
الشعراء	٢٧
عباس محمود العقاد	٣٤
أحمد الصافي النجفي	٤١
الزهاوي ، بشارة الخوري ، شبلي ملاط	٦٥
شعراء الفرح والترح	
معروف الرصافي ، بشارة الخوري	٨٦
محصول الشهر	١٠١
بيدر مصر	١١٠
قصيدتا الجارم في الملك فؤاد وسعد	١١٨
قصيدة العقاد	١٢٢
بشارة شيخ السفرة	١٢٧
قصيدة بشارة في فلسطين	١٣٠
قصيدة بشارة في الدندشي	١٣٨

البراعم لعمر يحي ١٤٧
عبقر لشفيق معلوف ١٦١
هريستي وزبوني ١٨٥
محصول الشهر ١٨٩
هذه طريقتي ١٩٣
موسى نمور ، خليل مطران
الملاط ، بشارة الخوري ٢٠١
بشارة ايضاً ، الدكتور حبيب ثابت ٢١٠
غذاء الخلود ٢١٧
ثلاثة دواوين للعقاد
وحي الاربعين نمط ٣٣ ٢٢٦
وحي الاربعين ايضاً ٢٤٠
هدية الكروان نمط ٣٣ ٢٥٢
عابر سبيل نمط ٣٧ ٢٦٤

يصدر قريباً

عن

دار العلم للملايين

مجددون ومجترون

فصول في نقد شعراء الشباب والمذاهب الجديدة

في الشعر العربي

بقلم

مارون عبود

b. 12387782
v. 13745037

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY

10000072321

AUC - LIBRARY

DATE DUE

2 NOV 1990

31 AUG

27 MAR 1991

31 AUG 1991

A.U.C

A.U.C

1994

MAR 1975

9 APR 1991